

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتاب

عبود الإخوان

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المسوق سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الثالث

كتاب الإخوان - كتاب الحوائج - كتاب الطعام

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتابات

عبد الإخوة

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الثالث

كتاب الإخوان — كتاب الحوائج — كتاب الطعام

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م

فهرس

المجلد الثالث من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

كتاب الإخوان

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
٣٤	الهدايا	١	الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم
٤٣	العيادة	٧	للمودة بالنشاكل
٥٢	التعازي وما يمثل به فيها	٩	باب المحبة
٦٨	التنهائي	١٤	ما يجب للصديق على صديقه
٧٣	باب شرار الإخوان	١٨	الإنصاف في المودة
٨٤	باب القربان والولد	٢١	مدارة الناس وحسن الخلق والحوار
٩٩	الاعتذار	٢٤	التلاقي والزيارة
١٠٧	عقب الإخوان والتباغض والعداوة	٢٨	المعائبة والتجني
١١٤	شماتة الأعداء	٣١	باب الوداع

كتاب الحوائج

١٥٢	حال المسئول عند السؤال	١١٩	استنجاح الحوائج
١٥٦	العادة من المعروف تُقَطَّع	١٢٢	الاستنجاح بالرشوة والهدية
١٥٨	الشكر والثناء	١٢٤	الاستنجاح بالطيف الكلام
	الترغيب في قضاء الحاجة	١٣٣	من يعتمد في الحاجة ويستسعى فيها
١٧٤	وأصطناع المعروف	١٣٦	الإجابة الى الحاجة والرد عنها
١٨٢	القناعة والاستغفار	١٤٤	المواعيد وتجزؤها
١٩١	الحرص والإلحاح		

كتاب الطعام

صفحة	
١٩٧	صنوف الأطعمة
٢٠٩	وأخبار من أخبار العرب في ماكلهم ومشاربهم
٢١٤	آداب الأكل والطعام
٢٢٢	الجوع والصوم
٢٢٤	أخبار من أخبار الأكلة
٢٢٧	باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام
٢٣٣	باب القدور والحفان
٢٦٥	سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره
٢٧٠	باب الحمية
٢٧٢	باب شرب الدواء
٢٧٣	الحديث والحفنة والتخمة
٢٧٥	باب القيء
٢٧٧	النسكة
٢٧٧	باب المياه والأشربة
٢٨٠	باب النخيل وما شاكلها
٢٨١	مضار الأطعمة ومنافعها
٢٨٣	البصل والثوم
٢٨٦	السنكات
٢٨٦	الكرب والقديط
٢٨٧	الساجم والفجل
٢٨٨	الباذنجان
٢٨٨	الخيار والقيثاء
٢٨٨	السلق
٢٨٩	الحليون
٢٨٩	القرع
٢٨٩	البقول
٢٩٢	باب الحبوب والبرور
٢٩٤	باب الفاكهة
٢٩٦	باب مصالح الطعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الاخوان

الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم

حدثنا سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا العجلي قال بعض الأدباء لابنه : يا بني ، إذا دخلت المصر فاستكثر من الصديق فأما العدو فلا يهمنك ، وإياك والخطب فإنها مشوار كثير العثار .

قال : وبلغني عن الأوزاعي عن يحيى بن كثير : أن داود النبي عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام : " يا بني ، لا تستبدلن بأخ لك قديم أخا مستفاداً ما استقام لك ، ولا تستقلن أن يكون لك عدو واحد ، ولا تستكثرن أن يكون لك ألف صديق " .

وكان يقال : أعجز الناس من فرط في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفيره منهم .

وفي الحديث المرفوع : " المرء كثير بأخيه " . وأنشد ابن الأعرابي :
لعمرك ما مال الفسقى بذخيرة * ولكن إخوان الثقات الذخائر

قال أبو الجراح العقيلي : وجدتُ أعراض الدنيا وذخائرها يعرض المتألف
إلا ذخيرة الأدب وعقيلة الخلّة ، فاستكثروا من الإخوان واستعصموا بعمراً الأدب .

وكان يقال : الرجل بلا إخوان كاليمين بلا شمال ، وقال الشاعر :

إذا لم يكن للقوم عزٌّ ولم يكن * لهم رجلٌ عند الإمام مكيّن
فكانوا كأيدي أو هن الله بطشها * ترى أشتلاً ليست لمن يمين

قال أيوب السخيتاني : إذا بلغني موت أخ لي فكأنما سقط عضو مني^(١)

وقال القطامي^(٢) :

وإذا يصيبك - والحوادث جمّة - * حدثت حدالك إلى أخيك الأوثق

وقال أنجر^(٣) :

أخاك أخاك إن من لا أخ له * كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

وإن ابن عم المرء فأعلم جناحه * وهل ينهض البازي بغير جناح

وقال الثقفى :

من كان ذا عضدٍ يدرك ظلامته * إن الدليل الذي ليست له عضد

تنبس يداؤه إذا ما قتل ناصره * ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

وقال آخر :

وبعضاء التقي أقل ضييراً * وأسلم من مودة ذي الفسوق

ولن تنفك تحسداً أو تعادى * فأكثر ما استطعت من الصديق

(١) في الأصل : « إذ كأنما ... » . (٢) بفتح القاف وضمها وهو عمير

ابن شبيب النخعي من بني جشم بن بكر بن الأرقم ، وقد ورد البيت في ديوانه المطبوع بليدن هكذا : وإذا
أصابك الخ . وهذا البيت من فصيحة له مطلعها :

طرفت جنوب رحالنا من مطرق * ما كنت أحسبها قريب المعنق

(٣) هو مسكين الدارمي واسمه زبيدة بن عامر (أنظر خزانة الأدب للبغدادى طبع بولاق ج ١ ص ٤٦٦) .

وكتب الفضل بن سيار إلى الفضل بن سهل :

يا أبا العباس إني ناصح * لك والنصح لذي الود كبير
لا تُعدن ليوم صالح * إن إخوانك في الخير كثير
وليكن للشر ما أعددتهم * إن يوم الشر صعب قطير
هذه السوق التي أملها * يا أبا العباس والعمر قصير

قال المأمون : الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه ، وطبقة كالدواء لا يحتاج إليه إلا أحياناً ، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبداً .

قال حدثني سعيد بن سليمان قال حدثنا إسماعيل بن زكريا عن سعيد بن طريف عن عُمير بن المأمون قال : سمعت الحسن بن علي يقول : من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثمانى خصال : آية محكمة ، وأخا مستفاداً ، وعالماً مستطرفاً ، ورحمةً منتظرةً ، وكلمة تدلُّه على هدى أو تردعه عن ردى ، وترك الذنوب حياءً أو خشيةً .

قال وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال : كان يقال : الصاحب رقعة في قميص الرجل ، فليَنظُرْ أحدكم بِمِ يَرَقَعُ قميصه .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه أنه قال : كان يقال : ما وجدنا شيئاً أبلغ في خير أو شر من صاحب .

وحدثني الرياشي عن الأصمعي قال حدثنا سليمان بن المغيرة قال : قال يونس :
أثنان ما في الأرض أقل منهما ولا يزدادان إلا قلةً : درهم يوضع في حق ، وأخ يسكن إليه في الله .

(١) في الأصل : «... لذي الود كثير» بالناء المثلثة ، وفي الذي بعده : «إن إخوانك في الخير كبير»
بالباء الموحدة ، فوضعنا كلا من الكلمتين مكان الأخرى لاستقامة الكلام .

وحدثني شيخ لنا عن محمد بن مُنَازِر عن سفيان بن عُيينة قال : قال علقمة
ابن ليبيد العطاردي لابنه : يا بني ، إذا تَزَعَّتْكَ إلى صحبة الرجال حاجة ، فاصحب
منهم مَنْ إن حَبَبَتْهُ زَانِكَ ، وإن خَدَمَتْهُ صَابِنِكَ ، وإن أَصَابَتْكَ خَصَاصَةٌ مَانِكَ ،
وإن قَلَّتْ صَدَقَ قَوْلِكَ ، وإن صُلَّتْ شَدَّ صَوْلُوكَ ، وإن مَدَدَتْ يَدَكَ بِفَضْلِ مَدَّهَا ،
وإن رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَمَّهَا ، وإن سَأَلَتْهُ أَعْطَاكَ ، وإن سَكَتَ عَنْهُ أَبْتَدَاكَ ،
وإن تَزَلَّتْ بِكَ إِحْدَى الْمَلَمَّاتِ آسَاكَ ، مَنْ لَا يَأْتِيكَ مِنْهُ الْبَوَائِقُ ، وَلَا تَخْتَفِ عَلَيْكَ
مِنْهُ الطَّرَائِقُ ، وَلَا يَخْذُلُكَ عِنْدَ الْحَقَائِقِ ، وإن حَاوَلَ حَوِيلًا أَمْرَكَ ، وإن تَنَازَعْتُمَا
مَنْفِسًا آثَرَكَ .^(١)

قال محمد بن كعب القرظي^(٢) لعمر بن عبد العزيز : إن فيك عقلا وإن فيك
جهلا ، فداو بعض ما فيك ببعض ، وآخ من الإخوان من كان ذا مَعْلَاةٍ^(٣) في الدين
ونِيَّةٍ في الحق ، ولا تُؤَاخِ مِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ مَتْرُكُكَ عِنْدَهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ إِلَيْكَ ، فإذا
قَضَى حَاجَتَهُ مِنْكَ ذَهَبَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ . وإذا غَرَسْتَ غُرَاسًا مِنَ الْمَعْرُوفِ
فَلَا تَبْغِينَ أَنْ تُحْسِنَ تَرْبِيَّتُهُ .^(٤)

وقال الأحنف بن قيس : خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِنْ اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ
فِي الْمَوَدَّةِ ، وَإِنْ اجْتَبَيْتَ إِيَّاهُ لَمْ يَنْقُصْكَ مِنْهَا ، وَإِنْ عَثَرْتَ عَصَدَكَ ، وَإِنْ احْتَجَبْتَ
إِلَى مَوْوَنَتِهِ رَفَدَكَ . وقال الشاعر :

إِن أَخَاكَ الصَّدِّقَ مَنْ لَنْ يَخْذَعَكَ * وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ زَمَانٍ صَدَعَكَ * شَتَّتَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ
* وَإِنْ رَأَى ظَالِمًا سَعَى مَعَكَ *

٢٠ (١) حاول الشيء : أرادته ، والحويل : الاسم منه ، وأمر : شاور . (٢) المنفس :
النفيس . (٣) في الأصل « القرصى » وهو تحريف . (٤) المعلاة : العلو والشرف .
(٥) في الأصل : « فلا تبقيين » .

وقال حُجَّية بن المضرَّب :

أخوك الذي إن تدَّعه للمِيسَّة * يُجَبِّك وإن تغضَّب إلى السِّيف يغضَّب

وكتب رجلٌ إلى صديق له : أنت كما قال أعشى باهلة :

مَن ليس في خيرِه مَن يُفْسِدُه * على الصِّديق ولا في صفوهِ كدرٌ

وليس فيه إذا استنظرته عَجَلٌ * وليس فيه إذا ياسرته عسرٌ (١)

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

أخوك الذي إن أحوجتكَ مِيسَّةٌ * من الدهر لم يبرح لها الدهر وإجمًا

وليس أخوك الحقُّ مَن إن تشعبت * عليك أمورٌ ظلَّ يلحاك لائمًا

وقال آخر :

إذا كان إخوانُ الرجالِ حرارةً * فانت الحلالُ الحلوُّ والباردُ العذبُ

لنا جانبٌ منه دميثٌ وجانبٌ * إذا رامه الأعداءُ مَرَكِبُهُ صَعْبُ

وتأخذه عند المكارمِ هِزَّةٌ * كما اهترت تحت البارح الغصنُ الرطبُ

وقال آخر :

أبكي أخًا يتلقاني بنائله * قبل السؤال ويلق السِّيف من دوني

إن المنايا أصابني مصائبها * فاستعجلت بأخٍ قد كان يكفيني

وقرأت في كتاب للهند : رأس المودة الاسترسال .

وقال أكرم بن صيفي : مَن تراخى تألف، ومن تشدد نقر، والشرف التغافل .

وقال حاتم : العاقل فطن متغافل .

(١) العسر (بالضم وبضمين وبالفتح) : ضد اليسر .

وقرأت في كتاب للهند : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً^(١)

ولعدو صديقه عدوا . قال العتابي في ذلك :

تودُّ عدوى ثم تزعم أنني * صديقك ، إن الرأي عنك لعازب

وليس أخى من ودني رأى عينه * وليكن أخى من صدقته المغايب

٥ قيل لبزرجهر : أخوك أحب إليك أم صديقك ؟ قال : إنما أحب أخى

إذا كان صديقاً .

وقال بعضهم : إن أحب إخواني إلى ، من كثرت أياديهِ على^(٢) .

وقال رجل في أخ له .

وكنْتُ إذا الشدائدُ أرهقتني * يقوم لها وأقعد لا أقوم

وقال آخر :

أخ طالما سرّني ذكره * فأصبحتُ أشجى لدى ذكره

وقد كنت أغدو إلى قصره * فأصبحتُ أغدو إلى قبره

وكنْتُ أراي غنياً به * عن الناس لو مَدَّ في عمره

إذا جئتُه طالبا حاجةً * فأمرى يجوز على أمره

١٥ وصف أعرابي رجلا قال : كان والله يتحسّى مرار الإخوان ويسقيهم عذبه^(٣) .

وقال أعرابي^(٤) :

أخ لك ما تراه الدهر إلا * على العلاتِ بساما جوادا^(٥)

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٧ وهو الصواب ، وفي الأصل : « ولعدو عدوه عدوا » .

(٢) في الأصل « إن أحب إخواني على من كثرت أياديهِ إلى » . (٣) كذا بالأصل ، ولم نجد هذه

الصيغة في كتب اللغة التي بين أيدينا ، ولعله محرف عن « مر » المقابل للعذب ، وهو ما يقتضيه السياق .

(٤) هذه الأبيات نسبت في الأغاني لزياد الأعجم (ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق) . (٥) هو من

قوله : على علاته ، أي على كل حال .

سألناه الجزيل فما تَلَكَّا * وأعطى فوق مُنِينَا وزادَا
فأحسن ثم أحسن ثم عدنا : فأحسن ثم عدتْ له فعدا
مِرَارًا لا أعودُ إليه إلَّا * تبسم ضاحكًا وثنى الوسادَا

المودة بالتشاكل

بلغنى عن ابن عيينة أنه قال : قال ابن عباس : القرابة تُقَطَّعُ والمعروفُ يُكْفَرُ ،
ولم يُرَ كَتَقَارِبِ القلوب .

قال رجل للعرجية : جئتكَ أخطبُ إليك مودتك ، فقال : لا حاجة بك الى
الخطبة ، قد جاءتك زنا فهو ألدُّ وأحلى . وقال النُكَيْتُ بن معروف :

ما أنا بالتَّكْسِ الدَّنيء ولا الذى * اذا صد عنه ذو المودة يَقْرُبُ
ولكنه إن دام دمتُ وإن يكن * له مذهبٌ عني فلي عنه مذهبُ
ألا إن خيرَ الودِّ وُدُّ تطوَّعت * به النفس لا وُدُّ أتى وهو مُتَعَبُ

وقال الطائي :

ذو الودِّ مني وذو القُرْبى بمنزلة * وإخوتي أسوةٌ عندي وإخواني
عصابةٌ جاورتُ آدابهم أدبى * فهم وإن فُرقوا في الأرض جيرانى
أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وغدت * أبداننا لِشَامٍ (٢) أو خراسانِ

وقال عبد الله بن عبد الله بن عتبة لعمر بن عبد العزيز :

أين لي فكُنْ مثلى أو آتبع صاحبًا * كمثلك إني مُبتَغٍ صاحبًا مثلي

(١) فى الأصل : « جاورت » بالزاي ، والتصويب من ديوان أبى تمام . (٢) فى الأصل :

« لشام » والتصويب من ديوان أبى تمام .

عزيزُ إخواني ، لا يَنَالُ مَوَدَّتِي * من القوم إلا مسلمٌ كاملُ العقلِ
وما يَلْبَثُ الإخوانُ أن يتفَرَّقُوا * إذا لم يُؤَلَّفْ رُوحُ شَكلٍ إلى شَكلٍ

وقال الطائي :

وَلَنْ تَنْظِمَ الْعِقْدَ الْكَعَابَ لَزِينَةٍ * كَمَا يَنْظِمُ الشَّمْلَ الشَّيْثَ الشَّمَائِلُ
كتب بعضُ الكُتَّابِ إلى صديق له : إني صادفتُ منك جوهرَ نفسي ، فأنا
غيرُ محمودٍ على الاتِّقياد لك بغيرِ زمامٍ ، لأنَّ النفسَ يَتَّبِعُ بعضها بعضًا .

قال حدثني محمد بن داود قال حدثنا يزيد بن خَلْفٍ عن يعقوب بن كعب عن
بَقِيَّةٍ عن صَفْوَانَ بنِ عمرو عن شُرَيْحٍ عن أَبِي عُبَيْدٍ قال : كتب أبو الدَّرْدَاءِ إلى
سَلْمَانَ : إن تكن الدَّارُ من الدَّارِ بَعِيدَةً فَإِنَّ الرُّوحَ من الرُّوحِ قَرِيبٌ ، وطيرُ السَّمَاءِ
على إلفِهِ من الأرضِ يَقَعُ . ١٠

وقال أبو العتاهية :

يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ * إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ * دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلشَّكْلِ عَلَى الشَّكْلِ * مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ غَنًى لِلْعَيْنِ * أَنْ تَتَنَطَّقَ أَفْوَاهُ ١٠

وقال المساحقي :

يُزَهِّدُنِي فِي وَدَّكَ ابْنُ مُسَاحِقٍ * مَوَدَّتُكَ الْأَرْدَالُ دُونَ ذَوِي الْفَضْلِ
وَأَنْ شَرَّارَ النَّاسِ سَادُوا بِخِيَارِهِمْ * زَمَانُكَ ، إِنَّ الرَّذَالَ لِلزَّمَنِ الرَّذَلُ

باب المحبة

قال حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد عن ثور بن يزيد عن حبيب بن عبيد عن المقدم بن معديكر، وكان أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أحب أحدكم أخاه فليعلم أنه يحبه".

وحدثني محمد بن داود عن أبي الربيع عن حماد بن زيد عن ليث عن مجاهد قال: ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه. وثلاث من العي: أن تعيب على الناس ما تأتي، وأن ترى من الناس ما يخفى عليك من نفسك، وأن تؤذي جليسك فيما لا يعينك.

وكان يقال: لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً. أي لا تُسِرِف في حبك وبغضك. ونحوه قول الحسن: أحبوا هونا فإن أقواما أفرطوا في حب قوم فهلكوا. وكان يقال: من وجد دون أخيه سترًا فلا يهتكه.

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لطلحة الأسدي: قتلت عكاشة بن محصن! لا يُحبك قلبي! قال: فمعاشرة جميلة يا أمير المؤمنين، فإن الناس يتعاشرون على البغضاء.

وكتب رجل إلى صديق له: الشوق إليك وإلى عهد أيامك — التي حسنت بك كأنها أعياد، وقصرت بك حتى كأنها ساعات — يفوت الصفات، ومما جدد الشوق

وكثر دواعيه تصاقب الدار، وقرب الجوار، ثم الله لنا النعمة المتجددة فيك بالنظر الى الغرة المباركة التي لا وحشة معها ولا أنس بعدها .

قال الحسن : المؤمن لا يعيْفُ على مَنْ يُبغِضُ ولا يَأْثُمُ فيمن يُحِبُّ .

وقرأت في بعض الكتب : إنه ليبلغ من حسن شفاعَةِ المحبة أن الحبيب يُسِيءُ فَيُظَنُّ به الغلطُ وَيُذَنَّبُ فَيُحْتَجَّجُ له بالدَّالَّةِ ، وذنبُه لا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ ولا تَخْرَجُ له في جواز العقول .

وفيه : كُلُّ ذَنْبٍ إِذَا شِئْتَ أَنْ تَنْسَاهُ نَسِيَّتَهُ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَذْكُرَهُ ذِكْرَتَهُ ، فليس بخوفٍ . وليس الصغيرُ من الذنب ما صغره الحب ، وإنما الصغيرُ ما صغره العدل . وليس الذنبُ إلا ما [لا] ^(١) يصلح معه القلبُ ولا يزال حاضرا الدهر ، وإلا ما كان من نتاج اللؤم ومن نصيب المعاندة ، فأما ما كان من غير ذلك فإنَّ الغفرانَ يتغمده والحرمة تشفع فيه .

وكتب رجل الى صديق له في فصل من كتاب : لساني رطبٌ بذكرك ، ومكانك من قلبي معمورٌ بحببتك . ونحوه قولُ معقل أنحى أبي دلفٍ لخارقٍ :
لَعَمْرِي لئن قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أَعْيُنٌ : لَقَدْ تَخَيَّنَتْ بِالْبَيْنِ مِنْكَ عَيْونُ
فَيسروا قِمِّم ، وَقِفْ عَلَيْكَ مَوَدَّتِي * مَكَانَكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ

وقال رجل لشبيب بن شيبه : والله أحبك ، قال : وما يمنعك من ذلك وما أنت لي بجارٍ ولا أخٍ ولا قرابة ^(٢) ! يريد أن الحسد موكَّل بالأدنى فالأدنى .

(١) زيادة يقتضها المقام . (٢) في الأصل : « والله ما أحبك » بزيادة « ما »

وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٤) : « اني أحبك » بدون قسم ، ونسب هذا القول فيه لخالد بن صفوان .

(٣) ولا قرابة : أى ولا ذى قرابة ، وقد أنكر صاحب القاموس استعمال قرابة في مثل هذا الموضع بدون

إضافة . وتعقبه شارحه بأن استعماله بدون الإضافة جائز وورد في فصيح الكلام من أثر وشعر .

قال رجل لشهر بن حوشب : إني لأحبك قال : ولم لا تحبني وأنا أخوك
في كتاب الله ووزيرك على دين الله ومؤثقي على غيرك ! قال بشار :

همل تعلمين وراء الحب منزلة * تذكني اليك فإن الحب أقصاني

وقال غيره :

أحبك حبيب لي واحد * وحب لأناك أهل لذاكا

فأما الذي أنت أهل له * فحسن فضلت به من سواكا

وأما الذي في ضمير الحشا * فليست أرى الحسن حتى أراكا

وليس لي المن في واحد * ولكن لك المن في ذا وذاكا

وقال المسيب بن عابس :

وعين السخط تبصر كل عيب * وعين أنحى الرضا عن ذاك تعمى

ونحوه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فليست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا

وعين الرضا عن كل عيب كليله * ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقال بعض الخلفاء لرجل : إني لأبغضك ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يجزع

من فقد الحب المرأة ، ولكن عدل وإنصاف . وقال شريح :

خذني العفو متى تستدمني مودتي * ولا تطبق في سورتني حين أغضب

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى * إذا اجتمع لم يلبث الحب يذهب

وقال أعرابي : إذا ثبتت الأصول في القلوب نطقت الألسن بالفروع ،

ولا يظهر الود السليم إلا من القلب المستقيم .

وقال آخر : من جمع لك مع المودة الصادقة رأيا حازما ، فأجمع له مع المحبة

الخالصة طاعة لازمة .

قال اليزيدي : رأيتُ الخليل بن أحمد فوجدته قاعداً على طُنْفَسَةٍ^(١) ، فأوسع لي فكرهتُ التضييقَ عليه ، فقال : إنه لا يضيقُ سَمُّ الحياطِ على متحائينٍ ولا تَسعُ الدنيا مُتباغِضِينَ . وقال أبو زبيدٍ للوليد بن عقبة^(٢) :

مَنْ يَحْتَكِ الصَّمَاءَ أَوْ يَتَبَدَّلُ * أَوْ يَزُولُ مِثْلَمَا تَزُولُ الظَّلَالُ
فَأَعْلَمَنْ أَنِّي أَخُوكَ أَخُو الْعَهْدِ * بِدِ حَيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ
لَيْسَ بِحُلٍّ عَلَيْكَ مَنِّي بِمَالٍ * أَبَدًا مَا اسْتَقْلَّ سَيْفًا حِمَالُ^(٣)
فَلَمَّا النَّصْرُ بِالْأَسَافِ وَالْكَفُّ * إِذَا كَانَ لِلْيَدِينِ مَصَالُ
كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَمِلُ فِيهِ الرِّجَالُ * غَيْرَ أَنَّ لَيْسَ لِلنَّيَا أَحْتِمَالُ

وقال المُنَخَّلُ اليشكري :

وَأُحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي * وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

وذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : وَاللَّهِ لَكَائِ الْقُلُوبَ وَالْأَلْسَنَ رِيضَتْ لَهُ ، فَمَا تُعْقَدُ
إِلَّا عَلَى وَدَّهٍ ، وَلَا تَنْطِقُ إِلَّا بِحَمْدِهِ .

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ذَاتَ يَوْمٍ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُلِّ عَشِيرَةٍ مِنْ أَهْلِ
الْعِرَاقِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ صَرَفَ الدِّينَارَ بِالْدَّرْهَمِ ، فَقَالَ أَبُو حَاضِرٍ : مِثْلُنَا وَمِثْلُكَ
كَأَقَالِ الْأَعَشَى :

عَلَقْتُمَا عَرَضًا وَعُلَّقْتَ رَجُلًا * غَيْرِي وَعُلَّقَ الْآخَرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

(١) الطُنْفَسَةُ (مِثْلَةُ الطَّاءِ وَالْفَاءِ) : الْبَسَاطَةُ الَّتِي لَهُ خَمَلٌ رَقِيقٌ . (٢) فِي الْأَصْلِ :

«لَوْلَيْدُ بْنُ عَتَبَةَ» بِالنَّاءِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَأَبُو زَبِيدٍ هُوَ الْمُنْذَرُ بْنُ حَرْمَلَةَ الطَّائِيُّ كَانَ جَاهِلِيًّا قَدِيمًا وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ
إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسْلِمْ وَمَاتَ نَصْرَانِيًّا ، وَكَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ وَكَانَ نَدِيمَ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ (أَنْظَرَ كِتَابَ الشُّعَرِ وَالشُّعْرَاءَ
لِلْوَلَفِ) طَبَعَ لَيْدَنَ ص ١٦٧ (٣) فِي حِمَاةِ الْبَحْرِيِّ (طَبَعَ مَدِينَةُ لَيْدَنَ سَنَةِ ١٦٩٠) : «مَا أَقْبَلَ

نَعْلًا قَبَالَ» .

أحبك أهل العراق وأحببت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك
ابن مروان .

وقال عمر لأبي مريم السلولى : والله لا أحبك حتى تُحب الأرض الدّم ؛ قال :
فتمنعني لذلك حقاً ؟ قال : لا ؛ قال : فلا ضير . وقال عمر أيضاً لرجل هم بطلاق
أمراته : لِمَ تُطَلِّقُهَا ؟ قال : لا أحبها ؛ قال : أو كل البيوت بُنيت على الحب !
وأين الرعاية والتدبُّم^(١) ! .

قال أعرابي :

أحبك حباً أو بليت ببعضه * أصابك من وجدٍ على جنون^(٢)
لطيف مع الأحشاء أقامهارة * فسبت^(٣) وأما ليله فأنين

وكتب رجل الى صديق له : الله يعلم أنى أحبك لنفسك فوق محبتي إياك
لنفسى ، ولو أنى خيرت بين أمرين : أحدهما لى وعليك والآخر لك وعلى ، لا أثرت
المروءة وحسن الأحدوثة بإيثار حظك على حظى ؛ وإنى أحب وأبغض لك ، وأولى
وأعادى فيك .

وقال بعضهم : هون^(٣) فقد يفرط الحب فيقتل ويفرط الغم فيقتل ويفرط السرور
فيقتل ؛ وينفتح القلب للسرور ، ويضيق وينضم^(٤) للحنن والحب .

وقالوا : العشق أسم لما فضل عن المحبة . وقال بعضهم : العشق مرض
قلب ضَعَف^(٤) . وقال بعض الشعراء :

فتم على معشوقة لا يزيدُها * إليه بلاءُ السوء إلا تحبب

(١) التدبم للصاحب : أن يحفظ ذمامه وي طرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

(٢) السبت : السكون والراحة . (٣) هون : خفف وأرفق ، وفي الأصل : « أهون » .

(٤) هو الأعشى كما فى اللسان مادة « تم » ، ومعنى « تم » أكمل وأجهز .

ما يجب للصديق على صديقه

حدثنا أحمد بن الحليل قال حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن
 ابن إسحاق عن الحارث عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال النبي صلى
 الله عليه وسلم : ^(١) «للمسلم على المسلم خصال ست : يسلم عليه إذا لقيه ، ويحييه
 إذا دعاه ، ويسمته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، ويحضر جنازته إذا مات ،
 ويحب له ما يحب لنفسه» .

قال حدثني شبابة قال حدثنا القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن هشام
 ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 «أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ، إن كان مظلوماً نؤذ له بحقه وإن كان ظالماً نؤذ له
 من نفسه» .

وحدثني القومسي ^(٢) قال حدثنا أبو بكر الطبري عن عبد الله بن صالح عن معاوية
 ابن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن بكير قال قال معاذ بن جبل : إذا آخيت
 أخاً فلا تماره ولا تشاره ^(٣) ولا تسأل عنه ، فعمى أن توافق عدواً فيخبرك بما ليس فيه
 فيفرق بينكما .

وقال النمر بن تولب في هذا المعنى :

جزي الله عنا حمزة بنه ^(٤) نوفل * جزاء مغفل ^(٥) بالأمانة كاذب
 بما سألت عني الوشاة ليكذبوا * علي وقد وليتها في النوائب

(١) في الجامع الصغير : «للمسلم على المسلم ست بالمعروف : يسلم عليه ...» : (٢) نسبة إلى
 قومس (بضم القاف وفتح الميم ، وضبطه الصاغاني بكسر الميم وهو المشهور على السنتهم) صقع كبير بين خراسان
 وبلاد الجبل . (٣) لا تماره : لا تجادله ، ولا تشاره : لا تلاحه وتغاضبه . (٤) في الأصل :
 «حمزة ابن نوفل» والتصويب عن اللسان مادة «غل» . (٥) المغفل : من الإغفلان ،
 وهو الخيانة .

قال حدثني محمد بن داود [قال] حدثني سعد بن منصور عن جرير عن عبد الحميد عن عنبسة قال قال ابن سيرين : لا تُكْرِم أَخاك بما يكره ، ولا تَحْمِلَنَّ كُتَابا إلى أمير حتى تعلم ما فيه .

وكان يقال : يُسْتَحْسَنُ الصَّابِرُ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا عَنِ الصَّدِيقِ .

وقال بعض الشعراء :

إذا ضَيَّقْتَ أَمْرًا ضَاقَ جِدًّا * وإن هَوَّنْتَ مَا قَدَ عَنَّا هَانَا
فلا تَهْلِكْ بِشَيْءٍ فَاتَ يَأْسًا * فكم أَمْرٌ تَصْعَبُ ثُمَّ لَا نَأَى
سأصبر عن رفيقٍ إن جفاني * على كلِّ الأذى إلا الهوانا

وقال ابن المقفع : أبذل لصديقك دَمَكَ وَمَالَكَ ، ولمعرفتك رِفْدَكَ وَمَحْضَرَكَ ،

وللعامةِ بِشْرَكَ وَتَحِيَّتَكَ ، ولعدوكَ عَدْلَكَ ، وَضَنَّ بَيْدِيكَ وَعِرضَكَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ .

قال أبو اليقظان : وليَّ خالد بن عبد الله بن أبي بكرٍ قضاء البصرة بفعل يُحَابِي ،

فقليل له في ذلك ؛ فقال : وما خيرُ رجلٍ لا يَقْطَعُ لأخيه قِطْعَةً من دينه ! .

قالوا : وقَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على عَجْوٍ ، فقال : ” إنها كانت

تأتيننا أيامَ خديجة ، وإنَّ حسنَ العهد من الإيمان ” .

قال إبراهيم النخعي : إنَّ المعرفةَ لتَنفَعُ عند الأسدِ الهَـصُورِ والكَلْبِ العَقُورِ .

فكيف عند الكريمِ الحَسِيبِ ! . وقال الخليل بن أحمد :

وَفَيْتُ كُلَّ صَدِيقِي وَدَنِي ثَمَنًا * إِلَّا الْمُؤَمِّلَ دُولَاتِي وَأَيَّامِي

وقال عمر بن أبي ربيعة في مساعدة الصديق :

وِخْلٌ كُنْتُ عَيْنَ النَّصِيحِ مِنْهُ * إِذَا نَظَرْتُ وَمُسْتَمِعًا سَمِيعًا

أطاف بِغِيَّةٍ فَنَهَيْتُ عَنْهَا * وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمْرًا شَدِيدًا
أَرَدْتُ رِشَادَهُ جُهْدِي فَلَمَّا * أَبَى وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا

وقال بعض الكوفيين :

فَإِنْ يَشْرَبُ أَبُو فَرْوَخٍ أَشْرَبَ * وَإِنْ كَانَتْ مُعْتَقَةً عُقَارًا
وَإِنْ يَأْكُلُ أَبُو فَرْوَخٍ آكَلَ * وَإِنْ كَانَتْ خَنَانِيصًا صِغَارًا

وقال رجل من الأعراب لأخيه له : أَمَا وَاللَّهِ رَبِّ يَوْمِ كَثُورِ الطَّاهِي رَقَائِصِ
بِشْرَارِهِ ، قَدْ رَمَيْتُ بِنَفْسِي فِي أَجِيحٍ لَهِيَّةٍ فَأَحْتِمِلْ مِنْهُ مَا أَكْرَهُ لِمَا تُحِبُّ (٢) .

وأُشْدَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ :

أَغْمَضُ لِلصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي * مَخَافَةً أَنْ أَعِيشَ بِبَلَا صَدِيقٍ

وقال كُثَيْرٌ :

وَمَنْ لَا يُغْمِضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ * وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَاتِبُ
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ * يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ

وقال آخر :

إِذَا مَا صَدِيقِي رَأَيْتُ سُوءَ فِعْلِهِ * وَلَمْ يَكُ عَمَّا سَاءَ فِي بَغْفِيْقِي
صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِيْبُنِي * مَخَافَةً أَنْ أَبْقَى بَغِيرَ صَدِيقِي

ومن المشهور في هذا قول النابغة :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلْمُهُ * عَلَى شَعَثِ أَىِّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ

(١) الخنايص : جمع خنوص وهو ولد الخنزير . (٢) في الأصل : « لما يحب » بالراء

وكان يقال : مَنْ لَكَ بِإِخِيكَ كُتَّةٌ ، وَأَنْشَدَنِي الرِّيَاشِيُّ :

إِقْبَلْ أَخَاكَ بِبَعْضِهِ * قَدْ يُقْبَلُ الْمَعْرُوفُ تَرَرًا
وَأَقْبَلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ * إِنْ سَاءَ عَصْرًا سَرَّ عَصْرًا

ونحوه قول الآخر :

أَخٌ لِي كَأَيَّامِ الْحَيَاةِ إِخَاؤُهُ * تَلَوْنَ أَلْوَانًا عَلَى خُطُوبِهَا
إِذَا عِبْتُ مِنْهُ خَلَّةً فَهَجَرْتُهُ * دَعَتْنِي إِلَيْهِ خَلَّةٌ لَا أَعِيبُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

إِصْبِرْ إِذَا عَضَّكَ الزَّمَانُ ، وَمَنْ * أَصْبِرْ عِنْدَ الزَّمَانِ مِنْ رَجُلِهِ
وَلَا تُنْ لِلصَّدِيقِ تُكْرِمُهُ * نَفْسَكَ حَتَّى تُعَدَّ مِنْ خَوْلِهِ
يَجْمَلُ أَثْقَالَهُ عَلَيْكَ كَمَا * يَجْمَلُ أَثْقَالَهُ عَلَى جَمَلِهِ
وَلَسْتَ مُسْتَبْقِيًا أَخَاكَ لَا * تَصْفَحْ عَمَّا يَكُونُ مِنْ زَلَالِهِ
لَيْسَ الْفَقِي بِالَّذِي يَحُولُ عَنِ الشَّعْهَدِ وَيُؤْتِي الصَّدِيقُ مِنْ قِبَالِهِ

وقيل لخالد بن صفوان : أَيْ إِخْوَانُكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الَّذِي يَغْفِرُ زَلَالِي ،

وَيَقْبَلُ عَلَيَّ وَيَسُدُّ خَلَالِي .

وقال بشار :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى * ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

وقال الحرث بن أبي دلف :

تَمَلَّكَ إِنْ كُنْتَ ذَا إِرْبَةٍ * مِنَ الْعَالَمِينَ لَشَيْخٍ وَصِيفٍ

(١) كذا بالأصل ، ولعله : « رَأَقْلُ أَخَاكَ » من إقائلته العثرة والصفح عنه . (٢) في حماسة

البحرئى : « وَلَا تَهِنْ لِلنِّيمِ » . (٣) في الأصل : « فَاَصْفَحْ » . (٤) في الأصل : « الْفَدَى » .

(٥) العلل : الأعذار . (٦) كذا ورد بالأصل ، ولم نوفق إليه في مصدر آخر .

الإنصاف في المودة

كان يقال : لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له .

وقال جرير :

وإني لأستحيي أخى أن أرى له ^(١) * على من الحق الذي لا يرى لي

وله أيضا ^(٢) :

إذا أنت لم تُصِف أخاك وجدته * على طارف الهجران إن كان يعقل

ويركب حدّ السيف من أن تضيمه * إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل ^(٣)

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني * يمينك ، فأنظر أي كف تبطل

وقال آخر ^(٤) :

يا ضمير أخبرني ولست بخبري * وأخوك نافعك الذي لا يكذب

هل في القضية أن إذا استغنيت * وأمنتم فأنا البعيد الأجنب

وإذا الشدائد بالشدائد مرة * أشجيتكم فأنا المحب الأقرب

عجبا لتلك قضية وإقامتي * فيكم على تلك القضية أعجب

ولمّا لكم طيب البلاد ورعيها ^(٥) * ولي الثماد ورعيهن المجذب

١٥ (١) أستحيي : آنف . (٢) نسب المؤلف هذا الشعر لجرير ، وفي الحماسة طبع أوربا ص ٥٠٣ .

ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (طبع بولاق ص ٦٩٤) أنه لمن بن أوس المزني . (٣) في الأصل :

« يعدل » والتصويب عن حماسة البحرى ، وفي حماسة أبي تمام : « مزحل » . (٤) قال في اللسان

مادة « حيس » : « هو لحنى بن أحمر الكنانى وقيل : هو لزاقة الباهلى » . (٥) ورد هذا البيت

في اللسان مادة « حيس » وشواهد العيني هكذا :

ولجندب سهل البلاد وعذبا * ولي الملاح وخزنها المجذب

٢٠

ثم قال العيني : « ويروى (ولمّا لكم أنف البلاد ورعيها) ، والمراد بالمال هنا الإبل ، وبالأنف :

ما لم يرع من النبت ، والرعى : المرعى » . وفي الأصل : « المالك » وهو تحريف . (٦) الثماد :

جمع ثمّد (بالفتح وبالتحريك) وهو الماء القليل الذي لا مادة له ، وفي الأصل : « ولى الثمار » بالراء

وهو تحريف .

وإذا تكونت كريمة أدعى لها * وإذا يئس الحيس يدعى جندب^(١)
هذا لعمركم الصغار بعينه * لا أم لي إن كان ذاك ولا أب
وقال ابن عيينة : سئل على كرم الله وجهه عن قول الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) ، فقال : العدل : الإنصاف ، والإحسان : التفضل .

وقال الشاعر :

صَبَغَتْ أُمِّيَّةٌ فِي الدَّمَاءِ رِمَاحَنَا * وَطَوَتْ أُمِّيَّةٌ دُونَنَا دُنْيَاهَا
ويقال : مَنْ سَنَّ سُنَّةً فَلْيَرْضَ أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهِ بِهَا ، وَمَنْ سَأَلَ مَسْئَلَةً فَلْيَرْضَ
بِأَنْ يُعْطَى بِقَدْرِ بَذَلِهِ .

وقال أبو العتاهية :

١٠ إذا ما لم يكن لك حُسْنُ فَهْمٍ * أَسَأَتْ إِجَابَةً وَأَسَأَتْ سَمْعًا
وَلَسَتْ الدَّهْرَ مُتَّسِعًا بِفَضْلٍ * إِذَا مَا ضِقَّتْ بِالْإِنْصَافِ ذُرْعًا
وقال حماد بن عمار :

لَيْتَ شِعْرِي أَيْ حَكْمٍ * قَدْ أَرَأَيْتُمْ تَحْكُمُونَا
أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطٍ * بَيْنَ وَأَنْتُمْ تَأْخُذُونَا

وقال آخر :

١٥ إِذَا كُنْتَ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْرِفُ حَقَّهُ * وَيَجْهَلُ مِنْكَ الْحَقُّ فَالْتَرِكُ أَجْمَلُ
وَفِي الْعَيْشِ مَنَاجَاةٌ فِي الْمَجَرِّ رَاحَةٌ * وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُوَاتِيكَ مَرَحِلُ^(٢)

(١) الحيس : التمر والأقط يدقان ويعجان عجنا شديدا ثم يسوى ذلك كالتريد . وفي الأصل :

« وإذا يجاش الحيش » بالميم والشين ، وهو تحريف . (٢) المرحل : المكان

الذي يرتحل إليه ، ويحتمل أن يكون " مرحل " بالزاي بدل الراء ، والمرحل : المكان الذي

ينتقل إليه .

وقال بشار :

إِن كُنْتَ حَاولَتْ هَوَانًا فَمَا * كُنْتُ وَمَا فِي الْهُونِ لِي مِنْ مَقَامٍ
فِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَلِي مَرَحِلٌ * ^(١) عَنْ مَرْبِ نَاءٍ وَمَرْغَى وَخَامٍ ^(٢)
لَا نَائِلٌ مِنْكَ وَلَا مَوْعِدٌ * وَلَا رَسُولٌ ، فَعَلَيْكَ السَّلَامُ
وقال آخر : ^(٣)

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ * وَمِمَّا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَمِيلُ
وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يَرَى حَقُّوْقًا * ^(٤) عَلَيْهِ لَغَيْرِهِ وَهُوَ الرَّسُولُ
وقال أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : أَحَقُّ مَنْ يَشْرُكُكَ فِي النَّعَمِ شُرَكَائُكَ فِي الْمَكَارِهِ .
أَخَذَهُ دَعِيلٌ فَقَالَ :

وَإِنَّ أَوْلَى الْبَرَايَا أَنْ تُوَاسِيَهُ * عِنْدَ السُّرُورِ لَمَنْ آسَاكَ فِي الْحَزَنِ ^(٥)
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا * مَنْ كَانَ يَأْلُقُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِينِ
وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

فَإِنْ آثَرْتَ بِالْوَدِّ أَهْلَ بِلَادِهَا * عَلَى نَازِحٍ مِنْ أَهْلِهَا لَا أَلُومَهَا
فَلَا يَسْتَوِي مَنْ لَا تَرَى غَيْرَ لَمَةٍ * ^(٦) وَمَنْ هُوَ ثَائِرٌ عِنْدَهَا لَا يَرِيْمَهَا
وقال رجلٌ لبعض السُّلْطَانِ : أَحَقُّ النَّاسِ بِالْإِحْسَانِ مَنْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ ،
وَأَوْلَاهُمْ بِالْإِنْصَافِ مَنْ بَسِطَتْ الْقُدْرَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَاسْتَدِمَ مَا أُوتِيَتْ مِنَ النِّعَمِ بِتَأْدِيَةٍ
مَا عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ .

قال المَسْتَهْزِلُ بْنُ الْكُمَيْتِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ :

إِذَا نَحْنُ خِفْنَا فِي زَمَانٍ عَدُوِّكُمْ * وَخِفْنَا كُمْ إِنَّ الْبَلَاءَ لَرَأَكُدُ

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ بالصفحة السابقة . (٢) المرعى الوخام : الذي لا ينتجع كلؤه لسوته .

(٣) هو عبد الله بن مصعب الزبيري ويسمى عائداً الكلب ، قاله في عهد الله بن حسن بن حسن (انظر

الكامل للبرد طبع أوروبا ص ٣١) . (٤) كذا في الكامل . وفي الأصل : «لأهلها» .

(٥) (انظر العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٧) فقد ورد فيه هذا البيت ببعض مخالفة عما هنا .

(٦) الله : المرة من الإلمام ، والإلمام الزيارة غبا . ولا يريمها : لا يفارقها ولا يتحول عنها .

مدارة الناس وحسن الخلق والحوار

قال حدثنا الحسين بن الحسن [قال] حدثنا عبد الله بن المبارك عن وهيب^(١) قال : جاء رجل الى وهب بن منبه فقال : إن الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه ، وقد حدثت نفسي ألا أخالطهم ؛ فقال له وهب : لا تفعل ، فإنه لا بد للناس منك ولا بد لك منهم ؛ لهم إليك حوائج ، ولك اليهم حوائج ، ولكن كن فيهم أصم سميعاً ، وأعمى بصيراً ، وسكوتاً تطوقاً .

قال وحدثنا حسين بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن علي^(٢) ابن رباح قال : سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أربع خصال^(٣) إن أعطيتن فلا يضرك ما عدل به عنك من الدنيا : حسن خليقة^(٤) ، وعفاف طعمة ، وصدق حديث ، وحفظ أمانة .

قال : وبلغني عن وكيع عن مسعر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن باباه قال : قال عبد الله بن مسعود : خالطوا الناس وزايلوهم^(٥) .

عن وكيع عن سفيان عن حبيب بن ميمون قال : قال صعصعة بن صوحان لابن أخيه : إذا لقيت المؤمن خالطه^(٦) ، وإذا لقيت الفاجر تخالفه ، ودينك فلا تكلمنه . قال المسيح صلى الله عليه : «وكن وسطاً وأمش جانباً» .

(١) في الأصل : « فقد » . (٢) كذا ضبطه في تهذيب التهذيب بالتصغير .

(٣) في الأصل : « رباح » بالياء المثناة ، والتصويب عن تهذيب التهذيب . (٤) الطعمة : وجه

الكسب طيباً أو خبيثاً . (٥) كذا في النهاية لابن الأثير . وزايلوهم : فارقوهم . وفي الأصل :

« وزايلوهم » . (٦) كذا في العقد الفريد ، وفي الأصل : « تخالفه » بالصاد ، وخالفه في العشرة :

صافاه . وهذا المعنى وإن صح على الجملة فالخالطة في هذا المقام أنسب .

وروى أبو معاوية عن الأحموص بن حكيم عن أبي الزاهرية قال قال
أبو الدرداء : إنا لنكش^(١)ر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم .

ودخل لبدة العجل^(٢) على عمر رضي الله عنه ، فقال له عمر : أقتلت زيدا ؟
فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قتل رجل يسمى زيدا ، فإن يكن أخاك فهو الذي
أكرمه الله بيدي ولم يهني به ، ثم لم ير من عمر بعد ذلك مكروها .

قال محمد بن أبي الفضل الهاشمي : قلت لأبي : لم تجلس إلى فلان وقد عرفت
عداوته ؟ فقال : أخي نارا وأقدح عن ود . وقال المهاجر بن عبد الله الكلابي :
وإني لأقضي المرء من غير بغضة * وأدني أخا البغضاء مني على عميد
ليحدث ودا بعد بغضاء أو أرى * له مصراعا يردى به الله من يردى

وقال عقاب بن شبة : كنت رديف أبي ، فلقية جرير على بغل فياه أبي والطفه ،
فلما مضى قلت : أبعد ما قال لنا ما قال ! قال : يا بني ، أفأوسع جرحي ! .

قال ابن الحنفية : قد يدفع باحتمال مكروه ما هو أعظم منه .
قال الحسن : حسن السؤال نصف العليم ، ومداواة الناس نصف العقل ،
والقصد في المعيشة نصف المؤونة .

مدح ابن شهاب شاعرا فأعطاه ، وقال : من أبتغي الخير أتق الشر .

(١) الكشر : ظهور الأسنان للضحك يقال : كشره إذا ضحك في وجهه وبأسطه . وفي رواية

« وإن قلوبنا لتقلهم » بدل « تلعنهم » . (٢) لم نثر على هذا الاسم وقد راجعنا ترجمة زيد بن

الخطاب في كتاب الطبقات الكبير لابن سعد وفي تهذيب التهذيب لابن حجر ، وفيهما أن زيدا كان يحمل راية
المسلمين يوم اليمامة وجعل يشتد بالراية ويتقدم بها في نحر العدو ثم ضارب بسيفه حتى قتل ، وقيل إن قاتله

الرحال بن عوف كما قيل إنه أبو مريم الحنفى .

وفي الحديث المرفوع : «أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ» . وقال : إِنَّ
حَسَنَ الْخُلُقِ وَحُسْنَ الْجَوَارِ يُعْمَرَانِ الدِّيارَ ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ . وقال : مَنْ حَسَّنَ
اللَّهُ خَلْقَهُ وَخُلُقَهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

قال الشاعر :

فَتَى إِذَا نَبَّهَتْهُ لَمْ يَغْضَبِ * أَبْيَضُ بَسَامٍ وَإِنْ لَمْ يَعْجَبِ
مُوكَلُّ النَّفْسِ بِحِفْظِ الْغَيْبِ * أَقْصَى رَفِيقِيَّةٍ لَهُ كَالْأَجْنَبِ^(١)

وقرأتُ في كتب العجم : حُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ قَرِينٍ ، وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ ،
والتَّوْفِيقُ خَيْرُ قَائِدٍ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : مَا ثَبَّالِي الْمَرْأَةُ إِذَا نَزَلَتْ بَيْنَ بَيْتَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ
صَالِحِينَ إِلَّا تَنَزَّلَ مِنْ أَيْوِيهَا .

وقال جعفر بن محمد : حُسْنُ الْجَوَارِ نِعْمَةٌ لِلدَّارِ ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ مَثْرَاءٌ لِلْمَالِ .
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ثَلَاثَةٌ مِنْ قَرِيشٍ أَحْسَنُهَا أَخْلَاقًا وَأَصْبَحُهَا
وَجُوهًا وَأَشَدُّهَا حَيَاءً ، إِنْ حَدَّثْتُكَ لَمْ يَكْذِبْكَ ، وَإِنْ حَدَّثْتَهُمْ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ لَمْ يُكْذِبْكَ :
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وقال يزيد بن الطَّحْرِيَّةِ :

وَأَبْيَضُ مِثْلِ السِّيفِ خَادِمِ رُفْقَةٍ * أَشَمُّ تَرَى سِرْبًا لَهُ قَسْدٌ تَقَدَّدَا^(٢)
كَرِيمٍ عَلَى عِلَاتِهِ لَوْ تَسُبُّهُ * لَفَدَاكَ رِسَالًا لَا تَرَاهُ مُرَبَّدَا^(٣)
يُجِيبُ بِلَبِّيهِ إِذَا مَا دَعَوْتَهُ * وَيَحْسِبُ مَا يُدْعَى لَهُ الدَّهْرُ أَرْشَدَا^(٤)

(١) لعله : « كالأقرب » ليستقيم المعنى . (٢) تقدد : تقطع وبلى . (٣) في الشعر والشعراء :

« غزاته » . (٤) مربد : متغير الوجه من الغضب . (٥) كذا بالأصل ، والأصل في هذه
الكلمة أن تضاف إلى ضمير المخاطب (انظر شرح الأشموني على الألفية في باب الإضافة) .

وقرأت في كتاب للهند : مَنْ تَرَوَّدَ نَحْسًا بَأَنَّهُ وَآدَسَتْهُ : كَفَّ الْأَذَى ، وَحَسَنَ الْخُلُقَ ، وَجَانِبَةُ الرَّيْبِ ، وَالنَّبَلُ فِي الْعَمَلِ ، وَحَسَنُ الْأَدَبِ .
وقال المترادف في مداراة القرابة :

أَلَا إِنَّمَا الْمَوْلَى كَعَظِيمِ جَبَرَّتُهُ : فَلَا يَخْرُقُ الْمَوْلَى وَلَا جَابِرُ الْعَظَمِ

وقال آخر في مداراة الناس :

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ : إِذَا شِئْتُ لَا قِيْتُ أَمْرًا لَا أَشَاءُ كُهُ
فَخَامَقْتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ : وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ
وقال بشار :

خَلِيلِي إِنْ الْعَسْرَ سَوْفَ يُفِيْقُ : وَإِنْ يَسَارًا فِي غَيْدٍ نَخْلِقُ
وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا : صَحَوْتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمَانُ أَمُوتُ

التلاقي والزيارة

حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا الفضل بن دكين عن طلحة بن عمر عن عطاء
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «زُرْ غِيًّا تَزِدْ حُبًّا» .

وقال الأصمعي : دخل حبيب بن سويد على جعفر بن سليمان بالمدينة ، فقال
جعفر : حبيب بن سويد وأد الصديق ، حَسَنُ الثَّنَاءِ ، يَكْرَهُ الزِّيَارَةَ الْمُعِلَّةَ ، وَالْقَعْدَةَ
الْمُنْسِيَةَ .

وقرأت في كتاب للهند : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ تَزِيدُ فِي الْأُنْسِ وَالثِّقَةِ : الزِّيَارَةُ فِي الرَّحْلِ ،
وَالْمُؤَاكَلَةُ ، وَمَعْرِفَةُ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ .

وقال الطائي :

وَحَظَّتْكَ لَتَمِيَّةٌ فِي كُلِّ عَائِمٍ : مُوَافَقَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

(١) الرجل : منزل الرجل ومسكنه وبنته ، يقال : دخلت على الرجل رحله أي منزله .

قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الصواف عن موسى بن يعقوب السدوسي عن أبي السنان عن عثمان بن أبي سودة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مِمَّشَاكَ تَبَوَّاتٌ مِنَ الْجَنَّةِ مِثْلًا " .

كتب رجل الى صديق له : مَثَلُنَا ، أَعَزَّكَ اللهُ ، فِي قُرْبِ تَجَاوُرِنَا وَبُعْدِ تَرَاوُرِنَا ٥
ما قال الأول :

ما أَقْرَبَ الدَّارَ وَالْجَوَارَ وَمَا * أَبْعَدَ مَعَ قُرْبِنَا تَلَاقِينَا
وَكُلُّ غَفْلَةٍ مِنْكَ مُحْتَمَلَةٌ ، وَكُلُّ جَفْوَةٍ مَغْفُورَةٌ ، لِلشَّغْفِ بِكَ ، وَالشُّقَّةِ بِحَسَنِ نَيْتِكَ ، وَسَأْخِذْ بِقَوْلِ أَبِي قَيْسٍ :
(١)

وَيُكْرِمُهَا جَارَتُهَا فَيُزْرِئُهَا * وَتَعْتَلُّ عَنْ إِيْتَانِهِنَّ فَتَعْذُرُ ١٠

وقالت أعرابية :

فَلَا تَحْمَدُونِي فِي الزِّيَارَةِ إِنِّي * أَزُورُكُمْ إِذْ لَمْ أَجِدْ مُتَعَلِّلًا
وكتب رجل الى صديق له يستزيره : طَالَ الْعَهْدُ بِالْاجْتِمَاعِ حَتَّى كِدْنَا نَتَنَاكُرُ
عِنْدَ التَّلَاقِ ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ لِلْسَّرُورِ نِظَامًا ، وَلِلْأُنْسِ تِمَامًا ، وَجَعَلَ الْمَشَاهِدَ مُوَحِّشَةً
إِذْ خَلَّتْ مِنْكَ . ١٥

وقال سهل بن هارون :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَطُولَ بَنَائِلُ * وَإِلَّا لِقَاءُ الْمَرْءِ ذِي الْخُلُقِ الْعَالِيِ ،

(١) هو أبو قيس بن الأسلت والأسلت ، لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم بن وائل الخ (أنظر الأغاني ج ١٥ طبع بولاق) . (٢) كذا في خزانة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٤٨ والأغاني ج ١٥ ص ١٦٦ طبع بولاق ، وفي الأصل « ويكرمها » بإثبات النون وهي لغة رديئة . ٢٠

وقال بشار :

تسقط الطيرُ حيث تلتقطُ^(١) الحبُّ وتُغشى منازلُ الكرماءِ
قال رجل لصديق له : قد آصديتُ للقائك غيرَ مرة فلم يُقضى ذلك ، فقال له
الآخر : كلُّ برٍّ تأتيه فأتى عليه .

قال ابن الأعرابي :

وأرمي إلى الأرض التي من ورائكم * لترجعني يوماً عليك الرواجع
وقال آخر :

رأيتُ أخا الدنيا وإن بات آمناً * على سفرٍ يسرى به وهو لا يدري
تثقلتُ إلا عن يدٍ أستفيدُها * وزورة ذى ودٍّ أشدُّ به أذى

وقال آخر :

أزورُ محمداً وإذا التقينا * تكلمتِ الضمائرُ في الصدورِ
فارجعُ لمُئسسه ولم يلمني * وقد رضى الضميرُ عن الضميرِ
كان سفيانُ بن عُيينة يقول : لا تعفروا الأقدامَ إلا إلى أقدارها ، وأنشد :
نضعُ الزيارةَ حيث لا يُزرى بنا * شرفُ الملوكِ ولا تخبُّ الزورُ^(٢)

وكان يقال : أمشِ ميلاً وعدَّ مريضاً ، وامشِ ميلين وأصلح بين اثنين ، وآمشِ
ثلاثة أميال وزرُ أخا في الله .

وقال بعض المحدثين :

إذا شئت أن تُقلى فزر متابعاً * وإن شئت أن تزداد حبا فزر غيباً

(١) الذي في الأغاني في ترجمة بشار : « يَنسُرُ الحبَّ » . (٢) في الأصل : « يضع

وقال آخر :

أَقْلَلْ زِيَارَتَكَ الصَّيْدِ * بَقَى يَرَاكَ كَالثُّوبِ اسْتَجْدَهُ^(١)
إِنَّ الصَّدِيقَ يُمِثُّهُ * إِلَّا يَزَالُ يَرَاكَ عِنْدَهُ

قال رجل لصديق له : ما أخلو وإن كان اللقاء قليلا من سؤال أو مطالعة
لك ، فقلبي يقوم مقام العيان .

وقال آخر لصديق له : قد جمعنا وإياك أحوال لا يُزرى بها بعد اللقاء ولا يُخل
بها تنازع الديار .

وقال آخر : لولا ما في بديه اللقاء من الحيرة والتعريض به قبل معرفة العين
لجفوة ، لم أتوقف على مطالعة حتى أصير اليك .

وقال الشاعر :

وَمَالِي وَجْهٌ فِي اللَّئَامِ وَلَا يَدٌ * وَلَكِنْ وَجْهِي فِي الْكِرَامِ عَرِيضُ
أَصْحٍ إِذَا لَاقَيْتُهُمْ وَكَأَنِّي * إِذَا أَنَا لَاقَيْتُ اللَّئَامَ مَرِيضُ

وقال علي بن الجهم :

أَبْلِغْ أَخَا مَا تَوَلَّى اللَّهُ صَحْبَتَنَا * أَنِّي وَإِنْ كُنْتُ لَا أَلْقَاهُ أَلْقَاهُ
وَأَنْ طَرَفِي مَوْصُولٌ بِرُؤْيَيْهِ * وَإِنْ تَبَاعَدَ عَن مَشَايَ مَشَوَاهُ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَذْكُرُهُ * وَكَيْفَ أَذْكُرُهُ إِذْ لَسْتُ أَنْسَاهُ

(١) كذا في نهاية الأرب ج ٢ ص ٢٥٨ طبع دار الكتب المصرية ، وقد نسب فيه هذا الشعر لمسلم بن

الوليد وفي الأصل : « تكن كشوب تستجده » .

المعائبة والتجنى

قال حنثا محمد بن داود عن المضاء عن فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر
قال قال أبو الدرداء : معائبة الأخ خير من فقدته ، ومن لك بأخيك كله ! .
وكان يقال : التجنى وافد الصرم .

وقرأت في الإنجيل : إن ظلمك أخوك فأذهب فعايبه فيما بينك وبينه ، فإن
أطاعك فقد رجت أخاك وإن هو لم يطعك فاستتبع رجلا أو رجلين يشهدان ذلك
الكلام ، فإن لم يستمع فإنه أمره إلى أهل البيعة ^(١) ، فإن لم يستمع من أهل البيعة
فليكن عندك كصاحب المكس .

وقال ابن أبي قتيب :

إذا كنت تغضب من غير ذنب * وتعتب من غير جرم عليا
طلبت رضاك فإن عزني * عددتكم ميتا وإن كنت حيا
قنيت وإن كنت ذا حاجة * فأصبحت من أكثر الناس شيا
فلا تعجبن بما في يديك * فأكثر منه الذي في يديا

وقال أبو نهشل يعاتب صديقا له :

عدلت عن الرحاب إلى المضيق * وزرت البيت من غير الطريق
وتظلم عند طاعتك الموالى * وليس الظلم من فعل الصديق
تجود بفضل عدلك للأقاصى * وتمنع من الحل الشفيق
أما والراقصات بذات عرق ^(٢) * ورب البيت والركن الوثيق ^(٣)
لقد أطلقت لي تهما أراها * ستحملي على مفض العقوق

(١) البيعة : (بالكسر) متعبد النصارى . (٢) الراقصات : النوق ، لأنها ترقص في خبيها .
(٣) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

وقال آخر :

فدع العتاب فرب شر هاج أوله العتاب

وقال الجعدي :

وكان الخليل إذا راني * فعاتبته ثم لم يعتب^(١)

هوى له وهوى قلبه * سوى وما ذاك بالأصوب

فإني جرىء على صرمة * إذا ما القرينة لم تصحب^(٢)

قال رجل لصديق له يعاتبه : ما أشكوك إلا إليك ، ولا أستبطئك إلا لك ،
ولا أستريدك إلا بك ، فأنا منتظرٌ واحدة من آنتين : عتبي تكون منك ، أو عقتي
الغنى عنك .

وقال آخر : قد حيت جانب الأمل فيك وقطعت الرجاء لك ، وقد أسلمني
اليأس منك إلى العزاء عنك ، فإن نزعته من الآن فصفح لا تثریب فيه ، وإن
تماديت فهجر لا وصل بعده .

وقال بعض الشعراء :

ولا خير في قربي لغيرك نفعها * ولا في صديق لا تزال تعاتبه

يخونك ذو القربى مرارا وربما * وفي لك عند الجهد من لا تناسبه^(٣)

وقال آخر وهو أوس بن حجر :

وقد أعتب ابن العم إن كان ظالما * وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلا

وكتب رجل إلى صديق له : الحال بيننا تحتل الدالة ، وتوجب الأئس والثقة ،

وتبسط اللسان بالاستزادة .

(١) أي لم يرضى ، من أعتب الرجل صاحبه إذا أرضاه . (٢) القرينة هنا : النفس ،
وأصحت : انقادت .

وكتب رجل آخر إلى صديق له : قد جعلك الله ممن يحتمل الدالة الكبيرة
لدى الحرمة اليسيرة ، ورفعك عن أن تبلغ استزادة المستريد بعنف الحجة ،
والعرب تقول لمن عوتب فلم يعتب : « لك العتي بأن لا رضيت »^(١) .

ونحوه قول بشر بن أبي خازم :

غَضِبْتُ تَمِيمٌ أَنْ تُقْتَلَ عَامِرٌ • يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلِمِ^(٢)

وقال أوس بن حارثة لأبيه : العتاب قبل العقاب . وهذا نحو قول الآخر :
ليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك .

وقال إياس بن معاوية : خرجت في سفرو معي رجل من الأعراب ، فلما كان
ببعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعتبا وإلى جانبيهما شيخ من الحلى ، فقال لهما
الشيخ : أنعماً عيشاً ، إن المعاتبة تبعث التجنى ، والتجنى يبعث المخاصمة ، والمخاصمة
تبعث العداوة ، ولا خير في شيء ثمرته العداوة ، فقلت للشيخ : من أنت ؟ قال :
أنا ابن تجربة الدهر ومن بلا تلونه ، فقلت له : ما أفادك الدهر ؟ قال : العلم به ،
قلت : فماذا رأيت أحمد ؟ قال : أن يبقى المرء أحداثاً حسنة بعده ، قال : فلم أبرح
ذلك المأاء حتى هلك الشيخ وصليت عليه .

وقال رجل لصديق له : أنا أبقى على موثقتك من عارض يغيره وعتاب يقدح^(٣)
فيه ، وأؤمل نائياً من رأيك يغني عن اقتضائك .

(١) أى أن إعتابي إياك بقولى لك : لا رضيت ، على وجه الدعاء أى لا رضيت أبداً .

(٢) يوم النصار : ذكره أبو عبيدة فقال : محالفت أسد وطي* وخطفان فغزوا بني عامر فقاتلوهم قتالا
شديداً فغضبت بنو تميم لقتل بني عامر فتمعنوا وحلفاءهم يوم الفجار فقتلوا طيئاً أشد ما قتلت عامراً يوم

النصار . والصيلم : السيف . (٣) لعله ذكر الضمير باعتبار أن مرجعه الود .

وقرأت في كتاب العتّابي : تأنيبنا إفاقتك من سكر غفلتك ، وترقّبنا أنتباهك من
وسن رقّدتك ، وصبرنا على تجرّع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأس من خيرك ، وكشف
لنا الصبر عن وجه الغلظ فيك ، فها نحن قد عرفناك حقّ معرفتك في تعديك لطويل
حقّ من غلظ في اختيارك .

وقال الشاعر :

فأيّهما يا ليل إن تفعليني بنا * فأخّر مهجوري وأوّل معتب

وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب : يجب على المرءوس إذا تجاوز به
الرئيس حقّ مرتبته بعمله ، وكان تفضيله إنما وقع له بخفته على القلب ومحلّه من
الأدب ، أن يقابل ذلك بمثله إن كان محامياً على محله ، وإلا فلن يؤمن عليه . معنى
بيت شريح :

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى * إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

باب الوداع

قال حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدثنا مسهم حدثنا سلم بن قتيبة عن
إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد^(١) بن أمية عن نافع عن ابن عمر : أنّ رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يقول إذا ودّع رجلاً "أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتم
عملك وآخر عمرك"^(٢) .

قال وحدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا مسلم بن إبراهيم عن سعيد بن
أبي كعب الأزدي عن موسى بن ميسرة عن أنس بن مالك : أن رجلاً أتى النبيّ

(١) كذا في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني والخلاصة في أسماء الرجال للبخاري فيمن اسمه إبراهيم .

وفي الأصل : « إبراهيم بن عبد الرحمن بن زيد بن أمية » وهو تحريف . (٢) ذكر هذا الحديث
في الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٠ ولم تذكر فيه هذه الجملة الأخيرة .

صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد سفراً غداً فقال " في حفظ الله وكنية زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت " .

المعتمر عن إياس بن دغفيل قال : رأيت الحسن ودّع رجلاً وعيناه تهلان وهو يقول :

وما الدهر إلا هكذا فأصطبر له * رزية مال أو فراق حبيب

قال وودّع رجل صديقه وهو يقول :

وداعك مثل وداع الربيع * وفقدك مثل افتقاد الدائم^(١)
عليك السلام فكم من وفاء * تفارقه منك أو من كرم

وقال الطائي :

بين البين فقدها ، قلما تع * ريف فقداً للشمس حتى تغيبا

وقال جرير :

يا أخت ناجية السلام عليكم * قبل الرحيل وقبل لوم العدل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل
أو كنت أهرب وشك بين عاجل * لقنعت أو لسأت ما لم يسأل

وبلغني عن بكر المازني أنه قال : دخلت على الواثق حين أمر بجلي ، فقال لي :

ما أسمك ؟ فقلت : بكر ، قال : من خلفت وزاءك ، قلت : بنية ، قال : ما قالت
عند وداعك ؟ قلت : قالت :

إذا غبت عنا وخلفتنا * فإننا سواء ومن قد يم

(١) الدائم : جمع ديمة وهي مطريدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (٢) في الأصل : « قال » .

أَبَانَا فَلَا رِمَتْ مِنْ عِنْدَنَا * فَإِنَا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ^(١)
أَبَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْبِلَا * دُجُفْنِي وَتَقَطَّعْ مِنَّا الرِّحْمُ^(٢)

قال : فما قلتَ لها أنتَ ؟ قال : قلت ما قال جرير :

ثِقَى بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ * وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

كان لبنى عُقَيْلٍ عِبْدٌ رَضِيعٌ بِلَبَّانٍ بَعْضُهُمْ فَبَاعُوهُ ، فَقَالَ حِينَ شَخَّصَ بِهِ مَوَالِيَهُ

شُعْرًا :

أَشُوقًا وَلَمَّا يُمُضُّ بِي غَيْرَ لَيْلَةٍ * فَكَيْفَ إِذَا سَارَ الْمَطِيُّ بِنَا شَهْرًا^(٣)

وقال مسلمُ بن الوليد :

وإِنِّي وَإِسْمَاعِيلُ عِنْدَ وَدَّاعِهِ * لَكَالْعِمْدِ يَوْمَ الرَّوْعِ زَايِلُهُ النَّصْلُ
فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُمْ وَأَزْوَرَهُمْ * فَكَالْوَحْشِ يَدْنِيهَا مِنَ الْإِنْسِ الْمَحْلُ^(٤)

١٠

وقال آخرُ عند توديعه :

عَجِبْتُ لَتَطْوِيحِ النَّوَى مِنْ نَجْبِهِ * وَتَدْنُو بَيْنَ لَا يُسْتَلَدُّ لَهُ قُرْبُ

وقال آخر :

مَا لَتْ تُودِّعْنِي وَالْقَلْبَ يَغَابُهَا * كَمَا يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْغَصْنِ
ثُمَّ أَسْتَمَرَّتْ وَقَالَتْ وَهِيَ بَاكِئَةٌ * يَا لَيْتَ مَعْرِفَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَكُنْ

١٥

وقال آخرُ لرجل ودَّعه : بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نَكُفَّ مِنْ غَرْبِ الشُّؤُونِ ، وَنَسْتَعِينَ عَلَى
فُرْقَةِ الْوَحْشَةِ بِالْكُتُبِ ، فَإِنَّهَا أَلْسُنُ نَاطِقَةٍ ، وَعَيُونُ رَامِقَةٍ .

(١) يقال : ما رمت من عند فلان أى ما برحت . (٢) الذى فى اللسان مادة «ضمير» :

أرانا اذا أضمرت لك الخ بدل «أبانا» . وقال : وأضمرت الأرض : غيبته إتماماً بموت أو سفر .

(٣) الرواية المشهورة : أشوقاً ولم يمض لي غير ليلة * فكيف اذا خب المطى بنا عشرا

٢٠

(٤) الأنس : الإنس . (٥) الغرب : مسيل الدمع ، والشؤون : الدموع .

وقال البُحترى :

اللهُ جَارُكَ فِي أَنْطِلَاقِكَ • تَلْقَاءُ شَامِكَ أَوْ عِرَاقِكَ
لَا تَعْدُنِي فِي مَسِيرِ • بَرَى يَوْمَ بَسْرَتٍ وَلَمْ أَلِاقِكَ
إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفًا • لِلْبَيْنِ تَسْفَعُ غَرْبَ مَا فِيكَ
وَعَلِمْتُ مَا يَلْقَى الْمَوَدُّعُ عِنْدَ ضَمِّكَ وَأَعْتِمَاقِكَ
فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا • وَنَحَرْتُ أَهْرَبُ مِنْ فِرَاقِكَ

الهدايا

قال حدثنا يزيد بن عمرو قال حدثنا نعيم بن عمران قال حدثنا الحارث بن عتبة
عن العلاء بن كَثِيرٍ عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تصالحوا
فإن المصالحة تُذهب غُلَّ الصدور، وتهادوا فإن الهدية تذهب بالسَّخِيمَةِ"^(٢) . ١٠

وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو أُهْدِيَتْ لِي ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ، ولو دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ^(٣)
لَأَجَبْتُ"^(٤) .

وفي حديث آخر : "تهادوا تحابوا فإن الهدية تفتح الباب المصمت وتسل
سخيمة القلب"^(٥) . ١٥

قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال : سمعتُ نافعاً يحدث
قال : كان ابن عمر يقول : الهدايا من أمراء الفتنة .

(١) كذا في ديوان البُحترى . وفي الأصل : «شَمِّكَ» . (٢) السخيمة : الضغينة والحقد .
(٣) كذا في الأصل والمحاسن والأضداد ص ٣٦٦ ؛ وقد ورد هذا الحديث في البخاري ج ٣ ص ١٥٤
هكذا : "ولو دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ"^(٤) . (٤) الكراع
بالضم : يد الشاة . (٥) المصمت : المغلق . ٢٠

وروى الزبير بن بكار عن عمه قال : كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صفوان ، ما يكادان يفترقان ، وكان عمرو يبعث إلى الحارث في كل يوم بقرية من ألبان إبله ، فاختلف ما بينهما فأتى عمرو أهله [فقال] ^(١) : لا تبعثوا للحارث باللبن فإننا لا نأمن أن يرده علينا ، وأنقلب الحارث إلى أهله فقال : هل أتاكم اللبن ؟ قالوا : لا ، فلما راح الحارث بعمره ^(٢) قال : يا هذا لا تجمع علينا المهجر ^(٣) وحبس اللبن ، فقال : أما إذ قلت هذا فلا يحملها إليك غيري ، فحملها من ردم بنى جمع ^(٤) إلى أجياد ^(٥) .

وبعث النضر بن الحارث إلى صديق له يسكن عبادان ^(٦) بنعلين مخصوفتين وكتب إليه : بعثت إليك بهما وأنا أعلم أن بك عنهما غنى ، ولكنني أحببت أن تعلم أنك منى على ذكرى .

١٠

وقال بعض الشعراء :

إِنَّ الْمَدِيَّةَ حُلُوةٌ * كَالسَّحَرِ تَجْتَلِبُ الْقُلُوبَا
تُدْنِي الْبَغِيضَ مِنَ الْهَوَى * حَتَّى تُصِيرَهُ قَرِيبَا
وَتُعِيدُ مُضْطَغِنَ الْعَدَا * وَبَعْدَ نُفْرَتِهِ حَبِيبَا

أهدى رجل إلى صديق له عبدا أسود ، فكتب إليه : أما بعد ، فلو علمت عددًا أقل من واحد أو لونا شرًّا من الأسود لبعثت به إلى . وهذا نظير قول الآخر

١٥

(١) زيادة يقتضها السياق . (٢) في الأصل : «فقال» . (٣) في الأصل :

« لا » . (٤) ردم بنى جمع : موضع بمكة سمي بذلك لوقعة كانت فيه بين بنى جمع بن عمرو

وبن محارب بن فهر ردم فيه كثير من بنى جمع . (٥) أجياد : موضع بمكة ، إلى الصفا ، واختلف

في سبب تسميته بهذا الاسم فقيل : سمي بذلك لأن تبعًا لما قدم مكة ربط خيله فيه ، وقيل غير ذلك .

٢٠

(٦) عبادان (بفتح العين وتشديد الباء) : جزيرة أحاط بها شعبنا دجلة ساكبتين في بحر فارس .

وقد سئل كم لك من الولد ؟ قال : خبيث قليل ، قيل : وكيف ؟ فقال : لا أقل من واحد ولا أخبت من بنت .

أهدى رجل إلى بعض الأمراء هدية ، فكتب إليه الأمير : قد قبلتها بالموقع ورددتها بالإبقاء .

وكان ابن عباس يقول : مَنْ أهديت إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها : فأهدى إليه صديق ثيابا من ثياب مصر وعنده أقوام فأمر برفعها ، فقال له رجل : ألم تخبرنا أن مَنْ أهديت له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها ! فقال : إنما ذلك فيما يؤكل ويشرب ويشم ، فأما في ثياب مصر فلا .

وقال خلف الأحمر :

أتاني أخ من غيبة كان غابها * وكنت إذا ما غاب أنشدته ربما^(١)
بجاء بمعروف كثير فديته * كعادس راعي السوء في حضنه الوطبا^(٢)
فقلت له هل جئتني بهدية * فقال بنفسى قلت أتخف بها الكبا^(٣)
هي النفس لا أرى لها [من] بلية * ولا أتمنى أن رأيت لها قريبا
أهدى رجل إلى صديق له وكتب إليه : الأنس سهل سبيل الملاطفة ، فأهديت هدية من لا يتحشم ، إلى من لا يغتم .

وحدثنا أحمد بن الحليل قال حدثنا أبو سلمة عن حبابة بنت عجلان عن أمها أم حفص عن صفية بنت جرير عن أم حكيم بنت وداع الخزاعية قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما جزاء الغنى من الفقير ؟ قال : ” النصيحة والدعاء ”

(١) نشده : عزفه وسأل عنه . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) تكملة يقضيها

قلت : يَكْرَهُ رُدُّ اللَّطْفِ ^(١) ؛ قال : « ما أَقْبَحَهُ ، لو أُهْدِيَتْ إِلَى ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ ، ولو دُعِيَتْ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ ، تَهَادَوْا فَإِنَّهُ يُضْعِفُ ^(٢) الْحُبَّ وَيَذْهَبُ بِغَوَائِلِ الْقُلُوبِ » .

وحدثني محمد بن سلام الجُمَحِيُّ قال حدثني خالد بن يزيد الباهلي قال :
أُهِدِيَتْ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ فِي يَوْمِ الْمَهْرَجَانِ هَدَايَا وَهُوَ أَمِيرُ الْعِرَاقِ فَصُنِفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَقَالَ خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ وَكَانَ حَاضِرًا :

كَأَنَّ شَمَامِيْسَ فِي بَيْعَةٍ * تَسْبُحُ فِي بَعْضِ عِيدَاتِهَا
وَقَدْ حَضَرَتْ رَسْلُ الْمَهْرَجَا * نِ وَصَلُّوا كَرِيمَ هَدِيَّاتِهَا
عَلَوْتُ بِرَأْسِي فَوْقَ الرُّعُوسِ * فَأَشْخَصْتُهُ فَوْقَ هَامَاتِهَا ^(٣)
لَأَكْسِبَ صَاحِبَتِي صَحْفَةً * تَغِيْظُ بِهَا بَعْضَ جَارَاتِهَا ^(٤)

فَأَمَرَ لَهُ بِجَائِمٍ مِنْ ذَهَبٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَفْرُقُ بَيْنَ جَلَسَائِهِ تِلْكَ الْهَدَايَا ، وَيُنْشِدُ :

لَا تَبْخَنْ بِدُنْيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ * فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّبْذِيرُ وَالسَّرْفُ
فَإِنْ تَوَلَّيْتُ فَأُخْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا * فَالْحَمْدُ مِنْهَا إِذَا مَا أُدْبِرَتْ خَلْفُ

كَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ السَّلْطَانِ إِلَى بَعْضِ الْعَمَالِ يَسْتَهْدِيهِ مِهَارَةً ^(٥) مِنْ نَاحِيَةِ عَمَلِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْعَامِلُ : أَمَّا الْمِهَارَةُ فَإِنْ أَهْلُ عَمَلِنَا يَصُونُونَهَا صِيَانَةَ الْأَعْرَاضِ ، وَيَسْتَرُونَهَا سِتْرَ الْحُرْمِ ، وَيَسْوُمُونَ بِهَا مَهْوَرِ الْعُقَائِلِ ؛ وَأَنَا مُسْتَخَاصٌ لَكَ مِنْهَا مَا يَكُونُ زِينَ الْمَرْبُوطِ وَحِمْلَانَ ^(٦) الصَّدِيقِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) اللطف : اسم من أطلقه بكذا إذا برّه . (٢) يضعف الحب : يضعفه .

(٣) كذا في الشعر والشعراء ، وفي الأصل : « فأشخصتها » والرأس مذكور . (٤) كذا في الشعر

والشعراء . وفي الأصل « تفيض » : وهو تحريف . (٥) المهارة : جمع مهر بالضم ، وهو ولد

الفرس . (٦) الحملان : ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه مما يحمل عليه .

وقال بعضهم : الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير ، فكلمها أعظمت ودقت كان أبهى لها ، واذا كانت من الكبير الى الصغير ، فكلمها أعظمت وجلت كان أوقع لها وأجوع .
وكتب أبو السَّمُط :

بدولة جعفر حسن الزمان * لنا بك كل يوم مهرجان
ليوم المهرجان بك آخيتال * وإشراق ونور يستبان
جعلت هديتي لك فيه وشياً * وخير الوشي ما تسجج اللسان

أهدى حسام بن مصك الى قتادة نعلًا رقيقة ، فجعل قتادة يزينها بيده ، وقال :
إنك تعرف تخفف عقل الرجل في سخف هديته .

وقال الشاعر :

سقى حجاجنا نوء الثريا * على ما كان من بخل ومطل
هم جمعوا النعال وأحزوها * وسدوا دونها باباً بقفل
فإن أهديت فاكهةً وجدياً * وعشر دجاج بعثوا ينمسل
ومسحوا كين طولها ذراعاً * وعشر من ردى المقل^(١) حسل
فإن أهديت ذاك ليحملوني * على نعل فصدق الله رجلي
أناس تائمون لهم رؤاء * تقيم سمائهم من غير ويل^(٢)
إذا أنسبوا ففرع من قريش * ولكن الفعالي فعال عكلى^(٣)

كتب رجل الى صديق له : لولا أن البضاعة قصرت بي عن بلوغ الهدية
لأتعبت المسابقين الى برك . وكريهت أن تطوى صحيفة البراء وليس لي فيها ذكر ،

(١) المقل : ثمر الدوم ، وحسل : جمع حسيل ، والحسيل : رذال الشيء . (٢) تائمون : متكبرون ، وصف من التيه . (٣) عكلى : قبيلة فيهم عبارة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه

غفلة ويستحمق : عكلى .

فبعثت إليك بالمبتدأ يمينه وبركته، والمختوم بطيبه ورائحته : جراب ملح، وجراب
أشنان^(١) .

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً وكتب إليه :

قد بعثنا إليك أكرمك الله * به بشيء فكن له ذاق قبول
لا تقسه إلى ندى كفك الغم * يروا نبيك الكثير الجزيل
وأغفر قلة الهدية مني * إن جهد المقل غير قليل

وبعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل وكتب معها :

نعل بعثت بها لتلبسها * تسعى بها قدم إلى المجيد
لو كان يمكن أن أشركها^(٢) * جالدي جعلت شراكها خدي

وقال بعض الشعراء في نحو ذلك :

أو ما رأيت الورد اتحفنا به * إتحاف من خطر الصديق بباله
لو كان يهدى لأمرئ ما لا يرى * يهدى لعظم فراقه وزiale
لرددت تحفته عليه وإن علت * عن ذاك وأستهديت بعض خصاله

وقال المهدي :

تفاحة من عند تفاحة * جاءت فإذا صنعت بالفؤاد
والله ما أدري أبصرتها * يقظان أم أبصرتها في الرقاد

قال : وكتب بعض العمال إلى صديق له : إني تصفحت أحوال الأتباع الذين
يجب عليهم الهدايا إلى السادة في مثل هذا اليوم والتأسي بهم في الإهداء ، وإن
قصر الحال عن قدرك ، فرأيتني إن أهديت نفسي فهي ملك لك لا حظ فيها لغيرك ،

(١) الأشنان : نبات وهو أجناس كثيرة ، وكلها من الحصى ، وتغسل به الثياب وغيرها .

(٢) أشركها : أجعل لها شراكا ، والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

ورميت بطرفي الى كرائم مالي فوجدتُ أكثرها منك ، فكنت إن أهديت شيئاً منه
كلُّه سدي مآلك إليك ومُنْفِق نفقتك عليك ، وفَرَعْتُ الى مودتي وشكري فوجدتهما
خالصين لك قديمين غير مستحدين ، ورأيتُ إن أنا جعلتهما هديتي لم أُجَدِّد هذا
اليوم الجديد براً ولا لطفاً ، ولم أقيس منزلة من شكرى بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر
مُقَصِّراً عن الحق ، وكانت النعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة ، ولم أسلك سبيلاً أقيس
بها براً أعتد به أو لطفاً أتوصل إليه ، إلا وجدتُ رضاك قد سبقني اليه ، فعمدت
الاعتراف بالتقصير عن حَقِّك هديةً إليك ، وقد قلت في ذلك :

إِنْ أَهَدِ نَفْسِي فَهِيَ مِنْ مِلْكِهِ * أَوْ أَهَدِ مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ

لما قَدِمَ معاويةُ المدينةُ مُنْصَرِفاً من مكة ، بعث إلى الحسن والحسين وعبد الله
ابن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان بن أمية بهدايا
من كُسَى وطيب وِصَالٍ من المال ، ثم قال لرسله : ليحفظ كلُّ رجلٍ منكم ما يرى
ويسمع من الرد . فلما خرج الرسل من عنده ، قال لمن حضر : إن شئتم أنبأناكم
بما يكون من القوم ، قالوا : أخبرنا يا أمير المؤمنين ، قال : أما الحسن فاعلمه يُنْزِلُ
نساءه شيئاً من الطيب ويُنْهَبُ ما بَقِيَ مِنْ حَضْرِهِ ولا ينتظر غائباً . وأما الحسين
فيمدأ بأيتام من قُتِلَ مع أبيه بِصِفِّين ، فإن بقي شيء تحو به الجُزْر وسقى به الابن .
وأما عبد الله بن جعفر فيقول : يا بُدِيح^(١) ! اقْضِ به دَيْنِي ، فإن بقي شيء فأنفذ به
عِدَاتِي . وأما عبد الله بن عمر فيبدأ بفقراء عِدِيَّ بن كعب ، فإن بقي شيء آذخره
لنفسه ومان به عياله . وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولي وهو يسبح فلا يلتفت إليه
ثم يعاوده الرسول فيقول لبعض كُفَّاتِهِ : خذوا من رسول معاوية ما بعث به ، وصله
الله وجزاه خيراً ، لا يلتفت إليها وهي أعظم في عينه من أحد ، ثم ينصرف الى أهله

(١) بديح : اسم مولى كان لعبد الله بن جعفر .

فيعرضها على عينه ويقول: أرفعوا، لعل أن أعود بها على ابن هند يوما ما .
وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليل من كثير، وما كل رجل من قريش وصل إليه
هكذا، ردوا عليه؛ فإن رد قبلناها . فرجع رسالته من عندهم بنحو مما قال معاوية؛
فقال معاوية: أنا ابن هند! أعلم بقريش من قريش .

قال يونس بن عبيد: أتيت ابن سيرين فدعوت البخارية، فسمعتة يقول:
قولوا له: إني نائم — يريد: سأنام —؛ فقلت: معي خبيص^(١)؛ فقال: مكانك حتى
أخرج إليك .

قال رجل لأبي الدرداء: إن فلانا يقرئك السلام؛ فقال: هدية حسنة
ومحمل خفيف .

وبعث رجل إلى جارية يقال لها «راح» وكتب إليها:
قل لمن يملك الملو * لك وإن كان قد ملك
قد شربناك فأشربني * وبعثنا إليك بك

أهدى رجل إلى عبيد بن الأخطل شاة مهزولة، فكتب إليه عبيد:

وهبت لنا يا أخا منقري * وعجلى وأكرمها أولا

عجوزا أضربها دهرها * وأنزلها الذل دار البلى

(١) الخبيص: نوع من الحلواء يصنع في الطناجير، وهو أنواع كثيرة ذكرها ووصف كيفية صنعها

صاحب كتاب الأطلعة فراجعها في نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٢ علوم معاشية .

(٢) نسب أبو الفرج هذا الشعر في الأغانى (ج ٣ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب) لبشار بن برد، وروى أنه

بعث به إلى فتي من بني منقر أمه عجلية، وكان يبعث إلى بشار في كل عام بأضحية من الأضاحى التي كان أهل

البصرة يسمونها سنة وأكثر للأضاحى، فأمر وكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمة فأرسل إليه نعيمة

عبدلية من نعايج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول، فأرسل إليه بشار بهذه الأبيات . وقد وردت هذه

القصيدة في الأغانى باختلاف في بعض الأبيات والكلمات عما هنا .

سَلُوحًا حَسِبْتُ أَنَّ الرِّعَاءَ ۖ سَقَّوْهَا الْغَرِيقُونَ وَالْحَنَظَلَا^(١)
 وَأَجْدَبَ مِنْ ثَوْرِ زَرَاعَةٍ ۖ أَصَابَ عَلَى جُوعِهِ سَنَبَلًا^(٢)
 وَأَزْهَدَ مِنْ جِيفَةٍ لَمْ تَدْعُ ۖ لَهَا الشَّمْسُ مِنْ مَفْصِلٍ مَفْصَلًا^(٣)
 فَاهْوَتْ يَمِينِي إِلَى جَنْبِهَا ۖ نَخَلْتُ حَرَاqِيفَهَا جَنْدَلًا^(٤)
 وَأَهْوَتْ يَسَارِي لِعُرْقُوبِهَا ۖ نَخَلْتُ عَرَاqِيبَهَا مَنَزَلًا
 فَقُلْتُ أَيْبَعُ فَلَا مَشْرَبًا ۖ تُؤَدِّي إِلَى وَلَا مَأْكَلًا^(٥)
 أَمْ أَجْعَلُ مِنْ جُلْدِهَا حَنْبَلًا ۖ فَأُقْذِرُ بِجَنْبِلِهَا حَنْبَلًا^(٦)
 إِذَا هِيَ مَرَّتْ عَلَى مَجْلِسٍ ۖ مِنَ الْعَجَبِ كَبَّرَ أَوْ هَلَّلَا
 رَأَوْا آيَةً خَلْفَهَا سَائِقُ ۖ يَحْتُ وَإِنْ هَرُولْتُ هَرُولًا
 فَكُنْتُ أَمَرْتُ بِهَا ضَخْمَةً ۖ بِشَحِيمٍ وَلَحِيمٍ قَدْ آسُتَكَلَا
 وَلَكِنْ رَوْحًا عَدَا طَوْرَهُ ۖ وَمَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ يَفْعَلَا
 فَعَضَّ الَّذِي خَانَنِي حَاجَتِي ۖ بِإِسْتِ آمَنِهِ بَظَرَهَا الْأَغْرَلَا^(٧)
 فَلَوْلَا مَكَائِكَ خَضْبَتُهَا ۖ وَعَاقَلْتُ فِي جِيدِهَا جُلْجَلَا
 بِخَاءَتِ لَكِيَا تَرَى حَالَهَا ۖ فَتَعَلَّمَ أَنِّي بِهَا مُبْتَلَى
 سَأَلْتُكَ لَحْمًا لِصَبِيَانِنَا ۖ فَقَدْ زِدْتَنِي فِيهِمْ عِيَالَا
 نَخَذُهَا وَأَنْتَ بِهَا مُحْسِنٌ ۖ وَمَا زِلْتَ بِي مُحْسِنًا مُجْمَلَا^(٨)

- (١) سلوح : وصف من السليح ، وهو للطيور والبهائم كالنقوش للإنسان ، وقد يستعمل للإنسان تجوزاً
 (٢) الغريقون : تريقا للسموم مفتوح مسهل . (٣) الزراعة : موضع الزرع كالملاحاة لموضع الملح .
 (٤) في الأصل : « من مفصل يفصلا » وهو تحريف . (٥) الحراقيف جمع حرقفة وهي رأس
 الورك . (٦) كذا في الأذاني اعتماداً على بعض أصوله الخطية . وفي الأصل : « فلا مشري »
 وهو تحريف . (٧) الحنبل : الفرو . (٨) الأغرل : الذي لم يحنن .

وبعث رجل إلى دُعِيل بأُخْيَية، فكتب إليه :

بعثت إلى بأُخْيَية * وكنت حرياً بأن تفعلاً
ولكنها خرجت غثة * كأنك أروعيتها ^(١) حرماً
فإن قيل الله قُربانها * فسبحان ربك ما أعدلاً

٥ قيل لرجل قديم من مكة : كيف أثمان النعال بمكة؟ قال : أثمان الجداء بالعراق .
وقال مُسلم بن الوليد :

جزى الله من أهدى الترنج ^(٢) تحية * ومن بما يهوى عليه وعجلاً
ألتنا هدايا منه أشبهن ريجه * وأشبهه في الحسن الغزال المكحلاً
ولو أنه أهدى إلى وصاله * لكان إلى قلبي ألد وأوصلاً

١٠ وكتب رجل إلى صديق له شرب دواء :

تأنق في الهدية كل قوم * إليك غداة شريك للدواء
فلما أن هممت به مدلاً * لموضع حرمتي بك والإخاء
رأيت كثير ما أهدى قليلاً * لعبدك فأقتصرت على الدعاء

١٥ وكتب رجل إلى صديق له : وجدت المودة منقطة ما كانت الحشمة عليها
متسلطة ، وليس يُزيل سلطان الحشمة إلا المؤانسة ، ولا تقع المؤانسة إلا بالبر
والملاطفة .

العيادة

قال حدثنا يزيد بن عمرو قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا شريك عن
أبي نصير عن أنس بن مالك ، قال : عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من

- ٢٠ (١) الحرمل : حب نبات كالسمسم يمنع عن الأكلة ، ولا يأكله إلا المعزى ، وقد يداوى به المصوم .
(٢) الجداء : جمع جدى . (٣) الترنج : ثمر شجرتان من جنس الليمون ناعم الورق والحطب .

الأنصار من رميد كان بعينه . ومن حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم :
«ثلاثة لا يُعَادُونَ صاحبُ الدَّمَلِ والرمَدِ والضرَس» .

وحدثني القاسم بن الحسن عن ابن الأصبهاني عن إسماعيل بن عياش عن
أرطاة بن المنذر : أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانيا .

قال الشعبي : عيادةُ النَوَكِي أشدَّ على المريض من وجعه .

شيبان عن أبي هديّة عن أبي هلال قال : قال بكر بن عبد الله لقوم عادوه
فأطالوا عنده : المريضُ يُعاد ، والصحيحُ يُزار .

عاد قومٌ عليّاً فأطالوا عنده ، فقال لهم : إن كان لكم في الدار حقٌ فخذوه
وأنصرفوا .

عاد رجل رَقَبَةً ، فنعى رجالاً آعتلوا مثلَ عِلته ، فقال له رَقَبَةٌ : إذا دخلت على
مريض فلا تشعّ إليه الموتى ، وإذا خرجت من عندنا فلا تعدّ إلينا .

عاد أعرابيٌّ أعرابياً فقال : بأبي أنت ! بلغني أنك مريض ، فضاق والله على
الأمر العريض ، وأردتُ إتيانك فلم يكن بي نهوض ، فلما حملتني رجلاً ، وليستا
تحمِلان ، أتيتُك بجزرةٍ شيخٍ ما مسّها عِسرٌ^(١)ين قطّ ، فأشمتُها وآذ كرُنجداً ، فهو الشفاء
بإذن الله .

قال كثير :

ألا تلكَ عِزَّةٌ قد أقبلتُ * تقلّبُ للبين طَرْفًا غَضِيضًا
تقول مَرَضتُ وما عُدَّتْنا * فقلتُ لها لا أطيقُ النهوضا
كلانا مَرِيضَانِ في بلدٍ * وكيف يعود مريضٌ مريضاً

وقال آخر^(١):

إذا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ * وَتَذُنُّونَ فَنَأْتِيَكُمْ فَنَعْتِذِرُ

وقال بشار:

لو كانت الفِديةُ مقبولةً * لقلتُ بى لا بك حَمَّا كَا

وكتب آخر إلى عليل:

نُبِّئْتُ أَنَّكَ مَعْتَلٌّ فَقُلْتُ لَهُمْ * نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مُحْذُورٍ
يَالَيْتَ عَاتَتْهُ بى غَيْرَ أَنْتَ لَهُ * أَجْرَ الْعَلِيلِ وَأَنْتَى غَيْرُ مَا جُورِ

وكتب آخر إلى عليل:

أَقُولُ بِحَقِّ وَاجِبٍ لَكَ لَا زِيمَ * وَإِخْلَاصٍ شَكْرٍ لَا يَغْيِرُهُ الدَّهْرُ
بِىَ السَّوِّءِ وَالْمَكْرُوهِ لَا بِكَ كَلِّمَا * أَرَادَاكَ كَانَا بى وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

وقال آخر في مثله:

فَإِنْ تَكُ حُمَى الْغَيْبِ^(٢) شَفَّكَ^(٣) وَرَدَّهَا * فَعُقْبَاكَ مِنْهَا أَنْ يَطْوَلَ لَكَ الْعَمْرُ
وَقَيْنَاكَ! لَوْ نُعْطِيَ الْمُنَى فَيْكَ وَالْهَوَى * لَكَانَ بى الْبَشَاوَى وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

وفي الحديث المرفوع "حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ،

وَأَسْتَقْبِلُوا الْبَلَايَا بِالْإِعْدَاءِ". وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه:

"مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ صَائِماً؟" قال عمر: أنا، قال: "فَمَنْ شَيعَ جَنَازَةً؟" قال عمر: أنا،

قال: "فَمَنْ عَادَ مَرِيضاً؟" قال عمر: أنا، قال: "فَمَنْ فَيْكُمُ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؟" قال

عمر: أنا، فقال صلى الله عليه وسلم: "وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ". وفي حديث

(١) هو المؤمل بن أميـل (نهاية الأرب ج ٣ ص ٩٢ طبعة أولى) . (٢) حمى الغب:

التي تنوب المريض يوماً بعد يوم . (٣) الورد من أسماء الحمى وقيل: هو يومها الذي تأخذ

فيه صاحبها .

آخر : أنه صلى الله عليه وسلم قال : " إتمامُ عبادتكم المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على رأسه أو يده في يده ويسأله كيف هو، وتتمامُ تحياتكم المصافحة " .

وقال الشاعر :

إن كنت في ترك العيادة تاركاً * حظي فإني في الدعاء بلجاهد
فلربما ترك العيادة مُشْفِقٌ * وأتى على غل الضمير الحاسد

أبو حاتم قال حدثنا العتي عن أبيه قال : كان يقال : إذا أشكى الرجل ثم عوفي ولم يُحدث خيراً ولم يكف عن سوء، لقيت الملائكة بعضها بعضاً وقالت : إن فلاناً داوينا فلم ينفعه الدواء .

وقال أبو حاتم حدثنا القحذمي قال : أطلع معاوية^(١) في بئر بالأبواء^(٢) فأصابته لقوة^(٣)، فأعتم بعمامة سوداء وسد لها على الشق الذي أصيب فيه ، ثم أذن للناس فقال : أيها الناس ؛ إن ابن آدم بعرض بلاء : إما مُعَاتَبٌ لِعُتْبٍ ، وإما مُعَاقَبٌ بِذَنْبٍ ، أو مُبْتَلًى لِيُؤْجَرَ ، فإن عُوتِبْتُ فقد عُوتِبَ الصالحون قبلي ، وإني لأرجو أن أكون منهم ؛ وإن عُوقِبْتُ فقد عُوقِبَ الخطّاءون قبلي ، وما آمن أن أكون منهم ؛ وإن مَرِضْتُ عضو مني فما أُحْصِيَ صحيحي ولما عُوفيتُ أكثر ، ولو أن أمرى إلى ما كان لي على ربي أكثر مما أعطاني . وإني وإن كنت عاتباً على خاص منكم فإني حبيب على جماعتكم ، أحبّ صلاحكم . وقد أُصِبتُ بما ترون ، فرحم الله أمراً دعالي بعافية ! فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء .

(١) أطلع : أشرف . (٢) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الحفة مما

يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً ، وقيل : الأبواء : جبل عن يمين آرة ويمين الطريق للصعد إلى مكة .

(٣) اللقوة (بالفتح) : داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبي العنق .

مريض أبو عمرو بن العلاء مريضاً، فأتاه أصحابه وأبطأ عنده رجل منهم، فقال: ما يُبْطِئُ بك؟ قال: أريد أن أسأله عنك؛ قال: أنت مُعافٍ وأنا مبتلى، فالعافية لا تدعك تسهر والمرض لا يدعني أنام، فأسأل الله أن يسوق إلى أهل العافية الشكر، وإلى أهل البلاء الصبر والأجر.

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال: اشتكى رجل من الأعرجاء، فجعل الناس يدخلون عليه فيقولون: كيف أصبحت وكيف كنت؟ فلما أ كثروا عليه قال: كما قلت لصاحبك.

قال: وقع رجل من أهل المدينة فوثئت^(١) رجلاه، فجعل الناس يدخلون عليه ويسألونه، فلما أ كثروا عليه وأصجر كتب قصته في رقعة، فكان إذا دخل عليه [عائد]^(٢) وسأله دفع إليه الرقعة.

الهيثم بن عدي قال: كان رجل من أهل السواد مجهوداً لا يقصده في شيء إلا أنصرف عنه، فغاب مرة فأطال، فلما قدم أتاه الناس فجعلوا يسألونه عن حاله وما كان فيه، وكان فيه برم، فأخذ رقعة فكتب فيها:

وما زلت أقطع عرض الفلاة * من المشرقين إلى المغربين

وأطوى الفياض أرضاً فأرضاً * وأستمطر الجدي والفرقدين

وأطوى وأنشرب الهموم * إلى أن رجعت بحفي حنين

(١) وثئت رجلاه أو يده: أصابها وهن لا يبلغ أن يكون كسراً. (٢) زيادة يقتضها السياق.

(٣) المجهود: هو الذي نكد عيشه. وفي الأصل «مجدود» بالذال، والمجدود: المحظوظ، والسياق يأباه.

(١) فقيراَ وقيراَ أخا عسرة * بعيداَ من الخير ينفذ اليدين
كثيب الصديق بهيج العدو * طويل الشقا زاني الوالدين

وطرحها في مجلسه ، فكل من سأل عن حاله دفع اليه الرقعة .

قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه أن نبطيا وقع من موضع عال ، فدخلوا يسألونه :
كيف وقعت ؟ فلما أكلوا عليه أخذ جرة وألقاها من يده وقال : هكذا وقعت .
أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أُحدب فسقط في بئر فذهبت حدبته
فصار آدر ، فدخلوا يسألونه ويهشونه بذهاب حدبته ، بفعل يقول : الذي جاء
شر من الذي ذهب .

المدائني قال : سقط ابن شبرمة القاضي عن دابته فوثئت رجله ، فدخل يحيى

ابن نوفل الحميري عليه فقال : ١٠

(٢) أقول غداة أتاني الخير * فدرس أحاديثه الهينة
لك الويل من محير ما تقول ؟ * ابن لي وعد عن الجمجمة
فقال نرجت وقاضى القضا * مشقة رجله مؤلمة
فقلت وضائق على البلاد * وخفت المجللة المعظمة
فغزوان حر وأم الوليد * إن الله عاقب أبا شبرمة
جزاء لمعروفه عندنا ، * وما عتق عبده أو أمه ؟

قال : وفي المجلس جار ليحيى بن نوفل يعرف منزله ، فلما نرج تبعه وقال :
يا أبا معمر ، من غزوان وأم الوليد ؟ فضحك وقال : أو ما تعرفهما ؟ هما سنوران
في البيت .

٢٠ (١) الوير : الدليل المهاب . (٢) الآدر : المصاب بالنفخ في إحدى خصتيه .
(٣) الهينة : الصوت الخفى . (٤) الجمجمة : عدم الإبانة في الكلام .

قال حدثنا الرياشي عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدقيش وهو شاك ،
فقلنا له : كيف تجدك ؟ قال : أجدني أجده ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجده ،
ولقد أصبحت في شر زمان وشر أناس : من جاد لم يجد ومن وجد لم يجد .

قيل : لعمر بن العاص وقد مريض مرة : كيف تجدك ؟ قال أجدني أذوب
ولا أثوب ، وأجد تجوي أكثر من رزئي ، فما بقاء الشيخ على هذا ! .

سئل عليل عن حاله فقال : أنا مبل غير مستقل ، ومماثل غير متحامل .

وقيل لآخر : كيف تجدك ؟ قال أجدني لم أرض حياتي لموتى .

وقيل لرجل من العجم : ما حالك ؟ قال : ما حال من يريد سفرًا طويلاً
بلا زاد ! وينزل منزلاً موحشاً بلا أنيس ! ويقدم على جبار قد قدم العذر بلا حجة ! .

قيل لعكرمة : كيف حالك ؟ قال : بشر ، أصبحت أجرب مبسورا .^(٢)

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قيل لشيخ من العباد : كيف أنت ، وكيف
أحوالك ؟ فقال : ماكلها كما أشتهي .

قيل لآخر : ما تشكى ؟ قال : تمام العدة وانقضاء المدة .

وباغني عن معاوية بن قرة قال : مريض أبو الدرداء ، فعاده صديق له فقال :

أى شيء تشكى ؟ قال : ذنوبي ، قال : فأى شيء تشتهى ؟ قال : الجنة ، قال :
فندعوك بالطبيب ؟ قال : هو أمرضني .

سئل رجل عن حاله فقال :

كما اذا نحن أردنا لم نجد * حتى اذا نحن وجدنا لم نرد

(١) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط ، والرز : ما يناله الانسان من الطعام .

(٢) مبسورا : به داء البواسير .

أَرْجَفَ النَّاسُ بَعْلَةَ مُعَاوِيَةَ وَضَعِفَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، فَأَخَذَ مُعَاوِيَةَ
بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مَصْقَلُ :

أَبَى الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيٍّ لَكَ مِثْلُ جَنْدَلَةَ الْمَرَايِمِ
قَدْ رَامَنِي الْأَقْوَامُ قَبْلَكَ فَأَمْتَنَعْتُ مِنَ الْمَظَالِمِ

فَقَالَ مَصْقَلَةُ : أَمَّا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : «أَبَى الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيْلِكَ» ، فَقَدْ أَبَى اللَّهُ
مِنْكَ جَبَلًا رَاسِيًا وَكَلَّأَ صَرِيحِيًّا لَصْدِيْقَكَ وَسَمًّا نَاقِعًا لَعْدُوْكَ . وَأَمَّا قَوْلُكَ : «قَدْ رَامَنِي
الْأَقْوَامُ قَبْلَكَ» ، فَمَنْ ذَا يَرُوْمُكَ أَوْ يَظْلِمُكَ ! فَقَدْ كَانَ النَّاسُ مُشْرِكِينَ فَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ
سَيِّدَهُمْ ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مُسْلِمِينَ وَأَصْبَحْتَ أَمِيرَهُمْ ، فَأَعْطَاهُ مُعَاوِيَةُ نَخْرَجَ ، فَسُئِلَ عَنْهُ
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَغَمَزَنِي غَمَزَةٌ كَادَ يَكْسِرُ مِنْهَا يَدِي وَأَنْتُمْ تَرْعُمُونَهُ مَرِيضًا .

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : دَخَلَ كَثِيرٌ عَزْرَةَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
لَوْلَا أَنَّ سُرُورَكَ لَا يَتِمُّ بِأَنْ تَسْلَمَ وَأُسْقِمَ لِدَعْوَتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرِفَ مَا بَكَ إِلَيَّ ،
وَلَكِنْ أَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْعَافِيَةَ وَلِي فِي كَنْفِكَ النِّعْمَةَ ، فَضَحِكَ وَأَمَرَ لَهُ
بِمَالٍ ، فَقَالَ :

وَنَعُوذُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا * لَيْتَ التَّشَكِّي كَانَ بِالْعَوَادِ
لَوْ كَانَ يُقْبَلُ فِدْيَةُ لَفَدَيْتُهُ * بِالْمُصْطَفَى مِنْ طَارِفِي وَتِلَادِي

وَقَالَ آخَرُ :

لَا تَشْكُونُ دَهْرًا صَحَّحَتْ بِهِ * إِنَّ الْغِنَى فِي صَحَّةِ الْجَسِمِ
هَبَكَ الْخَلِيفَةَ ، كُنْتَ مُتَفَعًّا * بِالْإِذَاةِ الدُّنْيَا مَعَ السُّقْمِ ؟

(١) اعتل المسور بخاءه ابن عباس يعودده نصف النهار، فقال المسور: يا أبا عباس هلا ساعة غير هذه! قال ابن عباس: إن أحب الساعات إلي أن أؤدى فيها الحق أشقها علي.

وكتب رجل إلى صديق له: كيف أنت؟ بنفسى أنت! وكيف كنت؟ لازلت! وكيف قوتك ونشاطك؟ لا عديمتها ولا عديمتها منك، وأعادك الله إلى أحسن ما عودك! لولا عوائق يوجب العذر بها تفضلك لم أدع تعرف خبرك بالعين، فإنها أشفى للقلب وأنقع للغليل وأشد تسكيناً للآلج الشوق.

(٢) وقرأت فصلاً في كتاب: لئن تخلفت عن عيادتك بالعدر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لسانى فخصاً عن خبرك في ممسالك ومصيبك وتقل الحال بك تبعث من تقسم جوارحه وصبك وزاد في ألمها أملك ومن تتصل بك أحواله في السراء والضراء. ولما بلغتني إفاقتك كتبت مهنتاً بالعافية مخبراً بالعدر، معفياً من الجواب إلا بخبر السلامة إرسالا.

وقال عبد بن الحساس:

تجمعن من شئى ثلاث وأربع * وواحدة حتى بلغن ثمانياً
سليمى وسلمى والرباب وزينب * وهند ودعد والمنى وقطامياً
وأقبلن من بعض الخيام يعدننى * ألا إن بعض العائدات دوائياً

(١) أبو العباس: كنية عبد الله ابن العباس. (٢) كذا ورد هذا الفصل بالأصل، ولم نوثق إليه في مصدر آخر سوى العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٤١) وورد فيه هكذا: «لئن تخلفت عن عيادتك بالعدر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لسانى فخصاً عن خبرك يجب أن تقسم جوارحه وصبك وإن زاد في ألمها أملك وأن تتصل به أحوالك في السراء والضراء. ولما بلغتني إفاقتك كتبت مهنتاً بالعافية معفياً من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله». وظاهر أن رواية العقد أوفق من رواية الأصل غير أن فيها كلمة «يجب» نافية، ولعل أصل العبارة: وكيف بمن يجب الخ أو نحو ذلك.

وقال عبد الله بن مُصعب الزُّبيري :

ما لي مَرِضْتُ فلم يَعُدَّنِي عَائِدٌ * مِنكُمْ وَيَسْرَحُنْ كَلْبَكُمْ فَأَعْسِدُ

فُسُمِي «عَائِدَ الكلب» ، وولده الآن يسمون «بنى عائِد الكلب» .

التعازي وما يتمثل به فيها

حدثني محمد بن داود عن غسان بن الفضل قال قال عبد الوهاب الثقفي : أنا
أبن جُريح بمكة يُعزِّي عن بعض أهلي ، فقال : إنه من لم يسأل أهله إيانا واحتسابا
سلا كما تسألوا البهائم .

كتب إبراهيم بن يحيى الأسلمي إلى المهدي يعزّيه عن أبيته : أما بعد ،
فإن أحقَّ من عَرَفَ حقَّ الله فيما أخذ منه من عَظَمَ حقَّ الله عليه فيما أبقي له .
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ هُوَ الْبَاقِي بَعْدَكَ ، وَأَنْ أَجْرَ الصَّابِرِينَ فِيما يُصَابُونَ بِهِ
أَعْظَمُ عَلَيْهِمُ مِنَ النِّعْمَةِ فِيما يُعَافَوْنَ مِنْهُ .

ونحوه قول سهل بن هارون : التَّهَنُّةُ عَلَى آجِلِ الثَّوَابِ ، أَوْلَى مِنَ التَّعْزِيَةِ عَلَى
عَاجِلِ الْمَصِيبَةِ .

وقال بعض الشعراء :

كَمْ مِنْ يَدٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا * لِلَّهِ فِي ظِلِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَةٌ

وسقطت مقاديرهم فم معاوية فشق ذلك عليه ، فقال له يزيد بن معمر السلمي :
والله يا أمير المؤمنين ، ما بلغ أحد سنك إلا أبغض بعضه بعضا ، ففوك أهون علينا
من سمعك وبصرك .

وقال صالح المريُّ لرجلٍ يعزّيه : إن لم تكن مصيبتُك أحدثت في نفسك مَوْعِظَةً
فمصيبتُك بنفسك أعظم . ونحوه : شرُّ من المرزئةِ سوءُ الخلف عنها . ومثله
قول الشاعر :

إن يكن ما به أُصِبتَ جليلاً * فلفَقْدُ العزاء فيه أجلُّ
عزّى شبيب بن شبيب المَهْدِيّ عن بانوقة^(١) ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما عند الله
خير لها مما عندك ، وثوابُ الله خير لك منها .

عزّى رجلٌ عبدَ الله بن طاهر عن آبنته فقال : أيها الأمير ، ممّ تجزع ؟
* الموتُ أكرمُ نزالٍ على الحرِّم *
وقال جرير :

وأهـونُ مفقودٍ إذا الموتُ ناله * على المرءِ مِنْ أصحابِهِ من تقنّعَا
وقال آخر :

ولم أرَ نعمةً شَمِتَتْ كريماً * كنعمة عورةٍ سَتَرَتْ بقبرٍ
وعزّى رجلٌ رجلاً فقال : لا أراك بعد هذه المصيبة ما يُنسيكها .
وقال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز :

تَعَزَّرَ أمير المؤمنين فإنه * لِمَا قد ترى يُغْذَى الصغِيرُ ويولَدُ
هَلْ أبْنُكَ إِلَّا من سُلَالَةِ آدَم * لكلٍّ على حوضِ المنيّةِ مَوْرِدُ

عزّى أبو بكرٍ عمرَ رضى الله عنهما عن طفلٍ أُصِيبَ به ، فقال : عوّضك الله
منه ما عوّضه منك .

وقال محمود الوّراق :

يمثّل ذو اللبِّ في نفسه * مصائبه قبل أن تنزِلَا

(١) بانوقة : بنت كانت للمهديّ .

فإن نزلت بغتة لم ترعه * لما كان في نفسه مثلاً
 رأى الهم يفيض إلى آخر * فصير آخره أولاً
 وذو الجهل يأمن أيامه * وينسى مصارع من قد خلا
 فإن بدهته صروف الزمان * ببعض مصائبه أغولا
 ولو قدم الحزم في أمره * لعلمه الصبر عند البلاء

عن موسى بن المهدي سليمان بن أبي جعفر عن أبي له ، فقال : أيسرك وهو
 بليّة وفتنة ، ويحزنك وهو صلاة ورحمة ! .

وعن رجل موسى بن المهدي عن أبي له فقال : كان لك من زينة الحياة
 الدنيا ، وهو اليوم من الباقيات الصالحات .

توفي سهيل بن عبد العزيز بن مروان ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض
 عماله وأطّيب في كتابه ، فكتب إليه عمر :

حسبي حياة الله من كل ميت * وحسبي بقاء الله من كل هالك^(١)
 إذا ما لقيت الله عني راضياً * فإن شفاء النفس فيما هنالك^(٢)

كتب ابن السماك إلى الرشيد يعزيه بآب له : أما بعد ، فإن استطعت أن يكون
 شكرك لله حين قبضه أكثر من شكرك له حين وهبه ، فإنه حين قبضه أحرز لك^(٣)
 هبته ، ولو سلم لم تسلم من فتنته ، أرايت حزنك على ذهابه وتلهفك لفراقه ! أرضيت
 الدار لنفسك فترضاها لأبنك ! أما هو فقد خلاص من الكدر ، وبقيت أنت معلقا
 بالخطر . وأعلم أن المصيبة مصيبتان إن جرعت ، وإنما هي واحدة إن صبرت ،
 فلا تجمع الأمرين على نفسك .

٢٠ (١) دخله الحرم وهو حذف فاء فعولان . (٢) كذا في الأصل ولعله « يعزيه عن ابن له » .
 (٣) حذف هنا الجواب وهو مفهوم من سياق الكلام .

كتب عبد الله بن طاهر إلى أبي دُأف : المصائب حالة لا بد منها ، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفًا بعبيده ، وآية ذلك أن يوفقه للصبر ويُلهمه الرضا ويتسبط أمله فيما عنده من الثواب الآجل والخلف العاجل . ومنها ما يكون سُخطًا وانتقامًا ، أوله حُزن وأوسطه قنوط وآخره ندامة ، وهي المصيبة حقًا الجامعة لخسران الدنيا والآخرة . ولم تزل عادة الله عندك الإخلاف والإتلاف . وإن يك ما نالك الآن أعظم مما أتى عليك في مواضي الأيام ، فالأجر المأمول على قدر ذلك .

وكتب أبو دُأف إليه : إن تكن المصيبة جاءت ، فإن فيما أكرمني الله به من جميل رأي الأمير وما وضع للناس من فضل عنايته وآبئائه إياي بكتبه ، ما عجل العوض من المفقود .

وفي كتاب آخر : لئن كانت المصيبة جاءت ، إن فيما أبقى الله ببقاء الأمير عوضًا وإفيا وخلفًا كافيا . وحقيق بمن عظمت النعمة عليه فيما أبقى الله أن يحسن عزاءه عما أخذ منه . وأحق ما صبر عليه ما لا يستطيع دفعه .

وقرأت في كتاب لبعض الكتاب في تعزية : أسأل الله أن يسد بك ما ثلمت الأيام من مكانه ، ويعمر ما أخلت من مشاهدته وأوطانه حتى لا يعفوا الدائر ، وأن يستقبل لكم أيامكم بأحسن ما أمضاها لمن مضى منكم ، فيجعلكم الخلف الذي لا وحشة معه ولا وحشة عليه ، ويتولاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليّه .

وقرأت في كتاب تعزية : لا لوم على دمية لا تملك أن تسفحها ، ولا على ألم في القلب لا يدفع أن يظهر فيك ، ولا عذر في سواهما مما أحبط أجرك وأثمت عدوك وضعف رأيك ، ولم يرجع إليك فائتًا ولا إلى شقيقك بمكانه روحًا ولا إلى من خلف

حفظاً . واعلم أن فرق ما بين ذى العقل وذى الجهل في مصيبتيهما تعجل العاقل من الصبر ما يتأجل الجاهل .

وقرأت في كتاب تعزية : لو كانت النوائب مدفوعة عن أحد بكثرة من يقيد ذلك من إخوانه ويقديه منه بالأخص من أعزته والأنفس من ماله ، سبغت من ألمها ، وكان سبقي الى ذلك أبرز سبق ، وحظي بالتقدم فيه أوفر حظ .

وقرأت في كتاب : مصيبتك لي مصيبة ، وما نالك من ألمها لي موجد . ولو كان في الوسع أن أعلم كنهه ما خاصر قلبك من ألمها لحملت مثله على نفسي ، فإني أحب أن أكون أسوتك في كل سائر وغام ، وألا أتمتع بأيام غموميك ، ولا أقصر فيها عن مقدار حالك .

وقرأت في كتاب : نسأل الله حسن الاستعداد لما نتوكله ونتوقع حلوله ،^(١) وألا يشغلنا بما يقل الانتفاع به وتعظم التبعة فيه عما نحتاج اليه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، وأن يجعل ما وهب لنا من الصبر والعزاء إيماناً وإيقاناً ، ولا يجعله ذملاً ونسياناً . قال أسماء بن خارجة إذا قدمت المصيبة تركت التعزية ، وإذا قدم الإخاء قبح الثناء .

قيل لأعرابية مات أبنها : ما أحسن عزاءك ! فقالت : إن فقدي إياه أمتني من المصيبة بعده . ونحوه قول الشاعر^(٢) :

وكنْتُ عليه أحذر الموت وحده * فلم يسبق لي شيء عليه أحذر

(١) نتوكله : نتوقعه . (٢) هو أبو نواس الحسن بن هاني ، وهذا البيت من أبيات قالها

في محمد الأمين ، وقبل هذا البيت :

طوى الموت ما بيني وبين محمد * وليس لما تطوى المنية ناشر

ومثله :

وقد كنت أستعفي الإله إذا اشتكى * من الأبحر لي فيه وإن سمرني الأبحر

وقال أبو العتاهية :

وكما تبلى وجوه في الثرى * فكذا يبلى عليهن الحزن

وفي الحديث : "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا ^(١) يُصِبْ مِنْهُ".

ويقال : المصيبة الموجهة تُدِرُّ ذَكَرَ اللَّهِ في قلب المؤمن .

قال الأصمعي : مررت بأعرابية وبين يديها فتى في السياق ^(٢) ، ثم رجعت ورأيت

في يدها قدح سويق تشربه ، فقلت لها : ما فعل الشاب ؟ فقالت : واريئاه ؛ فقلت : فما هذا السويق ؟ فقالت :

١٠ على كلِّ حالٍ يا كلَّ القوم زادهم * على البؤس والبَلْوى وفي الحدّانِ

قيل لأعرابي : كيف حزنك اليوم على ولدك ؟ فقال : ما ترك حبَّ الغداء

والعشاء لي حزنًا .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما الجَزَعُ قبل المصيبة ، فإذا وقعت فالله عَمَّا أَصَابَكَ ،

اشتكى بعض أهل محمد بن علي بن الحسين بَجَزَعٍ عليه ، ثم أخبر بموته فُسِّرَ

١٥ عنه ؛ فقليل له في ذلك ، فقال : ندعو الله فيما نحب ، فإذا وقع مانكره لم نخالف الله فيما أحب .

لما مات عتبة بن مسعود قال عبد الله : إذا ما قضى الله فيه ما قضى فما أحبُّ

أني دعوته فأجاني .

(١) يصب منه : يتلوه بالمصائب ليثيبه عليها . (٢) السياق : تزع الروح كأن روحه تساق

لتخرج من بدنه .

قال رجل من طي^١ :

فلولا الأسي^(١) ما عشت في الناس ساعة . ولكن إذا ما شئت أسعدني مشي

وقال آخر :

إذا أنت لم تسأل أصطباراً وحسبة * سلوت على الأيام مثل البهايم

عزى محمد بن الوليد بن عتبة الوليد بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ليس ذلك

ما أقبل من الموت اليك ، عمن هو في شغل^(٢) مما دخل عليك ، وأعيد لتزله عدة تكون

لك حجاباً من الخزع ويسترا من النار . فقال يا محمد ، أرجو ألا تكون رأيت غفلة

تنبه عليها ولا جزءاً يستتر منه ، وما توفيقي إلا بالله . فقال محمد : يا أمير المؤمنين ،

إنه لو آستغنى أحد عن موعظة بفضل لكنته ، ولكن الله يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ

الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال الطائي :

ويفرح بالشيء المعار بقاءه * ويحزن لما صار وهوله ذخر

عليك بشوب الصبر إذ فيه مايس^٢ * فإن أبناك المحمود بعد أبناك انصبر

وقال أيضا :

أمالك إن الحزن أحلام نائم * ومهما يدم فالوجد ليس دائم

تأمل رويدا هل تعدن سالما * الى آدم أم هل تعدن ابن سالم

وقال آخر :

إصبر لكل مصيبة وتجلد * وأعلم بأن الدهر غير مخلص

(١) الأسي : جمع أسوة (بالضم ويكسر) وهي ما يتعزى به الحزين . (٢) كذا في الأصل

أَوْ مَا تَرَى أَنَّ الْحَوَادِثَ جَمَّةٌ * وَتَرَى الْمُنِيَّةَ لِلْعِبَادِ بِمَرَصِيدٍ
وَإِذَا أَنْتَ مُصِيبَةٌ تُشْجَى بِهَا * فَأَذْكَرُ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
عَزَّى رَجُلَ الرَّشِيدِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ لَكَ الْأَجْرُ لَا بَكَ ، وَكَانَ الْعَزَاءُ
مِنْكَ لَا عَنْكَ .

يَعَزِّي أَهْلُ نَجْرَانَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْكَلَامِ : لَا يُحْزِنُكُمْ اللَّهُ وَلَا يَفْتِنُكُمْ ، أَثَابَكُمْ
اللَّهُ ثَوَابَ الْمُتَّقِينَ وَأَوْجِبَ لَكُمْ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ .

عَزَّى بَعْضُ الزُّبَيْرِيِّينَ رَجُلًا فَقَالَ : لَا يَصْفَرُ رَبُّكَ ، وَلَا يُوحِشُ بَيْتَكَ ،
وَلَا يَضَعُ أَجْرَكَ ، رَحِمَ اللَّهُ مَتَوَفَاكَ ، وَأَحْسَنَ الْخُلَافَةَ عَلَيْكَ .

قال بعض الشعراء :

أَسْكَنْ بَطْنَ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَى * فَدَيْنَا وَأَعْطَيْنَا بِكُمْ سَاكِنَ الظَّهَرِ
فِيَالَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ * عَلَيْهَا ثَوَى فِيهَا مَقِيًّا إِلَى الْحَشِيرِ
وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ بِشَطْرِهِ * فَلَمَّا تَوَفَّى شَطْرَهُ مَالٌ فِي شَطْرِي
فَصَارُوا دِيُونًا لِلنَّيَا وَمَنْ يَكُنْ * عَلَيْهِ لَهَا دِينَ قَضَاهُ عَلَى عُسْرِ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ * فَشَكَّلْتُ عَلَى تُكُلٍّ وَقَبْرًا عَلَى قَبْرِ
وَقَدْ كُنْتُ حَىَّ الْخَوْفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ * فَلَمَّا تَوَفَّوْا مَاتَ خَوْفِي مِنَ الدَّهْرِ
فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا جَزَى * وَلَيْسَ لِأَيَّامِ التَّزْيِةِ كَالصَّبْرِ
حَسْبُكَ مِنْهُمْ مُوَحِّشًا فَقَدْ رَهَّمْ * وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ مُسَايَا طَلَبُ الْأَجْرِ

عَزَّى شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ : أَعْطَاكَ اللَّهُ عَلَى مُصِيبَتِكَ أَفْضَلَ
مَا أَعْطَى أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ .

وقال العُتيّ :

ما طالج الحزن والحرارة في الد * أحشاء من لم يمت له ولد
يُخَمْتُ بأخي ليس بينهما * إلا ليالي ليست لها عسدد
وكل حزن يبلى على قدم الدهر وحزني يُجِدُّه الأبد

وقال أيضا :

الآ يزجر الدهر عنا المنونا * يبق البنات ويُفني البنينا
وأنحى على بلا رحمة * فلم يبق لي في جفوني جفونا
وكنْتُ أبا سبعة كالبدور * أفق بهم أعين الحاسدين
فمروا على حادثات الزمان * كمر الدراهم بالناقدين
فأفنتهم واحداً واحداً * إلى أن أبادتهم أجمعينا
وألقيين ذاك إلى ضارح^(١) * وألقيين هذا إلى دافينا
وما زال ذلك دأب الزمان * ن يُفني الأوائل فالأولين
وحسبي بكى لي حسادهم * فقد أقرحوا بالدموع الجفونا
وحسبك من حادث بامرئ * ترى حاسديه له راحينا
وكانوا على ظهرها أنجماً * فأضحوا إلى بطنها ينقلونا
فمن كان يُبليهِ مر السنين * فحزني يجدده لي السنونا
ومما يسكن وجدى بهم * بأن المنون ستلقى المنونا

كان أبو بكر رضي الله عنه إذا عزي رجلاً قال : ليس مع العزاء مصيبة ولا مع
الجزع فائدة؛ الموت أهون مما قبله وأشد مما بعده؛ اذكروا فقد رسول الله صلى الله
عليه وسلم تصغر مصيبتكم؛ وعظم الله أجركم .

(١) الضارح : وصف من ضرح لليت إذا حفر له .

وكان على رضى الله عنه إذا عَزَى رجلاً يقول : إن تَجَزَّعَ فأهل ذلك الرَّحْمُ ،
وإن تصيرُ ففى الله عَوْضٌ من كل فائتٍ ؛ وصلى الله على محمد ، وعظم الله أجركم .

وقال أعرابي :

أَيْغَسَلُ رَأْسِي أَوْ تَطِيبُ مَشَارِبِي * وَوَجْهَكَ مَعْصُورٌ وَأَنْتَ سَلِيبُ
نَسِيكِ مِنْ أَمْسَى يُنَاجِيكَ طَرْفُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ وَارَى السُّتْرَابُ نَسِيبُ
وَلِمَنِ لَأَسْتَحْيِي أَخِي وَهُوَ مَيِّتٌ * كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ قَرِيبُ

وقال أعرابي :

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّا * أَقْنَا قَلِيلاً بَعْدَهُمْ وَتَقَدَّمُوا

وقال آخر :

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْنِي الْإِلَهَ إِذَا اشْتَكَيْ * مِنْ الْأَبْحَرِ لِي فِيهِ وَإِنْ سَرَّنِي الْأَبْجُرُ
وَأَجَزَّ أَنْ يَنْأَى بِهِ يَنْ لَيْسَ لِي * فَكَيْفَ بَيْنَ صَارَ مِيعَادَهُ الْحَشْرُ

وقال آخر :

وإِنَّا وَإِخْوَانًا لَنَا قَدْ تَتَابَعُوا * لِكَا الْمَغْتَدِي وَالرَّايْحِ الْمَتَهَجِّرِ

وقال سليمان الأعمش

رَبِّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ * عَدِمَتْهُ كَفُّ مَغْتَرِسَةٍ
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ مَا تَمُّهُ * أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عَرِسَةٍ

وتمثل معاوية بن أبي سفيان يوماً فقال :

إِذَا سَارَ مَنْ خَلْفَ أَمْرِي وَأَمَامَهُ * وَأَوْحَشَ مِنْ جِيرَانِهِ فَهُوَ سَائِرُ

وقال آخر :

وإذا قيل مات يوماً فلان . راعنا ذاك ساعة ما نُحْيِرُ
نذكر الموت عند ذاك وننسا . ه إذا غيبتنا عنا القبر سور

وقال آخر :

نُزاع من الجنائز قابلتنا * ونلهو حين تتخفى ذاهبات
كروية ثلثة لمغار سبع * فلما غاب ظلت راتعات

وقال أبو نواس :

سبقونا الى الرحى * لي وإنا لبالأثر

وكتب رجل الى بعض الأمراء في تعزية : الأمير أذكرك الله من أن يذكر به ،
وأعلم بما قضاه على خلقه من أن يدل عليه ، وأسلك لسبيل الراشدين في التسليم لأمره ١٠
والصبر على قدره والتنجيز لوعده ، من أن ينبئه من ذلك على حفظه ، أو أن يحتاج معزيه
عند حادث المصيبة الى أكثر من الدعاء في قضاء حقه . فزاده الله توفيقاً الى توفيقه ،
وأحضره رشده ، وسدد للصواب غرضه ، وتولاه بالحسنى في جميع أموره ، إنه سميع
قريب . وقد كان من حادث قضاء الله في المتوفى ما أنقض وأرمض ، وبلغ وأوجع ،
علما بما دخل على الأمير من النقص ، وعلى سروره من اللوعة ، وعلى أنسه من الوحشة ، ١٥
الى ما خصني منه بما أس الرحم وأوشج القرابة . فأعظم الله للأمير الأجر ، وأجزل له
الدُّخر ، وعصمه باليقين ، وأجزله ما وعد الصابرين ، ورحم المتوفى ولقاه الأمن
والروح ، وفسح له في المصجع ، وجمعه وإياه بعد العمر الطويل في الدار التي لا خوف ٢٠
عليهم فيها ولا هم يحزنون .

٢٠ (١) الثلثة (بالفتح) : جماعه الغنم الكثيرة ، والثلثة (بالضم) جماعة الناس . (٢) أنقض :
أنقل وأرمض : أوجع . (٣) في الأصل : « وجمع له وإياه » .

وفي كتاب : نحن نحمد الله أيها الأمير إذ أخذ على ما أبقى منك ، وإذ سلب على ما وهب بك ؛ فانت العسوف من كل فائت ، والجابر لكل مصيبة ، والمؤنس من وحشة كل فقد ؛ وحق لمن كنت له ولياً وعضداً أن يشغله حمد الله على النعمة بك عن الجزع على غيرك .

- ٥ وكتب سعيد بن حميد إلى محمد بن عبد الله : ليس المعزى على سلوكك السبيل التي سلكها الناس قبله والمضى على السنة التي سنها صالحو السلف له ؛ وقد بلغني ما حدث من قضاء الله في أم الأمير ، فنالني من ألم الرزية وفاجع المصيبة ما ينال خدمته الذين ينحصرهم ما خصه من النعم ، ويتصرفون معه فيما تناوله الله به من الحن . فأعظم الله للأمر الأجر ، وأجزل له المثوبة والذخر ، ولا أراه في أعمدة عنده تقصاء ، ووفقه عند النعم للشكر الموجب للزيد ، وعند الحن للصبر المحرز للثواب ، إنه هو الكريم الوهاب ، ورحم الله الماضية رحمة من رضى سعيه وجازاه بأحسن عمله . ولو كانت السبيل إلى الشيوخ إلى باب الأمير سهلة ، لكان الله قد أجل الأمير عن أن يعزّيه مثلي بالرسول دون اللقاء ، وبالكتاب دون الشفاء ، ولكن الكتاب لقاء من لا سبيل له إلى الحركة ، وقبول العذر عمن حيل بينه وبين الواجب .

- ١٥ ولأبن مكرم : ومما حركني للكتاب تعزيتك بمن لا ترميك الأيام بمثل الحادث فيه ، ولا تعترض مما كان الله جمعه لك عنده من الميل إليك والصبر على مكروه جفائك ، مع ما كان الله أعاره من قوة العقل وأصالة الرأي ، ومد له من عنانه إلى قصوى الغايات ، فإننا لله وإنا إليه راجعون على ما أفانئنا الأيام منه حين تم واستوى ، وغالى في المروءة وتناهى ، وعند الله يُحتسب المصاب به ، وعظم الله لك فيه الأجر ، ومهل لك في العمر ،

وأجزل لك العوض والذئير، فكل ما مضى من أهلك فأنت سداد أئمتيه وجابر رزقيته،
وقد خلف من أنت أحق الناس به من عجوز وليت تربيتك وحياتك في طبقات
سنتك، وولد ربوا في حجرك ونبتوا بين يديك، ليس لهم بعد الله مرجع سواك، ولا
مقيل إلا في ذراك، فأثمدك الله فيهم فإنه أنحرب أحوالهم بعمارة سروته، وقطعهم
بصلة فضله، والله يحزيه بحميل أثره ويخلفه فيهم بما هو أهله .

وفي فصل من كتاب : وقد جرى قضاء الله في هذه النازلة ما نطق عما نالك^(١)
وأبقى عندك، وهو حق مثلهما وقدر مأمها .

وفي فصل آخر : لو كان ما يمسك من أذى يشتري أو يفتدي، رجوت أن أكون
غير باخل بما آضن به النفوس، وأب أن أكون سترًا بينك وبين كل مليم ومخدور.
فأعظم الله أجرك، وأجزل ذئرك، ولا خذل صبرك ولا فتك، ولا جعل للشيطان
حظًا فيك ولا سبيلا عليك .

المدايني قال : قديم رجل من عبس، ضرير مخطوم الوجه، على الوليد، فسأله
عن سبب ضره، فقال : بت ليلة في بطن وادٍ ولا أعلم على الأرض عبسًا يزيد ماله على
مالي، فطرقنا سبلًا فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد إلا صبيًا رضيعا وبغيرا صعبا،
فندد البعير والصبي^(٢) معي فوضعتهم وأتبعتهما البعير لأحسبه، فلما جاوزت إلا ورأس
الذئب في بطنه قد أكله، فتوكلته وأتبعته البعير، فاستدار فرميت رمية حطمت بها وجهي
وأذهب عيني، فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد، فقال الوليد : أذهبوا به إلى عسرة
ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه، وكانت عسرة بن الزبير أصيب بأين
له وأصابه الداء الخبيث في إحدى رجليه فقطعها، فكان يقول : كانوا أربعة -

يعنى بذيه — فأبقيت ثلاثة وأخذت واحداً، وكُنَّ أربعة — يعنى يديه ورجليه —
فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثاً^(١)، أحمدك، لأن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت
أبقيت لقد عافيت، وشخص الى المدينة فأتاه الناس يسكنون ويتوجهون؛ فقال :
إن كنتم تُعسِدُونَنِي للسِّبَاق والصِّراع فقد أودى، وإن كنتم تُعسِدُونَنِي للسان والجاه
فقد أبى الله خيراً كثيراً .

وقال علي بن الجهم :

مَنْ سَبَقَ السَّلَوةَ بالصَّبْرِ * فاز بفضل الحميد والأجرِ
يا عَجَباً مَنْ هَالَعَ جازِع * يُصْبِحُ بين الذم والوزرِ
مُصِيبَةُ الإنسان في دينه * أعظمُ من جائحة الدهرِ

وقال بعض الشعراء^(٢) :

لَيْتَ شَعْرِي ضَلَّةً * أَيْ شَيْءٍ قَتَلَكَ
وَالْمُنَايَا رَصَدٌ * لِلْفَقِي حَيْثُ سَلَكَ
كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ * حِينَ تَلَقَى أَجَلَكَ
لَيْتَ نَفْسِي قَدَّمْتُ * لِلْمُنَايَا بِدَلَكَ
أَيْ شَيْءٍ حَسَنٍ * لِلْفَقِي لَمْ يَكْ لَكَ

وقال آخر :

غُرِّ أَمْرٌ مَنَّهُ نَفْسٌ * أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ
هِيَهَاتَ ! أَعْيَا الْأَوَّلِيَّةُ * نِ دَوَاءِ دَائِكَ يَدِيعَامُهُ

(١) في الأصل : «ثلاثة» بإثبات التاء . (٢) كذا بالأصل . وفي شرح أشعار الحماسة

(ص ١٤٤ طبعة أوروبا) أن هذه الأبيات لأُم تَابِطُ شَرًّا، ويقال لأُم السليك بن السلركة، وأولها :

طاف يبغي نجوة * من هلاك فهلك
ورجح التبريزي في نهاية الأبيات أنها لأُم السليك
وذكر لهذا خبراً .

وقالت صفيّة الباهليّة في أختها :

كَمَا كَغَصْنَيْنِ فِي جُرْثُومَةٍ سَمَّوَا ^(١) * حِينَا بِأَحْسَنِ مَا تَسْمُو لَهُ الشَّجَرُ
حَقِّي إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا * وَطَابَ قِنُوَاهُمَا ^(٢) وَأَسْتَنْظَرَ الثَّمَرُ
أَخْنَى عَلَى وَاحِدَى رَيْبُ الزَّمَانِ وَلَا * يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كَمَا كَأَنْجَمٍ لَيْلٍ وَسَطْنَا قَمَرُ * يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ

ومن هذا أخذ الطائي قوله :

كَأَنَّ بَنِي نَهْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ * نَجُومُ سَمَاءٍ نَحَرَ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

وقال آخر :

لِكُلِّ أَنْأَسٍ مَقْبَرٌ ^(٣) بِفَنَائِهِمْ * فَهَمَّ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورُ تَزِيدُ
وَمَا إِنْ زَالَ رَسْمٌ دَارٍ قَدْ أَخْلَقَتْ * وَبَيْتٌ لَمِيتٌ بِالْفَنَاءِ جَدِيدُ
هُمْ جِرَّةُ الْأَحْيَاءِ أَمَّا جَوَارُهُمْ * فَدَانٍ وَأَمَّا الْمَلْتَقَى فَبَعِيدُ

وقال آخر :

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ أَقْوَامًا لَنَا ذَهَبُوا * أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبْدُ
تَمُدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا * وَلَا يُؤْوِبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدُ

وقال النابغة :

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ أَنَّ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا * هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بِالِي

وقال آخر :

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَكَ ^(٤) حَقِيقَةً * فَخَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
أَلَا لِيَمُتَ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا * عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

(١) جرثومة الشيء : أصله . (٢) القنو : العنق وهو من النخل كالعنقود من العنب .

(٣) المقبر : موضع القبور . (٤) أملك : أمتع بك ، يقال : ملاك الله حبيبك أى متعك به

وأعاشك معه طويلاً .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا وَارَى التُّرَابُ فِإِمَالَهُ * وَلَكِنَّهُ وَارَى ثِيَابًا وَأَعْظَمًا
فَضَالَةً^(١) بَنِ شَرِيكَ :

رَمَى الْحِدْثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ * بِفَادِحَةٍ سَمَدَتْ لَهَا سُمُودًا^(٢)
فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السُّودَ بِيَضًا * وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا

وقال آخر :

أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ * بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ مَصِيبَتُهُ فَعَمَّ هَلَاكُهُ * فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَاجُورُ
رَدَّتْ صِنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ^(٣) * فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنَشُورُ

منصور النمرى :

فَإِنْ يَكُ أَفْتَتُهُ اللَّيَالِي فَأَوْشَكَتْ * فَإِنَّ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيَالِي

وقال طفيل يذكر الموت :

مَضَوْا سَاقًا قَصَبُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ * وَصَرَفُ الْمَنَايَا بِالرِّجَالِ تَقَلُّبُ

وقال هشام أخو ذى الرمة :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغْيِلَانَ بَعْدَهُ * عِزَاءً وَجَفْنَ الْعَيْنِ مَلَانُ مُتَرَعٍ
وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمَصِيبَاتِ بَعْدَهُ * وَلَكِنَّ نَكَّ^(٤) الْقَرَحِ بِالْقَرَحِ أَوْجَعُ

(١) نسب هذا الشعر في أمالي القالى (ج ٣ ص ١١٥ طبعة دار الكتب) للكهيت بن معروف الأسدى .
ونسب في شرح أشعار الحماسة (ص ٢٧٤ طبعة أوروبا) وشرح القاموس مادة سمء لعبد الله بن الزبير الأسدى .
(٢) السمود : الغفلة وذهاب القلب ومنه قوله تعالى : (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) وهو تغير الوجه من الحزن كأنه أصابها السواد . وقيل معناه رفع رءوسهم ونحن . (٣) كذا في نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٧٨ طبع دار الكتب المصرية) وهو الذى يستقيم به معنى الشعر . وفى الأصل : «إلى» . (٤) النك : مصدر نكأ القرحة اذا قشرها قبل أن تبرا فنديت .

وفي فصل من كتاب لبعض الكتاب : لست أحتاج مع علمك بما في الصبر
عند نازل المصيبة من الفضيلة ، وما في الشكر عن ^(١) حادث النعمة من الحظ ، الى أكثر
من الدعاء في قضاء الحَقَّين ، ولا إلى إخبارك عما أنا عليه من الارتماض ^(٢) لضرائك
والجذل بسرائك ، لمعرفتك بشركتي لك واتصال حالك بي في الأمرين .

التـــهاني

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا ميمون [قال] حدثنا أبو عبد الله
الناجي قال : كنت عند الحسن ، فقال رجل : ليهنئك الفارس ، فقال : لعله يكون بغلاً ،
ولكن قل : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، وباع أشده ، ورزقت بره .
قال مجاهد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لمتزوج قال : "على اليمن
والسعادة والطير الصالح والرزق الواسع والمودة عند الرحمن" .

قال أبو الأسود لرجل يهنئه بتزويج : باليمن والبركة ، وشدة الحركة ، والظفر في المعركة .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى أن يقال : « بالرفاء والبنين » .
وكان يقال : إن أول من هنا وعزى في مقام واحد عطاء بن أبي سفيان
الثقفى ، عزى يزيد بن معاوية بأبيه وهناك بالخلافة ، ففتح للناس باب الكلام ،
فقال : أصبحت رزيت خليفة وأعطيت خلافة الله . قضى معاوية نعمة ، فغفر الله ذنبه ،
ووليت الرياسة ، وكنت أحق بالسياسة ، فأحتسب عند الله أعظم الرزية ، وأشكر الله
على أعظم العطية . وعظم الله في أمير المؤمنين أجرك ، وأحسن على الخلافة عوانك .
وقالت أعرابية للنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس : أعظم الله أجرك
في أخيك ، لا مصيبة على الأمة أعظم من مصيبتك ، ولا عوض لها أعظم من خلافتك .

(١) لعله : « عند » . (٢) الارتماض : الحزن . (٣) أنحزم بمعجمين .
(٤) البغال : راكب البغال ، والبغال تعجز عن شأوالأفراس .

قال الحجاج لأَيُّوبَ بنِ القِرِّيَّةِ : اخْطُبْ عَلَى هِنْدَ بِنْتِ أَسمَاءَ ، وَلَا تَرِدْ عَلَى ثَلَاثِ
كَلِمَاتٍ ، فَأَتَاهُم فَقَالَ : أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ مَنْ تَعْلَمُونَ ، وَالْأَمِيرُ مُعْطِيكُمْ مَا تَسْأَلُونَ ،
أَفْتَنِيْكُمْحُونَ أَمْ تَرُدُّونَ^(١) ؟ قَالُوا : بَلْ أَنْكَحْنَا وَأَنْعَمْنَا . فَرَجَعَ آيْنُ القِرِّيَّةِ إِلَى الْحَجَّاجِ
فَقَالَ : أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَكَ ، وَجَمَعَ شِمْلَكَ ، وَأَنْبَتَ رَيْعَكَ ؛ عَلَى الثِّبَاتِ وَالنَّبَاتِ ، وَالْغَنَى
حَتَّى الْمَمَاتِ ؛ جَعَلَهَا اللَّهُ وَدُودًا وَلُودًا ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا عَلَى الْبَرَكَةِ وَالْخَيْرِ .

كُتِبَ بَعْضُ الْكِتَابِ إِلَى رَجُلٍ يَهْنُئُهُ بِدَارِ انْتِقَالِهَا إِلَيْهَا : بِخَيْرٍ مُنْتَقِلٍ ، وَعَلَى أَيْمَنِ
طَائِرٍ ، وَلَأَحْسَنِ إِبَّانٍ ، أَنْزَلَكَ اللَّهُ عَاجِلًا وَآجِلًا خَيْرَ مَنَازِلِ الْمُفْلِحِينَ .

وَقَالَ آيْنُ الرَّقَاعِ لِمُتَرَوِّجٍ :

قُمُ السَّمَاءَ وَشَمْسُهَا آجْتَمَعَا * بِالسَّعْدِ مَا غَابَا وَمَا طَلَعَا

مَا وَارَتْ الْأَسْتَارُ مِثْلَهُمَا * فِيمَنْ رَأَيْنَاهُ وَمَنْ سَمِعَا

دَامَ السُّرُورُ لَهُ بِهَا وَلَهَا * وَتَهْنَأُ طَوْلَ الْحَيَاةِ مَعَا

وَكُتِبَ إِلَى صَاحِبِهَا لَهُ يَهْنُئُهُ بِالدُّخُولِ عَلَى أَهْلِهِ : قَدْ بَلَغْنِي مَا هَيَّا اللَّهُ لَكَ
مِنْ آجْتِمَاعِ الشُّمْلِ ، بِضَمِّ الْأَهْلِ ؛ فَشَرِّكَتْكَ فِي النِّعْمَةِ ، وَكُنْتُ أُسُوتَكَ فِي السُّرُورِ ،
وَشَهِدْتُكَ بِقَلْبِي ، وَمِثَلْتُ مَا أَنْتَ فِيهِ لِعَيْنِي ، فَخَلَلْتُ بِذَلِكَ مَحَلَّ الْمُعَايِنِ لِلْحَالِ وَزِينَتَهَا ،
فَهْنِئْنَا هَنَّاكَ اللَّهُ مَا قَسَمَ لَكَ ، وَبِالرَّقَاءِ وَالْبَنِينَ ، وَعَلَى طَوْلِ التَّعْمِيرِ وَالسِّنِينَ .

وَكُتِبَ آخَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِلَى عَامِلٍ : نَحْنُ مِنَ السُّرُورِ ، بِمَا قَدْ آسْتَفَاضَ مِنْ جَمِيلِ
أَثْرِكَ فِيمَا تَلَى مِنْ أَعْمَالِكَ ، وَخَطَمِكَ وَزَمِّكَ إِيَّاهَا بِحَزْمِكَ وَعَزْمِكَ ، وَأَنْتَ يَا شَيْكَ أَهْلَهَا
مِنْ جَوْرِ مَنْ وَلِيَهُمْ قَبْلَكَ ، وَسُرُورِهِمْ بِتَطَاوُلِ أَيَّامِكَ وَالْكُونِ فِي ظِلِّ جَنَاحِكَ ، فِي غَايَةِ
مَنْ تَخَصَّصَهُ وَتَعَمَّهُ نِعْمُكَ ، وَتَجَوَّلُ بِهِ الْحَالِ حَيْثُ جَالَتْ بِكَ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ
الْعَاقِبَةَ لَكَ ، وَلَمْ يَرُدِّدْ عَلَيْنَا آمَالَنَا مِنْكَ فِيكَ ، كَمَا رَدَّهَا عَلَى غَيْرِنَا فِي غَيْرِكَ . وَهْنِئْنَا هَنَّاكَ
اللَّهُ نِعْمَهُ خَاصَّهَا وَعَامَّهَا ، وَأَوْزَعَكَ شُكْرَهَا ، وَأَوْجِبَ لَكَ بِالشُّكْرِ أَحْسَنَ الْمَزِيدِ فِيهَا .

(١) فِي الْأَصْلِ : «أَوْ تَرُدُّونَ» وَالْمَقَامُ هُنَا يَقْتَضِي «أَمْ» الْمُتَّصِلَةَ .

وكتب رجلٌ من الكتّاب إلى نصرانيٍّ قد أسلم يهنئه : الحمد لله الذي أرشدَ
 أمرَكَ ، وخصَّ بالتوفيق عزَمَكَ ، وأوضح فضيلةَ عقلِكَ ، ورَجَاحةَ رأيِكَ ، فما كانت
 الآدابُ التي حويتهَا ، والمعرفةُ التي أوتيتهَا ، لتدوم بك على غوايةٍ وديانةٍ شائنةٍ لا تليقُ
 ببلِّكَ ، ولا يبرح ذُؤوالجما من موجي حقك يُنكرون إبطاءك عن حفظك وتركك البدارَ
 إلى الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره ولا يُثيب إلا به ، فقال : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ
 الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . والحمد لله الذي
 جعلك في سابق علمه ممن هداه لدينه ، وجعله من أهل ولايته ، وشرفه بولاء خليفته .
 وهناك الله نعمته ، وأعانك على شكره ، فقد أصبحت لنا أخا ندين بمودته وموالاته
 بعد التأثم من خلطتك ومخالفة الحق بمشايعتك ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ لَا تَجِدُ
 قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
 أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ .

وكتب رجلٌ من الكتّاب تهنئةً بحجِّ : الحمد لله على تمام مهاجرتك ، وسلامة
 بدأتك ورجعتك ، وإعظامه المنة بأوبتك ، وشكر الله سعيك ، وبرحمتك ، وتقبل
 نسكك ، وجعلك ممن قلبه مُفَاحاً مُنِجِحاً ، قد ربحَتْ صفقته ، ولم تهرُ تجارتُهُ ،
 ولا أعدَمَكَ نيةٌ تفضُلُ عملَكَ ، وتوفيقاً يحُوطُ دينَكَ ، وشكراً يرتبط نعمتك ، فهناكم
 الله النعمة ، وجمعكم في دار الخلافة ، وجعلكم ساسة الأمة والمتقدمين عند الإمام —
 أيده الله بالطاعة والنصيحة — فإنكم زِينُ السلطان ، وعمدة الإخوان ، وأضدادُ أكثرِ
 أهل الزمان .

وكتب إلى رجلٍ عن صديقٍ له يهنئه بفِطام مولود : أنا — أعزك الله — لي
 حماني الله من أياديكَ ، وأودعني من إحسانك ، وألزمني من شكرك ، آخذ نفسي بمراعاة
 أمورك ، وتفقد أحوالك ، وتعرف كل ما يُحدثه الله عندك ، لأقابله بما يلزمني ، وأقضي

الحق فيه عني بمبلغ الوُسْع ومقدار الطاقة، وإن كانا لا يبلغان واجبك، ولا يستقلان
 بثقل عارفتك . وكل ما نقل الله الفتى [و] بلغه من أحوال السلوغ ورقاه فيه من
 درجات النمو، فنعمة من الله حادثة تلزم الشكر، وحق يجب قضاؤه بالتهنئة، وكتب
 الى وكيل المقيم ببابك يذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفطام، وصلاح جسمه
 عند الطعام، وسلوته عن أول الغذاء، وسرورك ومن يليك بما وهب الله في هذه
 الحال من عافيته وحسن المدافعة عنه؛ فأكثر لله الحمد، وأسهب في الدعاء
 والرغبة، وتصدقت عنه بما أرجو أن يتقبله؛ وكتبت مهنئا بتجدد النعمة عندهم
 فيه . فالحمد لله المتطوّل علينا قبله بما هو أهله، والمجّري لنا فيما يُوليك على حسن
 عادته . وهناك الله النعم، وصانها عندك من الغير، وحرسها بالشكر، وبلغ بالفتى أقصى
 مبالغ الشرف، وجعلك من الأمل فيه والرجاء له على العيان واليقين، بمنته وفضله .
 ١٠ وكتب بعض الكتاب تهنئة بحجّ الى صاحبه : الحق للسادة عند ما يجدده الله
 لهم من نعمة في الدعاء، من جلائل حقوقهم على أوليائهم . وقد خصّ الله حقك
 بما لا يسعني معه آذخار مجهود في تعظيمه وشكره . ولولا أنّ الطاعة من حدوده،
 لم أنتظر إذنك لي في تلقّيك راجلاً بالأوبة، إذ كان الكتابُ بها دون السعي بأبلغ
 نصيب من التقصير . وأنا أسأل الله الذي أوفدك الى بيته الحرام، وعمر بك مشاهدته
 ١٥ العظام، وأوردك حرمة سالم، وأصدرك عنه غانماً، ومن بك على أوليائك وخدمك،
 أن يهنئك بما أنعم به عليك في بدأتك ورجعتك؛ بتقبل السعي وتجميع الطلبة
 وتعريف الإجابة .

وكتب بعض الكتاب تهنئة بولاية : فإنه ليس من نعمة يجددها الله عندك،
 والصنع الجميل تُحدثه لك الأيام، إلّا كان آرتياحى له وأستبشارى به واعتدادى
 ٢٠ بما يهب الله لك من ذلك، حسب حقك الذي توجبه، وبرك الذي أشكره، وإخائك

الذى يَعْزُّ وَيَجَلِّ عِنْدِي مَوْقَعُهُ ، بِفَعْلِ اللَّهِ ذَلِكَ فِيهِ وَلَهُ ، وَوَصَّاهُ بِتَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ .
وَبَلَّغْنِي خَيْرُ الْوَلَايَةِ الَّتِي وَلَيْتَهَا ، فَكُنْتُ شَرِيكَكَ فِي السُّرُورِ وَعَدِيكَ فِي الْأَوْتِيَاكِ ،
فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَرِّفَكَ يُمَنِّهَا وَبَرَكَتَهَا ، وَيَرْزُقَكَ خَيْرَهَا وَعَادَتَهَا ، وَيُحَسِّنَ مَعُونَتَكَ عَلَى
صَالِحِ نِيَّتِكَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِ عَمَلِكَ وَالتَّائِبِ لَهُمْ ، وَاسْتَعْمَالِ الْعَسَدِيِّ فِيهِمْ ،
وَيَرْزُقَكَ مُحِبَّتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ ، وَيَجْعَلَهُمْ خَيْرَ رَعِيَّةٍ .

وَكُتِبَ رَجُلٌ إِلَى مَعْزُولٍ : ^(١) إِنْ أَكْثَرَ الْخَيْرِ فِيمَا يَقَعُ بِكَرْدِ الْعِبَادِ ، لَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ . وَقَالَ
أَيْضًا : ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . وَعِنْدَكَ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنَ
الْمَعْرِفَةِ بِتَصَارِيفِ الْأُمُورِ ، وَالْأَسْتِدْلَالِ بِمَا كَانَ مِنْهَا عَلَى مَا يَكُونُ ، مَعْنَى عَنِ الْإِنْكَارِ
فِي الْقَوْلِ . وَقَدْ بَلَّغْنِي أَنْصَرَفُكَ عَنِ الْعَمَلِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْصَرَفْتَ عَلَيْهَا مِنْ رِضَا رَعِيَّتِكَ
وَمُحِبَّتِهِمْ وَحَسَنِ ثَنَائِهِمْ وَقَوْلِهِمْ ، ^(٢) لِمَا بَقِيَتْ مِنَ الْأَثْرِ الْجَمِيلِ عِنْدَ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ ،
وَخَلَّفْتَ مِنْ عَدْلِكَ وَحَسَنِ سَيْرَتِكَ فِي الدَّانِي مِنْهُمْ وَالْقَاصِي مِنْ بِلَدِهِمْ ، فَكَانَتْ
نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ وَعَلَيْنَا ، نِعْمَةٌ جَلَّ قَدْرُهَا وَوَجِبَ شُكْرُهَا . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى
مَا أَعْطَاكَ ، وَمَنْحَ فَيْكَ أَوْلِيَاءِكَ وَأَرْغَمَ بِهِ أَعْدَاكَ ، وَمَكَّنَ لَكَ مِنَ الْحَالِ عِنْدَ مَنْ
وَلَّاكَ ، فَقَدْ أَصْبَحْنَا نَعْتَدُ صَرْفَكَ عَنْ عَمَلِكَ مَنَاحًا ^(٣) مُجَدِّدًا ، يَجِبُ بِهِ تَهْنِئَتُكَ ، كَمَا يَجِبُ
التَّوَجُّعُ لَغَيْرِكَ .

وَكُتِبَ رَجُلٌ مِنَ الْكُتَّابِ فِي تَهْنِئَةٍ بِحَجٍّ : لَوْلَا أَنَّ عَوَائِقَ أَشْغَالٍ يُوجِبُ الْعَذْرَ
بِهَا تَفْضُلُكَ وَيَسْطُطُ أَحْتِمَالُكَ ، لَكُنْتُ مَكَانَ كِتَابِي هَذَا مَهْنَةً لَكَ بِالْأَوْبَةِ ، وَمُجَدِّدًا

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْخِيَار » . (٢) فِي الْأَصْلِ : « مَا بَقِيَتْ » . (٣) بِالْأَصْلِ : « مَنَاحًا »

بك عهداً ، ومُحِيّاً نَفْسِي بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَشْكُرَ سَعْيَكَ ، وَيَتَقَبَّلَ حُجَّكَ ،
وَيُثَبِّتَ فِي عَالَمِينَ أَثَرَكَ ، وَلَا يَجْعَلَهُ مِنَ الْوَفَادَةِ إِلَيْهِ آخَرَ عَهْدِكَ .

وكتب بعض الكتاب : لَا مُهَنِّيَّ أَوْلَى مَا يَكُونُ مَهْنًا ، تَعْظِيماً لِنَعْمِهِ فِيمَا جَدَّدَ
اللَّهُ لَكَ يَا مَوْلَايَ بِالْوِلَايَةِ ، مَنِّي ؛ إِذْ كُنْتُ أَرْجُو بِهَا أَنْضِمَامَ نَشْرِي ، وَتَلَا فِي اللَّهِ بِعَنَائِتِكَ
الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ أَمْرِي . فَهَنَّاكَ اللَّهُ تَجَدُّدَ النِّعَمِ ، وَبَارَكَ لَكَ فِي الْوِلَايَةِ ، وَأَفْتَتَحُهَا لَكَ
بِالصَّنْعِ الْجَمِيلِ ، وَخَتَمَهَا لَكَ بِالسَّلَامَةِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ .

باب شرار الإخوان

ذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبه فقال : ذاك رجل ليس له صديق^(١)
في السر ولا عدو في العلانية .

وقال الشاعر :

١٠

وإِنْ مِنَ الْخُلَّانِ مَنْ تَشَحَّطُ النَّوَى * بِهِ وَهُوَ دَايِعٌ لِلْوَصَالِ أَمِينُ
وَمِنْهُمْ صَدِيقُ الْعَيْنِ أَمَّا لِقَاؤُهُ * فَخَلُّوْهُ وَأَمَّا غَيْبُهُ فَظَنُونُ^(٢)

أقبل عيينة بن حصن إلى المدينة قبل إسلامه ، فلقبه ركب خارجون منها ؛
فقال : أخبروني عن هذا الرجل (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) ، فقالوا : النَّاسُ فِيهِ
ثَلَاثَةُ رِجَالٍ : رَجُلٌ أَسْلَمَ مَعَهُ يَقَاتِلُ قُرَيْشًا وَأَفْنَاءَ الْعَرَبِ^(٣) ، وَرَجُلٌ لَمْ يُسْلَمْ
فَهُوَ يَقَاتِلُهُ ، وَرَجُلٌ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ إِذَا لَقِيَ أَصْحَابَهُ وَيُظْهِرُ لِقُرَيْشٍ أَنَّهُ مَعَهُمْ
إِذَا لَقِيَهُمْ ؛ فَقَالَ : مَا يُسَمَّى هَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا : الْمُنَافِقُونَ ؛ قَالَ : فَأَشْهَدُوا أَتَى مِنْهُمْ ،
فَمَا فِيهِمْ وَصَفْتُمْ أَحْزَمُ مِنْ هَؤُلَاءِ .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٨) : « وسئل شبيب بن شيبه عن خالد بن صفوان

فقال : ذاك رجل الخ » ، وهي تزيد الضبط الذي أثبتناه . (٢) ظنون : لا يوثق به .

٢٠

(٣) أفناء العرب : أخلاطهم النزاعون من هاهنا وهاهنا ولا يدري من أي القبائل هم .

وكان رجل يدعو فيقول: اللهم اكفني بوائق الثقات، واحفظني من الصديق.
وكتب رجل على باب داره: جزي الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيراً، فأما
أصدقائنا فلا تجزوا ذلك، فإننا لم نؤت قط إلا منهم.

وكتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك الزيات:
وكنتم أخى بإخاء الزمان * فلما نبأ صرت حرباً عواناً
وقد كنتم أشكو اليك الزمان * فأصبحتُ فيك أذم الزمانا
وكنتم أعيدك للنائبات * فهانا أطلب منك الأمانا
وقال محمد بن مهدى:

كان صديق وكان خالصي * أيام نجري تجاري السوق
حتى اذا راح والملوك معا * عد أطراحي من صالح المأقي
خلت ثوب الفراق في يده * وقلت هذا الوداع فانطلق
ليسته لبسة الحديد على الـ * فقر وفارقت فرقة الخلق

وقال آخر:

إذا رأيت أمراً في حال عسرتي * مواصلاً لك ما في وده خلل
فلا تمن له أنت يستفيد غني * فإنه بانتقال الحال ينقل

وكتب رجل الى صديق أعرض عنه: لولا أني أشفقت من أشتات ظني
[في] إجابتك إلى ما يعلم الله براءتي منه فيك ولك لمعجبك ولكفيتك مؤنتي، ثقة بأن
أزديادك من معرفة الناس سترتك إلى، فان رجعت قبلت وتمسكت وأغبطت،
وإن أصررت لم أتبع مؤلّيا، ولم آس على مديري، ولم أسأح نفسي على تعاقبها بك،

(١) كتبنا بالأصل ولم نوفق الى هذا الكتاب في مصدر آخر بعد طول البحث عنه في مظانّه .

ولم أساعدها على نزاعها اليك . فكم من زمان تركتُك فيه وسؤمك ثم أبى قلبي ذلك ،
فكررتُ وعطفتُ أسى على أيامي معك وما تَوَكَّدَ بيني وبينك . وما من كَرَّةٍ لي
اليك إلا وهى داعيةٌ إلى ما أكرهه من استخفافك ونفورك . ولو فهمت ما استحققتُ
به عليك ما أشكوه لخَفَّ مَحْمَلُ ما يكون منك على ولا جمدت في عتباك ورضاك .^(١)

وفي جواب كتاب : وقد وزعنى ما ضربته لي من الأمثال في كتابك عن
استبطائك . على أنى لا أستريد إلا من أحتاج الى صلاحه وأرغب في بقيته ، وقد
قيل :

يَا بَيْنَ إِلَّا جَفْوَةً وَظَلَمًا * من كثرة الوصل تجنى الجُرْمَا^(٢)

وفي كل ما أجبته ظلمت في معارضي عن مسيخي جوابك بإيجاشي ، وفي اعتدادك
عليّ بما أنت جانيه عليك الحجّة فيه . وما أنكر الخلاف بين الأب وأبنه والأخ وشقيقه .
إذا وقعت المعاملة ، ولذلك سبب لا أعرفه بيني وبينك قط ، فإنى لم أخالفك
ولم أشاححك ولم أنازعك ولم أعارض نعمك بآ ولا أمرك بنهى .

وقال الحسن بن وهب :

سَأَكْرِمُ نَفْسِي عَنْكَ حَسَبَ إِهَانِي * لها فيك إذ قَرَّتْ وكَفَّ نِزَاعُهَا
هى النَّفْسُ مَا كَلَّفَتْهَا قَطُّ خُطَّةً * من الأمر إلا قلّ منه امتناعُهَا
صَدَقْتَ لِعَمْرِي أَنْتَ أَكْبَرُ هَمِّهَا * فَأَجْهَدُهَا إذ قلّ منك انتفاعُهَا
هَبْ أَنَّى أَعْمَى فَاتَتْ الشَّمْسُ طَرَفَهُ * وَغَيَّبَ عَنْهُ نَوْرُهَا وَشُعَاعُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

رَأَيْتُ فُضِيلاً كَانَ شَيْئاً مُلَفِّقًا * فكشّفه التّحْيِصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا

فانت أنى ما لم تكن لى حاجة * فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا
 فلا زاد ما بينى وبينك بعد ما * بلوثك فى الحاجات إلا تماديا
 فاست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
 فعين الرضا عن كل عيب كيلة * ولكن عين السخط تهدى المساويا
 كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن إذا متنا أشد تغانيا

وكتب أيضا الى بعض إخوانه : أما بعد ، فقد عاقبى الشك فىك عن عزيمة
 الرأى فى أمرك ؛ ابتدأتنى بلطف عن غير خبرة ، ثم أعقبته جفاء من غير ذنب ؛
 فأطمعنى أولئك فى إخالك ، وآيسنى آخرك من وفائك ؛ فلا أنا فى غير الرجاء نجتمع لك
 أطراحا ، ولا أنا فى غيد وانتظاره منك على ثقة ؛ فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح
 الرأى فى أمرك عن عزيمة الرأى فىك ، فأقمنا على اتلاف ، أو آفترقنا على اختلاف .
 وكتب رجل الى صديق له : نحن نستكثرك بأعتراك ، ونستديم صلتك
 بجفائك ، ونرى الزيادة فى الغم أدوم بلحيل رأيك . ومثله قول كثير :
 وإن شحطت يوما بكيت وإن دنت * قدلت وأستكثرما بأعتارهما
 ونحوه قول الكمي :
 وقد يخذل المولى دعائى ويحتدى * أذأتى وإن يعدل به الضيم أغضب
 فأؤنس من بعض الصديق ملالة الدنو * فأستبقمهم — بالتجنب

وقال آخر :

إنك ما أعلم ذو ملة * يذهلك الأدنى عن الأقدم

(١) كذا فى المحاسن والمساوى للبيهق والمحاسن والأضداد للجاحظ . وفى الأصل : « ابتدأتنى بلطف

(٢) كذا فى الأصل ولعله : « ونرى الزيادة فى الغم أدوم الخ » .

وقال عبد الرحمن بن حسان :

لا خير في الود ممن لا تزال له * مستشعراً أبداً من خيفة وجلال
إذا تغيب لم تسبح تُسبيء به * ظناً وتسأل عما قال أو فعلاً

وقال مرة بن محكان :

ترى بيننا خلقاً ظاهراً * وصدرًا عدواً ووجهًا طليقاً

ونحوه قول المزار :

كذبٌ تخترصه على لقومه * سلم اللسان محارب الأسرار

وحدثني أبو حمزة الأنصاري قال : حدثنا العتيبي قال : قالت أعرابية لابنها :
يا بني ، إياك وصحبة من مودته بشره فإنه بمنزلة الريح .

وكان يقال : الإخوان ثلاثة : أخ يُخلص لك ودّه ، ويبلغ في محبتك جهده .
وأخ ذونية يقتصر بك على حسن نيته ، دون رفده ومعاونته . وأخ يلهو^(١)ك لك لسانه ،
ويتشغل عنك بشانه ، ويوسعك من كذبه وأيمانه .

وقال المثقّب العبدى :

فإما أن تكون أخى بصديق * فأعرف منك غنى من ثميني
ولما فأجتنبني وأتخذني * عدواً أتقيك وتتقيني

وقال أوس بن حجر :

وليس أخوك الدائم العهد بالذى * يسوءك إن ولّى ويرضيك مقبلاً
ولكن أخوك النسائي مادمت آمناً * وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلاً

(١) كذا في الأصل ولعله : « بلسانه » واللهوة واللهوق : أن يبدى الانسان غير ما في طبيعته ويتزين

بما ليس فيه من خلق ومروءة وكرم .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا وَدَّ اللّٰهَانِ بِنَافِعٍ * إِذَا لَمْ يَكُنْ أَصْلُ الْمَوْدَةِ فِي الْقَلْبِ
وقال أبو حارثة المدني : ليس للملوي صديق ، ولا لحسود غنى ، والنظر في العواقب
تلقح العقول .

قال العباس بن الأحنف :

أَشْكُو الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ * حَتَّى إِذَا أَيَّظُّونِي فِي الْمَوَى رَقَدُوا
وَأَسْتَهْضُونِي فَلَمَّا قَمْتُ مُتَهَيِّضًا * بِثِقَلٍ مَا حَمَلُونِي فِي الْمَوَى قَعَدُوا

ونحوه قول المجنون :

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي * بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعَصَمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
تَجَافَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ * وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

وقال آخر :

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ * عَلَى طَوْلِ مَرِّ الْحَادِثَاتِ بَقَاءُ
وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

لَا إِلَهَ مَنْ لَا يَنْفَعُ الْوَدَّ عِنْدَهُ * وَمَنْ حَبَلُهُ إِنْ مَدَّ غَيْرَ مَتِينِ
وَمَنْ هُوَ إِنْ يُحْدِثُ لَهُ الْغَيْرُ نَظْرَةً * يُقَطِّعُ بِهَا أَسْبَابَ كُلِّ قَرِينِ

(١) في الأصل : « لثقل » باللام وليس هذا مقامها ، ورواية الديوان :

وَأَسْتَهْضُونِي فَلَمَّا قَمْتُ مُتَهَيِّضًا * بِثِقَلٍ مَا حَمَلُوا مِنْ وَدَّهِمْ قَعَدُوا

(٢) العصم : جمع أعصم ، والأعصم من الظباء والوعول : ما في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائر

أسود أو أجزر . (٣) نسب القالي في أماليه (ج ٢ ص ٢٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) هذين

البيتين لكثير ، وقد نسبهما أبو الفرج في الأغاني (ج ٢ ص ٩٠ طبعة دار الكتب) للمجنون .

ويقال : صاحب السوء جذوة من النار .

وقال عليّ عليه السلام : " لا تؤاخذ الفاجر فإنه يزين لك فعله ويحب لو أنك مثله ويزين لك أسوأ خصاله ، ومدخله عليك ومخرجه من عندك شين وعار . ولا الأحق فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرك ، فسكوته خير من نطقه ، وبعده خير من قربه ، وموته خير من حياته . ولا الكذاب فإنه لا ينفعك معه عيش ، ينقل حديثك وينقل الحديث إليك حتى إنه ليحدث بالصدق فما يصدق " .

قال أبو قبيل : أسرت ببلاد الروم فأصبحت على ركن من أركانها :

ولا تصحب أخا الجهل * وإياك وإياها

فكم من جاهل أردى * حلياً حين آخاه

يُقاسُ المرءُ بالمرء * إذا ما هو ماشاه

وللشيء على الشيء * مقاييسٌ وأشباهُ

وللقب على القلب * دليلٌ حين يلقاه

وقال عديّ بن زيد :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه^(١) * فإن القرين بالمقارن مقتدي

وأنشد الرّياشي :

إن كنت لا تصحب إلا قتي * مثلك لم تؤت بأمثالك

(١) ورد هذا البيت في حماسة البحترى (ص ٣٠٧ طبعة أوروبا) بلفظ : « وسل عن قرينه »

وكتب بهامشه : « خ : وأبصر قرينه » إشارة إلى نسخة أخرى . وورد في ديوان طرفة بن العبد

(ص ١٥٣ طبع مدينة مئاون سنة ١٩٠٠ م) ضمن الأبيات المنسوبة إليه والراجح أنه لعديّ بن زيد ، من

داليته المشهورة ، وهي من مجمرات أشعار العرب التي ذكرها أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في كتابه

« جمهرة أشعار العرب » (ص ١٠٢ طبعة بولاق) ومطلعها :

أعرف رسم الدار من أتم معبد * نعم ورمك الشوق قبل التجلد

إِنَّ لَكَ الْفَضْلَ عَلَى صُغْبَتِي * وَالْمَسْكُ قَدْ يَسْتَصْرِجِبُ الزَّامِكَا
هَبْنِي أَمْرًا جِئْتُ أُرِيدُ الْهَدَى * بِخَدِّ عَلَى ضَعْفَى بِإِسْلَامِكَا

وكتب يحيى بن خالد : أحب أن تكونا على يقين أنني بك ضنين ، وأريدك ما أردتني ، وأريدك أن تتوب عني ما كان ذلك بي وبك جميلا يتحسن عند إخواننا ، وإن وقعت المقادير بخلاف ذلك لم أعد ما يجب . والذي هاجني على الكتاب أن أبا نوح معروف بن راشد سألني أن أبوح له بما عندي ، والله يعلم أنني ما تبدلت وما حلت عن عهد ، فجمعنا الله وإياك على طاعته ومحبة خليفته .

وقرأت في كتاب للهند : ثق بذى العقل والكرم وأطمئن إليه ، وواصل العاقل غير ذى الكرم ، واحترس من سيئ أخلاقه وأنتفع بعقله ، وواصل الكريم غير ذى العقل وأنتفع بكرمه وأنتفع بعقلك ، وأهرّب من اللئيم الأحمق .

وقال حماد عجرد :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُشْكِرُهُ * مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
مُتَّصِعٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ * يَلْقَاكَ بِالْتَّرْحِيبِ وَالْبُشْرِ
يَطْوِي^(٣) أَلْوَفَاءَ وَذَا أَلْوَفَاءَ وَيَدُ * سَحَى الْغَدْرِ مَجْتَهِدًا وَذَا الْغَدْرِ
فَإِذَا عَدَاءُ ، وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرِهِ ، * دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
فَارْفُضْ بِإِجْمَالٍ أَخُوَّةَ مَنْ^(٤) * يَقْلِي الْمِقْلَ وَيَعْشَقُ الْمُثْرَى
وَعَلَيْكَ مَنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ * فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْيُسْرِ
لَا تَخْطِطُنَّهُمْ بِغَيْرِهِمْ * مِنْ يَخْلُطُ الْعَقِيَانِ بِالْصُّفْرِ^(٥) !

(١) الزامك : شيء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٢) في الأصل : «العاقل» وهو

تحريف . (٣) كذا في الأغاني (ج ١٣ ص ٩٠) . وفي الأصل : «يطوي» وهو تحريف .

(٤) في الأغاني (ج ١٣ ص ٩٠) : «مودّة» . (٥) الصفر : النحاس الأصفر .

وقال سويد بن الصامت :

أَلَا رَبِّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى * مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَ لَكَ مَا يَفْقَرُ
مَقَالَتُهُ كَالشَّحْمِ مَا كَانَ شَاهِدًا * وَبِالْغَيْبِ مَأْثُورٌ عَلَى ثَغْرَةِ النَّحْرِ^(٢)
تُبَيِّنُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتِمٌ * مِنَ الضُّغْنِ وَالشُّحْنَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ^(٣)
فَرَشَنِي بِخَيْرِ طَائِلٍ قَدْ بَرَّيْتَنِي * وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي

وقال آخر :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ * أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كَمَا كَسَاكَ تَسْمِي بِهَا قَدَمٌ * أَوْ كَذَرَايَ نِيَطْتُ إِلَى عَضُدِ^(٤)
حَقٍّ إِذَا دَانَتْ الْحَوَادِثُ مِنْ * خَطْوَى وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
إِحْوَلْ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ * عَيْنِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
وَكَانَ لِي مُؤْنَسًا وَكُنْتُ لَهُ * لَيْسَتْ بِنَا وَحَشْشَةً إِلَى أَحَدٍ
حَتَّى إِذَا أَسْتَرْفَدْتُ يَدِي يَدَهُ * كُنْتُ كَمُسْتَرْفِدٍ يَدَ الْأَسَدِ

وقال بعض الأعراب :

إِخْوَانُ هَذَا الزَّمَانِ كُلُّهُمْ * إِخْوَانٌ غَدَّرَ عَلَيْهِ قَدْ جُبِلُوا
طَوَوْا ثِيَابَ الْوَفَاءِ بَيْنَهُمْ * وَصَارَ ثَوْبُ الرِّيَاءِ يَبْتَذُلُ^(٥)
أَخُوهُمْ الْمُسْتَحِقُّ وَصَاحِبُهُمْ * مَنْ شَرَبُوا عِنْدَهُ وَمَنْ أَكَلُوا
وَلَيْسَ فِيمَا عَلِمْتُ بَيْنَهُمْ * وَبَيْنَ مَنْ كَانَ مُعِيدًا عَمَلٌ

(١) ذكر اللسان في مادة «نشر» هذه الأبيات مع أبيات أخرى من القصيدة ونسبها لعمير بن حباب .

(٢) كذا في اللسان ، والمأثور : الذي يؤثر عنه شرّ وتهمة ، وفي الأصل : «مأمون» وهو تحريف ؛

وثغرة النحر : نقرته ؛ يريد أنه يطعنه في غيبته . (٣) كذا ورد هذا الشطر في اللسان . وفي الأصل

ورد هكذا : * ولاجن بالبغضاء والنظر الشرر * (٤) دانت : قاربت . (٥) يبتذل :

يلبس كثيرا ، ومنه البذلة والمبذلة من الثياب : ما يلبس ويمتن ولا يصان .

قال رجل لآخر : بلغني عنك أمرٌ قبيحٌ ، فقال : يا هذا ، إنَّ ضُحبة الأشرار
ربما أودت سوءَ ظنٍّ بالأخيار .

وقال دُعيل :

أبا مُسلم كُنَّا حَلِيفِي مَوْدَّة * هَوَانًا وَقَلْبَانَا جَمِيعًا مَعًا
أَحْوَطُكَ بِالْوَدِّ الَّذِي لَا تَحْوَطُنِي * وَأَرَأَيْتَ مِنْكَ الشَّعْبُ أَنْ يَتَصَدَّقَا
فَلَا تَلْحَحَنِي لَمْ أَجِدْ فِيكَ حِيلَةً * تَحَرَّيْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ فِيكَ مَرْقَعًا
فَهَبْكَ يَمِينِي أَسْتَأْكِلُ فَاحْتَسِبْتُهَا * وَجَشَمْتُ قَلْبِي قَطْعَهَا فَتَخَشَّعَا^(١)

وقال يزيد بن الحكم الثقفي :

تَكَاشَرْنِي كُرْهَا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ * وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِي^(٦)
لِسَانُكَ مَاذَى وَقَلْبُكَ عَاقِمٌ * وَشَرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُكَ مُنْطَوِي^(٨)
عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوْلَتِي إِنْ لَقَيْتُهُ * وَأَنْتَ عَدُوِّي لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِي^(٩)
أَرَاكَ إِذَا لَمْ أَهْوَأْ أَمْرًا هَوِيَّتَهُ * وَلَسْتَ لِمَا أَهْوَى مِنَ الْأَمْرِ بِالْهَوِي

(١) كذا بالأصل . وفي الأغاني (ج ١٨ ص ١٤٧) : « أبا مخلد » . (٢) كذا

بالأصل ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة إلا بمعنى استأكل كل الشيء طلب منه أن يأكله ، والمستأكله :
الذين يأخذون أموال الضعفاء كاليتامى ويعيشون عليها ، والظاهر أن المراد هنا في الشعر تأكل يده ،
والصيغة الدالة على هذا المعنى في كتب اللغة هي اشكل وتأكل . (٣) في الأغاني طبع بولاني

ج ١٨ ص ٤٧ : « فقطعها » . (٤) في الأغاني : « وجشمت قلبي صيرة فتشجعا »
(٥) تكاشرنى : نضا حكني من قولهم : كثر عن أسنانه إذا كشف عنها . (٦) دوي : مضطرب .
(٧) الماذي : العسل الأبيض . (٨) كذا في الأمانى ج ١ ص ٦٨ طبع دار الكتب
ورواية البيت فيه : ٢٠

لسانك ماذى وغيبك علقم * وشرك مبسوط وخيرك منطوي

(٩) وفي الأصل : « ملتوى » : روى هذا البيت في حاشية البحري :

تودد عدوى ثم تزعم أنني * صديقك ليس الفعل منك بمستوى

أراك أَجْتَوَيْتَ الْخَيْرَ مِنِّي وَأَجْتَوَى * أَذَاكَ فَكُلُّ يَحْتَوَى قُرْبَ مَحْتَوَى ^(١)
 وكم مَوْطِنٍ أَوْلَاىَ طِطَحْتَ كَمَا هَوَى * بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مِنْهُوَ ^(٢)
 ويقال : إِيَّاكَ وَمَنْ مَوَدُّتُهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ فَعِنْدَ ذَهَابِ الْحَاجَةِ ذَهَابُ الْمَوَدَّةِ .
 وقال الحكميم : ثلاثة لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ : لَا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ
 الْغَضَبِ ، وَلَا الشَّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ ، وَلَا الْأَخُ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .

قال جرير :

فَأَنْتَ أُنْحَى مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً ^(٤) * فَإِنْ عَرَضْتُ أُيَقِنْتُ أَنْ لَا أَخَالِيَا
 تَعَرَّضْتُ فَأَسْتَمِرُّتَ مِنْ دُونِ حَاجَتِي * فَخَالَكَ إِنِّي مُسْتَمِرٌّ لِحَالِيَا
 وَإِنِّي لَمَخْشَرُورٌ أَعْلَلْتُ بِالْمُنَى * لِيَالِي أَرْجَوَاتُ مَالِكَ مَا يَا
 بَأَى نَجَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَعْدَمَا * نَزَعْتَ سِنَانَا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا ^(٥)
 إِلَّا لَا تَخَافَا نَبُوتِي فِي مُلْمِيَةِ * وَخَافَا الْمَنَايَا أَنْ تَفُوتَكُمَا يِيَا ^(٦)

(١) المجتوى : الكاره . (٢) كذا في أمالي القالي : وفي الأصل : «لولاك» .
 (٣) القلة : أعلى الجبل ، والنيق : أرفع موضع فيه . (٤) روى هذا البيت في النقائض
 ص ١٧٧ طبع أوروبا :

فَأَنْتَ أَبِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً * فَأَنْتَ عَرَضْتَ فَلَا تُنْحَى لَا أَبَالِيَا
 وهو من قصيدة طويلة مذكورة في النقائض بين جرير والفرزدق مطاعها :

أَلَا حَيَّ رَهْبِي ثُمَّ حَيَّ الْمَطَالِيَا * فَقَدْ كَانَ مَأْنُوسَا فَأَصْبَحَ خَالِيَا
 وقد ذكر المؤلف هذا البيت فيما تقدم من هذا الجزء ص ٧٥ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما
 ذكر في كثير من كتب الأدب مثل الكامل للبرد والعقد الفريد وزهر الآداب ضمن شعر مطلعته :

رَأَيْتُ فُضَيْلَا كَانَ شَيْئًا مَلْفَقَا * فَكَشَفَهُ التَّمَحِيصَ حَتَّى بَدَا لِيَا
 (٥) النجاد : حائل السيف ، وقد ورد هذا الشعر في الأغاني (ج ٧ ص ٥٢) والنقائض
 (ص ١٧٧) هكذا :

بَأَى نَجَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَعْدَمَا * قَطَعْتَ الْقَوَى مِنْ مَحْمِلٍ كَانَ بَاقِيَا
 بَأَى سَنَانٍ تَطْعُنُ الْقَوْمَ بَعْدَمَا * نَزَعْتَ سِنَانَا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا
 (٦) يقول : لَا تَخَافَا أَنْ أَنْبُو عَنْكُمَا إِنْ أَلَمْتُ بِكُمَا مَلْمَةً مَا عَشْتُ وَخَافَا ذَلِكَ مِنِّي إِذَا مَتَ (راجع كتاب

النقائض ص ١٧٨) .

وقال أبو العتاهية :

أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر أخوه
فإذا احتجت إليه * ساعة بجمك فوه

وقال آخر :

موالينا إذا أفقرنا إلينا * وإن أثروا فليس لنا موالى
والعرب تقول فيمن شريكك في النعمة وخذلك عند النائبة : يربض ^(١) حجرة ويراع ^(٢)
وسطاً .

قال المحدثي : لحن الججاج يوما ، فقال الناس : لحن الأمير ، فأخبره بعض
من حضرة ، فتمثل بشعر قعنب بن أم صاحب :
صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به * وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا ^(٣)
فطأنه فطأنوها أو تكون لهم * مروءة أو تقى الله ما فطنوا
إن يسمعوا سيئا طاروا به فرحا * متى وما سمعوا من صالح دفنوا

باب القرابات والولد

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا أبو داود قال حدثنا إسحاق بن سعيد القرشي
من ولد سعيد بن العاص قال أخبرني أبي قال : كنت عند ابن عباس ، فأتاه رجل
فمات إليه برحم بعيدة ، فلان له وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اعرفوا
أنسابكم تصلوا أرحامكم فإنه لا قرب بالرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة ولا بعد بها
إذا وصلت وإن كانت بعيدة " .

(١) في الأصل : « تربص » بالناء والصاد المهملة وهو تحريف . (٢) الحجرة : الناحية .

(٣) أذنوا : استمعوا . ٢٠

حدَّثني شَبَابَةُ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ : احذروا ثلاثاً ، فإنهنَّ معلقات بالعرش : النعمة تقول يا ربِّ كُفِّرْتُ ، والأمانة تقول يا ربِّ أَكَلْتُ ، والرحم تقول يا ربِّ قُطِعْتُ .

حدَّثني الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ قَالَ قَالَ مُحَارِبُ بْنُ دِثَارٍ : إِنَّمَا سُمُّوا أَبْرَاراً لِأَنَّهُمْ بَرُّوا الآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، وَكَمَا أَنَّ لَوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَكَذَلِكَ لَوْلَدِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ .

حدَّثني أَبُو سَفْيَانَ الْغَنَوِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ حَيَّوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍاءَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "أَبْرَأُ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ" .

حدَّثني الْقُومَيْسِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَحَايِفُ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ" .

وحدَّثني أيضًا عَنْ خَالِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سَائِمَانَ بْنِ يَلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الرَّحِمُ شَجَنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ قَالَ لَهَا مَنْ وَصَلَكِ وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعَتْهُ" .

حدَّثني الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ حَبِيبٍ عَنْ أَبِي سَيْرِينَ قَالَ قَالَ عُمَانُ : كَانَ عَمْرٍاءُ يَمْنَعُ أَقْرَبَاءَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَأَنَا أُعْطِي قَرَابَاتِي لَوَجْهِ اللَّهِ ، وَلَنْ يَرَى مِثْلُ عَمْرٍاءَ .

(١) ورد في الجامع الصغير : « منهم » بدل « من أنفسهم » واعلمها رواية . (٢) الشجعة :

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا إبراهيم بن موسى قال حدثنا محمد بن نور
عن معمر^(١) عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُوسَعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن عبد الله
ابن عيسى عن عبيد بن أبي الجعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لَا يَزِيدُ
فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرُ إِلَّا الدُّعَاءُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ" .

حدثني محمد بن يحيى القطعي قال حدثنا عبد الأعلى قال حدثنا سعيد عن مطر عن
الحكم بن عتيبة^(٢) عن النخعي عن ابن عمر قال : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
إِنَّ وَالِدِي يَأْخُذُ مِنِّي مَالِي وَأَنَا كَارِهِ ، فَقَالَ : "أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّكَ وَمَالُكَ لِأَيِّكَ" .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال : أخبرني بعض العرب : أن
رجلا كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وكان له أب كبير ، وكان الشاب عاقا
بأبيه ، وكان يقال للشاب "مَنَازِلُ"^(٣) فقال الشيخ^(٤) :

بَجَرَتْ رَحِمُ بَنِي وَبَيْنَ مَنَازِلٍ * جَزَاءٌ كَمَا يَسْتَنْجِزُ الدِّينَ طَالِبُهُ
تَرَبَّتْ حَتَّى صَارَ جَعْدًا شَمْرَدَلًا * إِذَا قَامَ سَاوِي غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ^(٥)

- ١٥ (١) هو معمر بن راشد ، وهو الذي يروي عنه محمد بن نور كما في التهذيب . (٢) كذا
في الخلاصة في أسماء الرجال للخزرجي وفي الأصل «عبيدة» وهو تحريف . (٣) هو منازل
ابن فرعان ذكره في القاموس وقال شارحه هو بفتح الميم ومنهم من ضبطه بضمها . (٤) هو فرغان
القمي كما في لسان العرب مادة «جعد» . (٥) تربت : تربي . والجعد الطويل .
والشمردل : القتي القوي ، وقد اختلف اللسان (في مادة جعد) عما هنا في إيراد هذا البيت ، وأورد
معناه في بيتين وهما :

وَرَبِيَّتُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتَهُ * أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَفْنَى عَنْ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
وَبِالْحُضِّ حَتَّى آخَصَ جَعْدًا عُنْطَلًا * إِذَا قَامَ سَاوِي غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ

تَظَلَّمَنِي مَالِي كَذَا وَلَوْ يَدِي * لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ
وَأَتَى لَدَائِعِ دَعْوَةٍ لَوْ دَعَوْتُهَا * عَلَى جَبَلِ الرِّيَّانِ لَأَنْقَضَ جَانِبُهُ

فبلغ ذلك أميراً كان عليهم ، فأرسل إلى الفتي ليأخذه ، فقال له الشيخ : أخرج من
خلف البيت ، فسبق رُسلَ الأمير ، ثم آتَى الفتي بآبٍ عَقَّه في آخر عمره فقال :

تَظَلَّمَنِي مَالِي خَلِيجٍ وَعَقَّي * عَلَى حِينَ كَانَتْ كَالْحَنِي عَظَامِي
تَحَيَّرْتَهُ وَأَزْدَدْتُهُ لِيَزِيدَنِي * وَمَا بَعْضُ مَا يَزِدَادُ غَيْرُ عَرَامٍ

(٢)

وقال يحيى بن سعيد مولى تيم كوفي لأبيه :

غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعَلَّتْكَ يَافِعًا * تَعَلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَهْمَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ نَالَتْكَ بِالشُّكُو لَمْ آتِ * لَشُكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالذِي * طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمَلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ الْوَقْتَ فِي الْعِدَّةِ الَّتِي * إِلَيْهَا جَرَى مَا أَبْتَغِيهِ وَأَمَلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِظَةً * كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنْعَمُ الْمَتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبِيي * كَمَا يَفْعَلُ الْجَارُ الْجَاوِرُ تَفَعَّلُ

قال القاسم بن محمد : قد جعل الله في الصديق البار عوضاً من الرِّحْمِ المُدْبِرَةِ .

- ١٥ (١) العرام : الشراسة والأذى ، وفي الأصل : « غرام » بالعين المعجمة وهو تحريف .
(٢) هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت النقي كافي الأغاني (ج ٣ ص ١٩١ طبعة بولاق) وأشعار
الحماسة (ص ٣٥٤ طبع أوروبا) ، وقيل : إنها تروى لابن عبد الأعلى ، وقيل : لأبي العباس الأعمى .
وليس ليحيى بن سعيد كما ذكر المؤلف لأنه أنشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ عليه الصلاة والسلام
بتلايب الولد وسلبه لوالده قائلاً له : « أنت ومالك لأبيك » . (٣) في أشعار الحماسة
« أدنى إليك » . (٤) رواية هذا البيت في الحماسة :

فلما بلغت السن والغاية التي * إليها مدى ، أكنيت فيك أقومل

(٥) في الحماسة : « فعلت كما الجار ... الخ » .

كتب عمر إلى أبي موسى : مُرْ ذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَرَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا .
 وقال أَشْكَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : تَبَاعَدُوا فِي الدِّيَارِ تَقَارَبُوا فِي الْمَوَدَّةِ ،
 قيل لأعرابيٍّ : مَا تَقُولُ فِي ابْنِ عَمِّكَ ؟ قَالَ : عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ .
 وقال قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ :

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ * وَسَيْفِيٍّ مِنْ حَذِيفَةَ قَدْ شَفَانِي
 قَتَلْتُ بِإِخْوَتِي سَادَاتِ قَوْمِي * وَقَدْ كَانُوا لَنَا حَلَى الزَّمَانِ
 فَإِنْ أَلَكُ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غَلِيلِي * فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
 قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، حين تصفح القتلى يوم الجمل : شَفَيْتُ
 نَفْسِي وَجَدَعْتُ أَنْفِي ، وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمِّمَ أَخِي * فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيدُنِي سَهْمِي
 وَائِنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُونَ جَلَلًا * وَلَئِنْ قَرَعْتُ لَأُوهِنَنَّ عَظْمِي
 قَتَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ابْنَ أَخِيهِ فُدِّعَ إِلَى أَخِيهِ لِيُقَيِّدَهُ ، فَلَمَّا أَهْوَى بِالسَّيْفِ
 أُرِيدَتْ يَدَاهُ ، فَأَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَعَلِمَا عَنْهُ وَقَالَ :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَّةً * إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِيدِ
 كِلَاهُمَا خَلْفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ * هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

وقال بعضهم :

بَكَرِهِ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو * نَفَادِيكُم بِمُرْهَفَةِ النَّصَالِ
 فَنَبْكِي حِينَ نَذْكُرْكُمْ عَلَيْكُمْ * وَنَقْتَلِكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

وقال عدى بن زيد :

وِظْلُمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً * عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ الْمُهَنْدِ

(١) هو الحارث بن ويلة الدهلي كما في الحماسة . (٢) في الحماسة : « سطوت » .
 (٣) في الأصل : « لابن أخيه » وهو تحريف .

وقال غيره ^(١) :

سأخذ منكم آل حزنٍ لحوشب ^(٢) * وإن كان مولاي ^(٣) وكنتم بنى أبي
إذا كنت لا أرمى وترى عشيرتي ^(٤) * تُصيب جوائح النبل ^(٥) كشحى ومنكبي

قال حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن السائب البكري

عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده» .

والعرب تقول في العطف على القرابة وإن لم يكن واداً : «أنفك منك وإن
ذن» ^(٦) . ومثله : «عيصك منك وإن كان أشباً» ^(٧) .

وقال النمر بن توب :

إذا كنت من سعد وأمك فيهم * غريباً فلا يغرك خالك من سعد
فإن ابن أخت القوم مصغى ^(٨) إناؤه * إذا لم يرحم خاله ياب جسد
وقال أمية بن أبي عائذ لإياس بن منهم :

أبلغ إياساً أن عرض ابن أخيك * رداؤك فأصطن حسنه أو تبذل ^(٩)

- (١) ذكر هذان البيتان في الحماسة ضمن أبيات يقال : إنها بلعند بن عمرو . (٢) كذا في ديوان الحماسة ، وفي الأصل : «آل حزم» . وفيه بدل «لحوشب» «بحوشب» . (٣) في ديوان الحماسة : «وإن كان لي مولى» . وقد أشار شارحه إلى رواية الأصل وقال : إنه بها دخله الكف وهو حذف السابع الساكن من مفاعيلن ، وهو قبيح في غير الهزج . قال شارح الحماسة : «وليس في الحماسة بيت مكفوف غيره» . ثم قال : «ويروى مولى» ، فعلى هذا يسلم من الزحاف . والأولى أشبه بطريقة الشعراء ، ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان : مولاي وبنى أبي» . (٤) في الحماسة : «كناحق» وقيل أراد بالكناية مولاه . (٥) في الحماسة : «جوائح» بالنون أى كاسرات الجناح ، يقال : جناحه إذا كسر جناحه ، ويجوز أيضاً أن يكون جوائح من جناح إليه إذا مال . وأشار شارح الحماسة إلى الرواية التي وردت بالأصل ولكنه استحسّن الأولى لأنه لا يقال : رماه فأجتاحه . (٦) ذن : سال مخاطبه وفي مجمع الأمثال : «وان كان أذن» . (٧) العيص : الجماعة من السدر تجتمع في مكان واحد . والأشب : شدة التفاف الشجر حتى لا يحاز فيه . (٨) مصغى إناؤه : منقوص حقه ، يقال : أصغى فلان إناؤه فلان إذا أماله ونقصه حظه . (٩) اصطن : صن واحفظ ، أمر من اصطناع ، وهو الافتعال من صان . وتبذل : آمتن .

(١) فَإِنْ تَكُ ذَا طَوِيلٍ فَإِنِّي أَبْنُ أَخِيكُمْ * وَكُلُّ أَبْنٍ أَخِيَّتٍ مِنْ مَدَى الْحَالِ مَعْتَلِي^(٢)
فَكُنْ أَسَدًا أَوْ ثَعْلَبًا أَوْ شَبِيهَهُ * فَهُمَا تَكُنْ أَنْسَبُ إِلَيْكَ وَأَشْكَلُ^(٣)
وَمَا ثَعْلَبٌ إِلَّا أَبْنُ أَخِي ثَعَالِبٍ * وَإِنْ أَبْنُ أَخِيثِ اللَّيْثِ رِثَالُ أَشْبَلِ
وَكَتَبَ بِشْرِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ إِلَى عَمِّهِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

جَفَانِي الْأَمِيرُ وَالْمَغِيرَةُ قَدْ جَفَا * وَأَمْسَى يَزِيدُ لِي قَدْ آزَوْرَ جَانِبُهُ
وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شَيْعًا لِبَطْنِهِ * وَشَبَعُ الْفَقِي لَوْمٌ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ
فِيَا عَمَّ مَهْلًا وَأَتَّخِذْنِي لِنُصُوبَةٍ * تَتُوبُ ، فَإِنْ الدَّهْرُ جَمَّ عَجَائِبُهُ
أَنَا السِّيفُ إِلَّا أَنْ لِلسِّيفِ نَبْوَةٌ * وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ

دخل رجل من أشرف العرب على بعض الملوك ، فسأله عن أخيه ، فأوقع به
يَعِيْبُهُ وَيَشْتُمُهُ ، وفي المجلس رجل يَشْتَنُوهُ فشرع معه في القول ؛ فقال له : مهلا ! إِنِّي
لَا أَكُلُ لَحْمِي وَلَا أَدَعُهُ لِأَكُلَ . ٥

ويقال : القَرَابَةُ محتاجة إلى المودَّة ، والمودَّة أقرب الأنساب . والبيت المشهور في هذا :
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تُقَرِّبُ قَاطِعًا * وَإِذَا الْمودَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ

وقيل لِبُرْزُجَمَهْرَ : أَخَوَكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ صَدِيقُكَ ؟ فقال : إِنَّمَا أَحَبُّ أَخِي إِذَا
كَانَ صَدِيقًا . ١٥

وقال خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ :

رَأَيْتُ أَبْنَ عَمِّي بَادِيًا لِي ضِعْفُهُ * وَوَاعِظُهُ فِي الصَّدْرِ أَيْسَ بَذَاهِبِ
وَأَنْشَدَنَا الرِّيَاشِي :

حَيَاةُ أَبِي السَّيَّارِ خَيْرٌ لِقَوْمِهِ * لِمَنْ كَانَ قَدْ سَاسَ الْأُمُورَ وَجَرَّبَا
وَنَعَتِبُ أَحْيَانًا عَلَيْهِ وَلَوْ مَضَى * لَكُنَّا عَلَى الْبَاقِ مِنَ النَّاسِ أَعْتَبَا ٢٠

(١) كذا في كتاب أشعار الهذليين ، وهو الذي يتفق مع السياق بعده ، وفي الأصل : «فإن أك...»
(٢) في كتاب أشعار الهذليين : «معتلى» بالعين المعجمة ، واغتنى : ارتفع . (٣) كذا في أشعار
الهذليين . وفي الأصل : «إليه» .

وقال الشاعر :

ولم أر عِزًّا لأمري كعشيره^(١) * ولم أر ذُلًّا مثل نأبي عن الأهل
ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى * ولم أر مثل المال أدفع للردل
ولم أر من عُدِمَ أضّر على الفتى * إذا عاش وسط الناس من عُدِمَ العقل

كان مهلهل صار الى قبيلة من اليمن يقال لهم جنب^(٢)، نخطبوا اليه فزوجهم وهو
كاره لاغترابه عن قومه، ومهروا ابنته أدما^(٣)، فقال :

أنكحها فقدّها الأراقم^(٣) في * جنب وكان الحباء من آدم
لو بأبائين^(٤) جاء يخطبها * رمل^(٥) ما أنف خاطب بدم

وقال الأعشى :

ومن يغترّب عن قومه لا يزل يرى * مصارع مظلوم مجرّاً ومسحّبا
وتدفن منه الصالحات وإن يسئ * يكن ما أساء النار في رأس ككبكا^(٦)
وربّ بقيع لو هتفت يجوّه * أتانى كريم ينغض الرأس مغضبا^(٧)

وقال رجل من غطفان :

إذا أنت لم تستبق ودّ صحابة^(٨) * على دخن^(٨) أكثرت بثّ المعاتب

- ١٥ (١) عشيره : قبيلته . (٢) الأدم : اسم جمع للأديم ، والأديم : الجلد ما كان ، وقيل :
الأحر ، وقيل : المدبوغ . (٣) الأراقم : حتى من تغلب وهي قبيلته . (٤) أبائين :
تثنية أبان ، وهما جبلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض ، وللآخر : أبان الأسود . (٥) رمل :
خضب بالدم . وفي الأغاني (ج ٤ ص ١٤٦ طبع بولاق) ومعجم البلدان : « خرسج » .
(٦) ككبك : جبل خلف عرفات مشرف عليها . (٧) ينغض الرأس : يحترّكه كالمستفهم عما
يقال له . (٨) على دخن : على كدورة . وأصل الدخن (بالتحريك) : مصدر دخنت النار إذا ألق
٢٠ عليها حطب رطب وكثر دخانها ، وأن يكون لون الدابة أو الثوب كدرا إلى سواد .

وَأَنَّى لَأَسْتَبِيحَ أَمْرًا سَوِيًّا عُدَّةً * لَعْدُوَّةٍ عَرِيضٍ ^(١) مِنَ النَّاسِ عَائِبٍ
أَخَافُ كَلَابَةَ الْأَبْعَدِينَ وَنَجَّهَا * إِذَا لَمْ تُجَاوِبْهَا كَلَابُ الْأَقَارِبِ
قَالَ رَجُلٌ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ : مَا تَقُولُ فِي مَوْتِ الْوَالِدِ ؟ قَالَ : بِمَلِكٍ حَادِثٍ ،
قَالَ : فَمَوْتُ الزَّوْجِ ؟ قَالَ : عُرْسٌ جَدِيدٌ ، قَالَ : فَمَوْتُ الْأَخِ ؟ قَالَ : قَصٌّ
الْجَنَاحِ ، قَالَ : فَمَوْتُ الْوَلَدِ ؟ قَالَ : صَدْعٌ فِي الْفُؤَادِ لَا يُجْبَرُ .

وَكَانَ يُقَالُ : الْعُقُوقُ تُكَلُّ مِنْ لَمْ يَتَّكَلَّ ،
شَكَاهُ عُثْمَانُ عَلِيًّا إِلَى الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَقَالَ : أَنَا مِنْهُ كَأَبِي الْعَاقِ ، إِنْ عَاشَ
عَقَّهِ وَإِنْ مَاتَ بَجَعَهُ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِي ، إِنْ عَظِيمَ حَقِّكَ عَلَيَّ لَا يُذْهِبُ صَغِيرَ حَقِّي عَلَيْكَ ،
وَالَّذِي تَمَّتْ بِهِ إِلَيَّ أُمْتُ بِمِثْلِهِ إِلَيْكَ ، وَلَسْتُ أَزْعِمُ أَنَا عَلَى سَوَاءٍ .

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ لِأَبْنِهِ يَحْيَى : إِنْ اللَّهُ لَمْ يَرْضَكَ لِي فَأَوْصَاكَ بِي ، وَرَضِيَنِي
لَكَ فَلَمْ يُوصِنِي بِكَ .

غَضِبَ مَعَاوِيَةُ عَلَى يَزِيدَ ابْنِهِ فَهَجَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَوْلَادُنَا ثِمَارُ قُلُوبِنَا وَعِمَادُ ظُهُورِنَا ، وَنَحْنُ لَهُمْ سَمَاءٌ ظَلِيلَةٌ ، وَأَرْضٌ ذَلِيلَةٌ ، فَإِنْ غَضِبُوا
فَأَرْضَهُمْ ، وَإِنْ سَالُوا فَأَعْطَاهُمْ ، وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِمْ قُفْلًا فَيَمْلَأُوا حَيَاتَكَ وَيَتَمَتَّنُوا مَوْتَكَ .

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ أَبْنُكَ ؟ — وَكَانَ عَاقًا — فَقَالَ : عَذَابٌ رَعِفٌ ^(٢) بِهِ الدَّهْرُ ،
فَلَيْتَنِي قَدْ أَوْدَعْتُهُ الْقَبْرَ ، فَإِنَّهُ بَلَاءٌ لَا يُقَاوِمُهُ الصَّبْرُ ، وَفَائِدَةٌ لَا يَجِبُ فِيهَا الشُّكْرُ .

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : أَيُّ وَلَدِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : صَغِيرُهُمْ حَتَّى يَكْبُرَ ، وَمُسْرِيَّتُهُمْ
حَتَّى يَبْرَأَ ، وَغَائِبُهُمْ حَتَّى يَقْدَمَ .

(١) العريض : الذي يتعرض للناس بالشر . (٢) رعيف (بكسر عينه) : سبق وتقدم .

ناول عمر بن الخطاب رجلاً شيئاً ، فقال له : خدمك بنوك ، فقال عمر : بل أغنانا الله عنهم .

وَوُلِدَ لِلْحَسَنِ غُلَامٌ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي هَبَّتِهِ ، وَزَادَكَ مِنْ أَحْسَنِ نِعَمَتِهِ ، فَقَالَ الْحَسَنُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَبْسَةٍ ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الزِّيَادَةَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَلَا مَرَحِبًا بَيْنَ إِنْ كُنْتُ عَائِلًا أَنْصِبْنِي ، وَإِنْ كُنْتُ غَنِيًّا أَذْهَلْنِي ، لَا أَرْضَى بِسَعْيِي لَهُ سَعِيًّا ، وَلَا بِكَدِّي لَهُ فِي الْحَيَاةِ كَدًّا ، حَتَّى أَشْفِقَ لَهُ مِنَ الْفَاقَةِ بَعْدَ وَفَائِي ، وَأَنَا فِي حَالٍ لَا يَصِلُ إِلَى مَنْ غَمَّهُ حُزْنٌ وَلَا مِنْ فَرَحِهِ سُرُورٌ .

قال الأصمعي : عاتب أعرابي ابنه في شرب النبيذ ، فلم يعتب وقال :
أَمِنْ شَرِبَةٍ مِنْ مَاءٍ كَرِّمٍ شَرِبْتَهَا * غَضِبْتَ عَلَيَّ ! الْآنَ طَابَ لِي الْخَمْرُ
سَأَشْرَبُ فَأَغْضَبُ لَا رَضِيْتَ ، كِلَاهُمَا * إِلَى لَذِيذٍ : أَنْ أَعُقِّكَ وَالسُّكَّرُ
وقال الطِّرِمَاحُ لابنه صَمَّصَامَةَ :

أَصْمَصَامُ إِنَّ تَشْفَعُ لَأَمِّكَ تَلْقَاهَا * لَهَا شَافِعٌ فِي الصَّدْرِ لَمْ يَتَبَرَّحْ
هَلِ الْحُبُّ إِلَّا أَنَّهَُا لَوْ تَعَرَّضْتُ * لَذَبَحَكَ يَا صَمَّصَامُ قُلْتُ لَهَا أَذْبَحِي
أُحَاذِرُ يَا صَمَّصَامُ إِنَّ مِثُّ أَنْ يَلِي * تُرَائِي وَإِيَّاكَ أَمْرٌ غَيْرُ مُصْلِحٍ
إِذَا صَكَ وَسَطَ الْقَوْمِ رَأْسَكَ صَكَّةً * يَقُولُ لَهُ النَّاسُ مَلَكْتُ فَأُسَبِّحُ
وَأُنْشِدُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ :

أَحَبُّ بَنِيَّيْ وَوَدِدْتُ أَنِّي * دَفَنْتُ بَنِيَّيْ فِي قَعْرِ الْحَدِيدِ
وَمَا بِي أَنْ تَهُونَ عَلَيَّ لَكِنْ * مَخَافَةٌ أَنْ تَذُوقَ الْبُؤْسَ بَعْدِي

(١) لم يعتب : لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذي غضب عليه من أجله . (٢) أسبّح :

ونحوه قول الآخر :

لولا أُمِّيَّةٌ لم أجزع من العَدَمِ * ولم أجب في الليالي حنْدَسَ الظَلَمِ
وزادني رغبةً في العيش معرقي * ذلَّ اليتيمة يحفوها ذوو الرِّحِمِ
أحاذر الفقرَ يوما أن يُلمَّ بها * فيهِتِكَ السَّتر من لحيمٍ على وَضَمِ
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقًا * والموتُ أكرمُ نزالٍ على الحُرَمِ

وقال أعرابي في أبلته :

يا شقَّةَ النفس إن النفس والهمة * حَرَى عليك ودمعُ العين مُنْسِجَمٌ
قد كنتُ أخشى عليها أن تُقَدِّمَنِي * إلى الحمام فيبدي وجهها العَدَمُ
فآلاتُ نِمتٍ فلا همَّ يؤدِّقُنِي * تَهْدِ العيونُ إذا ما أودتِ الحُرَمِ

وقال أعشى سليم :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ وَافِدٍ * إذا ما البيوتُ لبسن الجليدا
كفيت الذي كنتُ أَرْجَى له * فِصْرَتِ أَبَاي وصرْتُ الوليدا

وقال أعشى همدان في خالد [بن عتاب] بن ورقاء :

فإن يكُ عَتَابٌ مَضَى لسبيله * فما مات من يَبْقَى له مثلُ خالدٍ

وفي الحديث المرفوع : ”ريحُ الولد من ريح الجنة“ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد أبني بنته : ”إنكم لتُجَبَّنُون وإنكم لتُبَخَّلُون وإنكم لمن رِيحانِ الله“ .

وقالت أعرابية :

يا حَبْلَذا رِيحُ الولدِ * رِيحُ الحَزَامِي بالبَلَدِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : هذا يدلُّك على تفضيلهم الحَزَامِي .

وكان يقال : ابنُك رِيحَانُكَ سَبْعًا ، وخادمُك سَبْعًا ، ثم عدُوُّ أو صديق .

مرّ أعرابي ينشدُ أبنا له بقوم، فقالوا : صِفْهُ ؛ فقال : دُنَيْبِيرٌ ، قالوا : لم نَرَهُ ؛ فلم يَلْبِثِ القومُ أن جاء على عُنُقِهِ بِجُعَلٍ ؛ فقالوا : ما وجدتَ أبْنَك يا أعرابي ؟ قال : نعم هو هذا ؛ قالوا : لو سألتَ عن هذا لأخبرناك ، ما زال منذُ اليوم بين أيدينا .
قال الشاعر في امرأة :

نِعْمَ ضَجِيعُ الْفَتَى إِذَا بَرَدَ الـ * لَيْلٌ سَحِيرًا وَقَرَقَفَ الصَّرْدُ^(١)
زَيْنُهَا فِي الْعَيُونِ كَمَا * زَيْنٌ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُ
وفي الحديث : "من كان له صبيٌ فَلَيْسَتْ صَبِي لَهُ" .
وقال الزبير وهو يرقصُ أبناً له :

أَبْيَضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيقٍ * مَبَارَكٌ مِنْ وَلَدِ الصَّدِيقِ
* أَلَدَهُ كَمَا أَلَدَ الرَّيْقَى *

وقال أعرابي :

لَوْلَا بُنَيَاتُ كَزُغِبِ الْقَطَا * حُطِطُنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ^(٢)
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌّ وَاسِعٌ * فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا * أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ * لَأَمْتَنَعْتُ عَيْنِي مِنَ الْغَمِضِ
أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حَكْمِهِ * مِنْ مَرَقِبٍ عَالٍ إِلَى خَفِضِ
وَأَبْتَرَنِي الدَّهْرُ ثِيَابَ الْغِنَى * فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي

قال بعض النسايبين : إنما قيل : سَعَدُ الْعَشِيرَةِ ، لأنه كان يركب في عشرة من ولده ، فكانهم عشيرة .

(١) قرقف : أرعى من البرد . والصرد : الرجل القوي على البرد . (٢) رويت هذه الأبيات في الأمل ج ٢ ص ١٨٩ طبع دار الكتب المصرية ببعض مخالفة عما هنا ، وذكرت أيضاً في الجماسة بشرح التبريزي طبع أوروباص ١٤١ وفيها اختلاف في الرواية وتقديم وتأخير في ترتيب الأبيات ، ونسبت إلى حطّان بن المعلى .

وقال ضرار بن عمرو الضبي ، وقد رُئي له ثلاثة عشر ذكرا قد بنفوا : من سره
بنوه ساءت له نفسه .

قال بشر بن أبي خازم :

إذا ما علوا قالوا أبونا وأمتنا * وليس لهم عاليين أم ولا أب^(١)

وقال آخر :

أنا أبنت عمك إن نابتك نابتة * وليس منك إذا ما كعبك اعتدلا

وأنشدنا الرياشي :

الرحم لله بخير البُلان^(٢) * فإن فيها للديار العمران

وأمر المال وبنت الصفران^(٣) * وإنما أشتقت من أسم الرحمن

وقال المعلوط :

ومن يلقى ما ألقى ولب كان سيّدا * ويخش الذي أخشى يسر سير هارب

مخافة ساطان عليّ أظنه * ورهطي ، وما عاداك مثل الأقارب

دخل عثمان بن عفان على أبنته وهي عند عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال :

يا بنية : مالي أراك مهزولة ؟ لعل بعلي^(٤) يغيرك ، فقالت : لا ، ما يغيرني ، فقال

لزوجها : لعلك تغيرها ! قال : فأفعل ، فلغلام يزيد الله في بني أمية أحب إلى منها .

(١) عاين : حال من الضمير في «هم» . (٢) بل الرحم يلبها (بضم الباء) يلا ويلا :

وصلها رتدا . والبلان : قال ابن سيده : «يجوز أن يكون البلان اسما واحدا كالقمران والرجحان وأن

يكون جمع بل» . (٣) كذا بالأصل ولم نوفق إليه في مصدر آخر ، وقد أورد في اللسان مادة بل هذا

الشعر مقتصر فيه على صدر البيت الأول وعجز البيت الثاني . (٤) أغار الرجل امرأته : تزوج من

أخرى فأحدث عندها الغيرة .

قال النعمان بن بشير :

وإني لأعطي المالَ من ليس سائلا * وأدركُ للمولى المعانيدَ بالظلم
وإني متى ما يلقني صارما له * فما بيننا عند الشدائد من صرم
فلا تعدد المولى شريكك في الغنى * ولكننا المولى شريكك في العدم
إذا مت ذو القربى اليك برحمته * وغشك وأستغنى فليس بذي رحم
ولكن ذا القربى الذي يستخفه * أذاك ومن يرى العدو الذي ترمي

وقال بعض الشعراء :

لقد زاد الحياة إلى حبا * بناتي أنهن من الضعاف
مخافة أن يرين البؤس بعدى * وأن يشربن رنقا بعد صافي
وأن يعرين إن كسى الجوارى * فتنبو العين عن كرم عجا^(١)ف

قيل لعل بن الحسين : أنت من أبر الناس ولا نراك تؤاكل أمك ؛ قال :
أخاف أن تسيروني إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققته .

قيل لعمر بن دَر : كيف كان ير أبوك بك ؟ قال : ما مشيتُ نهارا قط إلا مشى
خلفي ، ولا ليلا إلا مشى أمامي ، ولا رقي سطحا وأنا تحته .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عطاء بن السائب عن
عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند عمر فأتاه رجل فأنشده :

تركت أباك مُرْعشة يداه * وأمك ما تُسيغ لها شرابا
إذا غنت حمامة بطن وجَّ * على بيضاتها ذكرت كلابا

فقال عمر : ممّ ذاك ؟ قال : هاجر إلى الشام وترك أبوين له كبيرين ، فبكي عمر

وكتب إلى يزيد بن أبي سفيان في أن يرّحله ، فقدم عليه ، فقال : يرّ أبويك وكن معهما

(١) كرم : كريمات : وإذا وصف بالمصدر التزم فيه الأفراد والتذكير .

حتى يموتا . قال أبو اليقظان : مَرَبَعَةُ كِلَابٍ بِالْبَصْرَةِ إِلَيْهِ تَنْسَبُ ، وَالْعَوَامُ تَقُولُ
مَرَبَعَةَ الْكِلَابِ .

قال أبو علي الضَّرِير :

أَتَيْتُكَ جَذْلَانِ مُسْتَبْشِرًا * لِبُشْرَاكَ لَمَّا أَتَانِي الْخَبِيرُ
أَتَانِي الْبَشِيرُ بَأَن قَدْ رُزِقْتَ * غَلَامًا فَأُبْهِجُنِي مَا ذَكَرُ
وَأَنْتَ ، وَالرَّشِيدُ فِيمَا فَعَلَ * مَتَّ ، أَسْمِيَّتَهُ بِأَسْمِ خَيْرِ الْبَشَرِ
وَطَهَّرْتَهُ يَوْمَ أَسْبَوَعِهِ * وَمَنْ قَبْلُ فِي الذِّكْرِ مَا قَدْ طَهَّرُ^(١)
فَعَمَّرَكَ اللَّهُ حَتَّى تَرَا * هَـ قَدْ قَارَبَ الْخَطُومَنَّهُ الْكِبَرُ
وَحَتَّى تَرَى حَوْلَهُ مِنْ بَنِيهِ * وَإِخْوَتِهِ وَبَنِيهِمْ زُمَرُ
وَحَتَّى يَرُومَ الْأُمُورَ الْجَسَامَ * وَيَرْجَى لِنَفْعٍ وَيُخْشَى لُضْرُ^(٢)
وَأَوْزَعَكَ اللَّهُ شُكْرَ الْعَطَاءِ * فَإِنَّ الْمَزِيدَ لِعَبْدٍ شَكْرُ^(٣)
وَصَلَّى عَلَى السَّلَافِ الصَّالِحِ * نَ مِنْكُمْ وَبَارَكَ فِيمَنْ غَبَرُ^(٤)

وهذا قد وقع في باب التهنئة أيضا .

قال المأمون : لم أرَ أحداً أبرَّ من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من يرَّه به أن يحيى
كان لا يتوضأ إلا بماء مسخن وهما في السجن ، فمنعهما السجنان من إدخال الحطب
في ليلة باردة ، فقام الفضل حين أخذ يحيى مَضْجَعَهُ إِلَى قُمْقُمٍ^(١) كَانَ يُسَخِّنُ فِيهِ الْمَاءَ ،
فَلَاءَهُ ثُمَّ أَدْنَاهُ مِنْ نَارِ الْمَصْبَاحِ ، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا وَهُوَ فِي يَدِهِ حَتَّى أَصْبَحَ .

(١) ما هنا زائدة . ولعل المهمل من آل البيت ، فأشار بطهارته في الذكر إلى قول الله تعالى : (إِنَّمَا

يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . (٢) أوزعك : أهلك ، وفي الأصل :

«أودعك» . (٣) غبر : بقى ، ويستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب فهو من الأضداد .

(٤) ققم : إناء من نحاس .

رقص أعرابيُّ ابنه وقال :

أُحِبُّهُ حُبَّ الشَّحِيجِ مَالَهُ * قد كان ذاق الفقر ثم ناله
* إذا يُريد بَذْلَهُ بَدَالَهُ *

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة ، فقال : من هذه
يا أمير المؤمنين؟ فقال : هذه تُفَاحَةُ القلب ، فقال : أُنَبِّذُهَا عَنْكَ ، قال : ولم ؟
قال : لأنهنَّ يَلِدْنَ الأعداء ، وَيُقَرِّبُنَّ البُعداء ، وَيُورِثُنَّ الضُّغائن ، فقال : لا تَقُلْ
ذاك يا عمرو ، فوالله ما مَرَضَ المريض ولا تَدَبَّ الموتى ولا أَعَانَ على الأحران مثلهن ،
ولأنك لو أجدُّ خالا قد نفعه بنو أخته ، فقال له عمرو : ما أعلمك إلا حَبِيبَتَيْنِ إلى .

الاعتراف

كان يقال : الاعتراف يَهْدِمُ الاقتراف .
كتب بعض الكتاب الى بعض العمال : لو قابلت حَقَّكَ على بِمَتَقَدِّمِ المودة
وَمُؤَكَّدِ الحُرْمَةِ الى ما جَدَّدَهُ اللهُ لك بالسلطان والولاية ، لم أَرْضَ في قضائه بالكتاب
دون تَجَشُّمِ الرَّحْلَةِ وَمُعَانَاةِ السَّفَرِ اليك ، لا سيما مع قُرْبِ الدار منك ، غير أن الشغل
بما أَلْفَيْتُ عليه أمورى من الانتشار وعلائق الخراج وغير ذلك مما لا خيار معه ،
أَحَلَّنِي في الظاهر محلَّ الْمُقَصِّرِينَ ، وإن وهب الله فُرْجَةً من الشغل وسهَّلَ سبيلًا
اليك ، لم أَتَخَلَّفْ عَمَّا لِي فيه الحظ من مجاورتك والتنسُّم بِريحِكَ والتيمُّن بالنظر اليك ،
غاديا ورأى عليك ، إن شاء الله تعالى .

(١)
كتب ابن الجهم الى نجاح من الحبس :

إِنْ تَعَفَّ عَنْ عَبْدِكَ الْمُسَيِّءِ فَنِي * فَضْلِكَ مَاوَى لِلصَّفْحِ وَالْمِنَّةِ
أَتَيْتُ مَا أَسْتَحِقُّ مِنْ خَطَا * فَعُدُّ لِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنِ

(١) في الأصل : «أبو الجهم» وهو تحريف

وكتب الحسن بن وهب :

ما أحسنَ العفو من القادر * لا سيما عن غير ذى ناصر
إن كان لى ذنب، ولا ذنب لى، * فإله غيرك من غافر
أعوذ بالود الذى بيننا * أن يفسد الأول بالآخر
كتب رجل الى جعفر بن يحيى يستبطئه، فوقع فى ظهر كتابه : أحتج عليك
بغالب القضاء، وأعتذر اليك بصادق النية .

قال بعض الشعراء :

وتعذر نفسك إما أسأت * وغيرك بالعذر لا تعذر
وتبصر فى العين منه القذى * وفى عينك الخزع لا تبصر^(١)

وقال بعض الشعراء :

يا ذا المميز للإخاء ولا * إخوان فى التفضيل والقدر
لا يقيضنك عن معاشرتي * بالأنس أن قصرت فى برى^(٢)
إنى اذا ضاق أمرؤ يجدا * عني آستعنت عليه بالعذر

وفى الحديث المرفوع : ” من لم يقبل من معتذر صادقاً كان أوكاذباً لم يرد
على الخوض “ . وفيه : ” أقبلوا ذوى الهنات عثراتهم “ .

اعتذر رجل الى أبى عبيد الله الكاتب فقال : ما رأيتُ عذراً أشسبه باستئناف
ذنب من عذرك .

وكان يقال : أعجل الذنوب عقوبة العذر، واليمين الفاجرة، ورد التائب وهو
يسأل العفو خائباً .

(١) فى الأصل : « وتبصر فى الغير منك القذى » . وفى الحديث : « يبصر أحدكم القذى فى عين
أخيه ولا يبصر الجذال فى عينه » . والجذال : ما عظم من أصول الشجر، وقيل : هو من العيدان ما كان على
مثال شماريخ النخل . (٢) الجدا (وزان فتي) : العطية .

وقال مطرف : ^(١) المَعَاذِرُ مَكَاذِبُ .

اعتذر رجل الى ابراهيم فقال له : ^(٢) قد عذرتك غير معتذر ، إن المعاذير يشوبها الكذب .

ويقال . ما أعتذر مذنب إلا آزداد ذنباً .

وقال الشاعر :

لا تَرْجُ رجعةً مذنب * خلطَ احتجاجاً باعتذارٍ

اعتذر رجل الى سلم بن قتيبة ، فقبل منه وقال : لا يدعونك أمر تخلصت منه الى أمر لعلك لا تتخلص منه .

وقال الشاعر :

فلا تَعِذِراني في الإساءة إنه * شرارُ الرجال من يُسِيء فيَعِذِرُ

وقال ابن الطَّيْرِيَّة :

هَبْنِي آمراً إما بريئاً ظلمته * وإما مُسيئاً تاب بعدُ وأَعْتَبَا

وكنْتُ كذى داءٍ تَبَغَّى لدائه * طيبيا فلما لم يجده تَطَيَّبَا

كتب بعض الكتاب معتذرا : توهمت ، أعزك الله ، نفرتك عند نظرتك الى

عنوان كتابي هذا بأسمى ، لما تضمنته من السَّخِيمة على ، فأخليته منه ، وانتظرت

باستعطافك من طوييتك في عاقبة امتداد العهد ، وأمنت أضطغانك لنفى الدين

الحقد ، وأختصرت من الاحتجاج المنتسب الى الإصرار ، والاعتذار المتعاود بين

النُّظراء ، والإقرار المثبت للأقدام ، الاستسلام لك . على أنك إن حرمتني رضاك

أَتَسَعْتُ بعفوك ، وإن أعذمنيهما توغَّرت صدرك لم تَضُقْ من الرِّقَّة على من مُصِيبَة

(١) هو مطرف بن الشخير . والمعاذر : جمع معذرة بمعنى العذر ، والمكاذب : جمع الكذب كالحاسن

والمقايح ، وهو كة ولهم : ان المعاذير يشوبها الكذب . (٢) هو ابراهيم النخعي .

(٣) في الأصل : « سالم » وهو تحريف .

الحُرمان ؛ وإن قسوت رجعت بك عواطف من أياديك عندي نازعةً بك الى
استتمامها لدى . ومن حدود فضائل الرؤساء مقابلةُ سوء من خولوا بالإحسان
ولا نعمة على مجرم اليه أجل من الظفر ، ولا عقوبة لمجرم أبلغ من الندم ؛ وقد
ظفرت وندمت . كتبت وأنا على ما يُحبُّ بشرًا^(١) إن تغمدت زأقي ، وكما تُحبُّ ضراً
إن تركت إقالني ، وبخير في كلتا الحالتين ما بقيت .

وكتبت في كتاب اعتذار واستعطاف : كم عسى أن يكون أنتظاري لعطفك !
وكم عسى أن يكون تماديك في عتبك ؛ لولا أني مضطراً الى وصلك وأنت مطبوع
على هجري . لقد استحييت واستحييت من ذلّي وعزك ، وخفّضت جناحي ونأي
بجانبك .

وفي كتاب آخر : قد أودعني الله من نعمك ما بسطني في القول مدلاً به عليك ،
ووكّد من حرمتي بك ماشفع لي في الذنوب اليك ، وأعلّقني من أسبابك ما لا أخاف
معه نبوات الزمان عليّ فيك ، وأمتنّني بحلمك وأنا لك بادرة غضبك ؛ فأقدمت ثقةً
بإقالتك إن عثرت ، وبتقويمك إن زغت ، وبأخذك بالفضل إن زلت .

وفي كتاب اعتذار : أنا عليلٌ منذ فارقتك ؛ فإن تجمّع عليّ العلة وعتبك أفدح^(٢) .
على أن ألم الشوق قد بلغ بك في عقوبتي ؛ وحضرتي هذا البيت على ارتجال فوصلتُ
به قولي :

لك الحقُّ إن تعتبت عليّ لأتني * جفوت وإما تغتفر فلك الفضلُ

أنهيت عذري لأتهى الى تفضلك بقبوله وإن أبلّك^(٣) يمحّ إفراطى في البرّ بك
تفريطى فيه ، وإلى ذلك ما أسألك تعريفي خيرك لأراح اليه ، وأستريد الله في أمره لك .

(١) في الأصل : «شراً» . (٢) أفدح : أبهظ وأثقل . (٣) من هنا الى آخر الكتاب
غير واضح في الأصل وقد أثبتناه هكذا جهداً وصلت اليه الطاقة ، على أن لم نعر على هذا الكتاب في مصدر آخر .

وفي فصل آخر :

أنا المُقَرَّبُ بقصوري عن حَقِّكَ ، وأستحقاق جفائك ، وبفضلِكَ من عَذْلِكَ أَعُوذُ ،
فوالله لئن تأنَّحَ كَتَابِي عَنْكَ ، مَا أَسْتَرِيدُ نَفْسِي فِي شُكْرِ مَوَدَّتِكَ ، وَاطْيَافِ عَنَائِيَتِكَ . وَكَيْفَ
يَسْلَاكَ أَوْ يَنْسَاكَ أَخٌ مُغْرَمٌ بِكَ يَرَاكَ زِينَةً مَشْهُدَةً وَمَغِيْبَةً ! .

وَكَيْفَ أَنْسَاكَ لَا أَيْدِيكَ وَاحِدَةً * عِنْدِي وَلَا بِالَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ نَعِيمٍ .

وفي آخر الكتاب :

إِذَا أَعْتَذَرَ الصَّدِيقُ إِلَيْكَ يَوْمًا * مِنَ التَّقْصِيرِ عَذْرًا أَخِي مُقَرَّرٌ
فُضْنُهُ عَنْ عِتَابِكَ وَأَعْفُ عَنْهُ * فَإِنَّ الصَّفْحَ شِمَّةٌ كُلُّ حَرٍّ

وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ :

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي * أَوْ كُنْتُ أَجْهَلُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَ (١)
لَكِنْ جَهِلْتُ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي * وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَ
قِيلَ لِبُزْرِجِمْهَرٍ : مَا بِالْكُمْ لَا تُعَاتِبُونَ الْجَهْلَةَ ، قَالَ : لِأَنَّا لَا نَرِيدُ مِنَ الْعُمَيَّانِ
أَنْ يَبْصُرُوا .

وَقَالَ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ :

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ * بِبَعْضِ الْأَذَى لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ
وَلَمْ يَعْتَذِرْ عَذْرَ الْبَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ * بِهِ ضَعْفَةٌ (٢) حَتَّى يَقَالَ مُرِيبٌ
وَكُتِبَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يَعْتَذِرُ : أَنَا مِنْ لَا يُحَاجُّكَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يُغَالِطُكَ
عَنْ جُرْمِهِ ، وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ ، وَلَا يَسْتَعِظُكَ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ ،
وَلَا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِالْاعْتِرَافِ بِالزَّلَّةِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَلْتُكَ » وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ . (٢) فِي حَاسَةِ
أَبِي تَمَامٍ : « سَكَنَةٌ » . وَفِي بَعْضِ كُتُبِ الْأَدَبِ : « بَهْنَةٌ » .

وقرأت في كتاب : نست أدري بأي شيء استجزت تصديق ظنك حتى أنفذت
على به حكم قطيعتك ، فوالله ، اصدق على ولا كاد ، ولا استجزت ما توهمته فيمن
لا يلزمني حقه . وأعيدك بالله من يدار إلى حكم يوجب الاعتذار ، فإن الأناة سبيل
أهل التقى والنهى ، والظن والإسراع إلى ذوى الإخاء ينتجان الجفاء ، ويميلان عن
الوفاء إلى اللفاء ^(١) .

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعذر إلى رجل في آخر يوم من شعبان : والله فإني
في غير يوم عظيم ، وتلقاء ليلة تفتّر عن أيام عظام ، ما كان ما بلغك ^(٢) .

وقرأت في كتاب معتذر : إنك تحسن مجاورتك للنعمة ، وأستدامتك لها ،
واجتلابك ما بعد منها بشكر ما قرب ، واستعمالك الصفيح لما في عاقبته من جميل عادة
الله عندك ، ستقبل العذر على معرفة منك بشناعة الذنب ، وتُقيل العثرة وإن لم تكن
على يقين من صدق النية ، وتدفع السيئة بالتي هي أحسن .

اعتذر رجل إلى جعفر بن يحيى البرمكي ، فقال له جعفر : قد أغناك الله
بالعذر منا عن الاعتذار ، وأغنانا بالموثدة لك عن سوء الظن بك .

وقال بعض الشعراء :

إذا ما أمرؤ من ذنبه جاء تائباً * إليك فلم تغفر له فلك الذنب

كان الحسن بن زيد بن الحسن والياً للنجف على المدينة ، فهجاه ورد بن عاصم
المبرسم فقال :

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل

وقد كان الرسول يرى حقوقاً * عليه لأهلها وهو الرسول

(١) اللفاء : اليسير الحقيق ، يقال : رضى فلان من الوفاء بالفاء ، أى رضى من حقه الوافى بالقليل .

(٢) غير يوم : بواقه ، جمع غابر .

فطلبه الحسن فهرب منه ، ثم لم يشعر إلا وهو مائل بين يديه يقول :

سَيَأْتِي عُنْدِي الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ * وَتَشْهَدُ لِي بِصَفِّينِ الْقَبُورِ

قَبُورٌ لَوْ بِأَحْمَدَ أَوْ عَلِيٍّ * يَلُودُ مُجِيرَهَا حُفِظَ الْحُجَيْرِ

هَما أَبَوَاكَ مَنْ وَضَعَا تَضَعُهُ * وَأَنْتَ بَرَفَعَا جَسَدِي

فاستخف الحسن كرمه ، فقام إليه فبسط له رداءه وأجلسه عليه .

وفي كتاب لمعتذر : علو الرتبة واتساع القدرة وانبساط اليد بالبسطوة ، ربما

أنست ذا الحق المحفظ من الأحرار فضيلة العفو وعائدة الصفح وما في إقالة المذنب

وأستبقائه من حسن السماع وجميل الأحداث ، فبعثته على شفاء غيظه ، وحركته

على تبريد غائته ، وأسرعت به إلى مجانبة طباعه وركوب ما ليس من عادته . وهمتك

تجلى عن دناءة الحقد ، وترتفع عن لؤم الظفر .

وفي فصل : نبت بي عنك غيرة الحدائث فردتني إليك الحنكة ، وواعدتني عنك

الثقة بالأيام فأدنتني إليك الضرورة ، ثقة بإسراعك إلى وإن كنت أبطأت منك ،

وقبولك العذر وإن كانت ذنوبي قد سدت عليك مسالك الصفح ، فأى موقف هو

أدنى من هذا الموقف لولا أن المخاطبة فيه لك ! وأى خطبة هي أودى بصاحبها من

خطبة أنا راكبها لولا أنها في رضاك ! .

(١) أوقع الحجاج يوما بخالد بن يزيد يعيبه وينتقصه وعنده عمرو بن عبسة : فقال

عمرو : إن خالدا أدرك من قبله وأتعب من بعده بتقديم غلب عليه وحديث لم يسبق

إليه ، فقال الحجاج معتذرا : يا بن عبسة ، إنا لنسترضيكم بأن نغضب عليكم ، ونستعطفكم

بأن نزال منكم ، وقد غلبتم على الحلم ، فوثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا ،
فتعرضنا للذي تحبون .

قال المنصور لرجل أتاه تائباً معتذراً من ذنب : عهدي بك خطيباً فما هذا
السكوت ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لسنا وفد مباهاة وإنما نحن وفد توبة ، والتوبة
تتلقى بالاستكانة .

وقع بين أبي مسلم وبين قائد له كلام ، فأرّبى عليه القائد الى أن قال له :
يا لقيط ! فأطرق أبو مسلم ، فلما سكنت عنه فورة الغضب ندم وعلم أنه قد أخطأ
 واعتذر وقال : أيها الأمير ، والله ما أنبسطت حتى بسطتني ولا نطقت حتى أنطقتني
 فاغفر لي ، قال : قد فعلت ، فقال : إني أحب أن أستوثق لنفسى ، فقال أبو مسلم :
سبحان الله ! كنت نسيء وأحسب ، فلما أحسنت أسيء ! .

قال الطائي :

وكم ناكث للعهد قد نكثت به * أمانيه وأستخذي بحقك باطله
فخاط له الإقرار بالذنب روحه * وجثمانه اذ لم تحطه قبائله

وقال آخر :

حتى متى لا تزال معتذراً * من زلة منك ما تُجانبها
لا تتقي عيبها عليك ولا * ينهك عن مثلها عواقبها
لتركك الذنب لا تقاريفه * أيسر من توبة تقاربها

قال أعرابي لابن عم له : سأتحطى ذنبك الى عذرك ، وإن كنت من أحدهما
على يقين ومن الآخر على شك ، ليتم المعروف مني اليك ، ولتقوم الحجة مني
عليك .

عَنْبُ الْإِخْوَانِ وَالتَّبَاغُضِ وَالْعَدَاوَةِ

حدثني الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ مُعَاذَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ هِشَامَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُبْصِرَ مَسْلَمًا فَوْقَ ثَلَاثٍ ، وَأَيُّهُمَا فَعَلَ فَإِنَّهُمَا نَاكِمَانِ عَنِ الْحَقِّ مَا دَامَا عَلَى صُرْمِهِمَا وَإِنْ مَاتَا لَمْ يَدْخُلَا الْجَنَّةَ " .

قال بعض الشعراء :

سَنَ الضَّغَائِنِ آبَاءُ لَنَا سَلَفُوا * فَانْ تَبَيَّسَدَ وَلِلْآبَاءِ أَبْنَاءُ

هذا مثل قول أبي بكر الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَدَاوَةُ تُتَوَارَثُ .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : إِذَا كَانَتْ الْمَوْجِدَةُ عَنْ عِلَّةٍ كَانَ الرِّضَا مَرْجُوءًا ، وَإِذَا

كَانَتْ عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ كَانَ الرِّضَا مَعْدُومًا . وَهِيَ الْعَجَبُ أَنْ يَطْلُبَ الرَّجُلُ رِضَا أَخِيهِ فَلَا يَرْضَى ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُسَيِّطَ عَلَيْهِ طَلَبُهُ رِضَاهُ .

قال بعض المحذَّرين :

فَلَا تَلْهُ عَنْ كَسْبِ وَدِّ الْعَدُوِّ * وَلَا تَجْعَلَنَّ صَدِيقًا عَدُوًّا

• وَلَا تَغْتَرَّرْ بِهُدُوءِ أَمْرِي * إِذَا هَيَّجَ فَارَقَ ذَاكَ الْهُدُوءُ

وقال آخر :

احْذَرْ مَسُودَةَ مَا ذِيقَ^(١) * شَابَ الْمَرَارَةَ بِالْحَلَاوَةِ

يُحْصِي الْعَيُوبَ عَلَيْكَ أَيَّامُ الصَّدَاقَةِ وَالْعَدَاوَةِ

وقال أبو الأسود الدُّؤْلِيُّ :

إِذَا الْمَرْءُ ذُو الْقُرْبَى وَذُو الضُّغْنِ أَجْحَفَتْ * بِهِ سَنَةٌ حَلَّتْ مُصِيبَتُهُ حَقَّ يَدِي

(١) المذاق : الذي يشوب الودَّ بكدر ولا يخلصه .

وقال محمد بن أبان اللّاحق لأخيه إسماعيل :

تلوم على القطيعة من أتاها * وأنت سَنَنْتَها في الناس قبلي

وقال آخر :

ورُوعْتُ حتى ما أراعُ من النوى * وإن بان جِيراتُ عليّ كرامُ

فقد جعلت نفسي على اليأس تنطوي * وعيَّني على هجر الصديق تنامُ

قال أحمد بن يوسف الكاتب :

ما على ذاكنا آفترقنا بسندنا^(١) * دولا بيننا عقْدنا الإخاء

نطعنُ الناس بالثَّقفة السُّم * ير على غدرهم وننسى الوفاء

قيل لأفلاطون : بماذا ينتقم الإنسان من عدوه ؟ قال : بأن يزداد فضلا

١٠ في نفسه .

وكان يقال : احذرُ معاداة الدليل ، فربما شَرِقَ بالذباب العزيز .

كتب رجل من الكتاب الى صديق له تجي عليه :

عَتَبْتُ عليّ ولا ذنبَ لي * بما الذنبُ فيه ولا شك لك

وحاذرت لومي فبادرتني * الى اللوم من قبل أن أبْدركُ

فكنا كما قيل فيما مضى * خذِ اللص من قبل أن يأخذك

١٥

وقال آخر :

رأيتُك لما نلتَ مالا ، ومَسَّنا^(٢) * زمانُ ترى في حدّ أنيابه شَغبا

جعلتَ لنا ذنبا لئلا نلتَمَعَ نائلا * فأَمْسِكْ ولا تجعلِ غناك لنا ذنبا

(١) سنداد : اسم موضع . (٢) الشغب : تهيج الشر ، وفي الأصل : « شغبا » .

وقال آخر :

تُرِيدِينَ أَنْ أَرْضَى وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ * وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرِضِي الْأَخْلَاءَ بِالْبَخْلِ
وَجَدَّكَ لَا يُرِضِي ^(١) إِذَا كَانَ عَاتِبًا * خَلِيلُكَ إِلَّا بِالْمُودَّةِ وَالْبَذْلِ
مَتَى تَهْبِئِي مِنَّا كَثِيرًا وَنَائِلًا * قَلِيلًا يَقْطَعُ ذَاكَ بَاقِيَةَ الْوَصْلِ

كتب رجل الى صديق له :

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرني أني خذلتُ ببالك ^(٢)

وقال آخر :

إِذَا رَأَيْتُ أَزْوَارًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ * ضَاقَتْ عَلَيَّ بِرُحْبِ الْأَرْضِ أَوْطَانِي
فَإِنْ صَدَدْتُ بِوَجْهِهِ كَى أَكْفَيْتُهُ * فَالْعَيْنِ غَضْبَى وَقَلْبِي غَيْرُ غَضْبَانِ

وقال إبراهيم بن العباس :

وَقَدْ غَضِبْتُ فَمَا بِالْيَمِّ غَضْبِي * حَتَّى أَنْصَرَفْتُ بِقَلْبٍ سَاخِطٍ رَاضِي

وقال زهير :

وَمَا يَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ * تُخَبِّرُكَ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ

وقال دريد :

وَمَا تَخْفَى الضَّغِينَةُ حَيْثُ كَانَتْ * وَلَا النَّظَرُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ

وقال ابن أبي خازم :

خُذْ مِنَ الدَّهْرِ مَا كَفَى * وَمِنَ الْعَيْشِ مَا صَفَا

لَا تُلِحَّ بِالْبُكَاءِ * عَلَى مِثْلِ عَفَا

(١) في الأصل : « وجدتك لا ترضى » . (٢) هذا البيت من قصيدة لابن الدمينه مطلعها :

قنني يا أميم القلب نقض لبانة * ونشك الهوى ثم افعل ما يدالك

خَلَّ عَنْكَ الْعِتَابُ إِنْ * خَانَ ذُو السُّودِّ أَوْ هَفَا
عَيْنٌ مِنْ لَا يُحِبُّ وَص... * لَكَ تُبْدَى لَكَ الْجَفَا

وقال أعرابي يذكر أعداءه :

يُزَمِّلُونَ^(١) جَنِينِ الضَّغَنِ بَيْنَهُمْ * وَالضَّغْنُ أَشْوَهُ أَوْ فِي وَجْهِهِ كَلْفٌ^(٢)
إِنْ كَاتَمُونَا الْقَلْبَى نَمَّتْ عَيُونُهُمْ * وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ

وقال ابن أبي أمية :

كَمْ فَرَحَةٌ كَانَتْ وَكَمْ تَرَحُّةٌ تَخْرَصُهَا لِي فِيكَ الظَّنُونُ
إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَ مَا * تُضْمِرُهُ أَنْبَتُكَ عَنْهَا الْعَيُونُ

وقال آخر :

أَمَا تُبْصِرُ فِي عَيْنِي عُنُوتَ الَّذِي أَبْدَى

وقال آخر :

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * إِذَا مَا آتَقِينَا لَيْسَ مِّنْ أَعَاتِبِهِ
يَقُولُ : لَا أَقْدِرُ [أَنْ] أَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَمِثْلُهُ :
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي * كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

وقال النمر بن تولب في الإعراض :

فَصَدَّتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قِنَاعِهَا * بَدَأَ حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَنَّتْ بِحَاجِبِ
أَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ فَقَالَ :

يَا قَمْرًا لِلنَّصِيفِ مِنْ شَهْرِهِ * أَبْدَى ضِيَاءَ لَثْمَانِ بَقِيَيْنِ
يُرِيدُ أَنَّهُ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ فَبَدَأَ لَهُ نَصْفُهُ .

(١) زمل الشيء : أخفاه . (٢) الكلف : شيء يعلو الوجه كالسمسم ويعرف بالنمش .

وقال آخر في الضغينة :

وفينا وإن قيل أصطلحنا تَضَاغُنْ * كما طَرَأَ أوبَارُ الجِرَابِ عَلَى النَّشْرِ^(١)

وقال آخر في نحوه :

وقد يَنْبُتُ المرعى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى * وَتَبْقَى حَرَازَاتُ النفوسِ كما هِيَ

وقال الأخطل :

إِنَّ الضغينةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدِمْتُ * كَالْعَرِيكِ^(٢) حِينَ تَمُوتُ يَنْتَشِرُ

تُشْمُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ * وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

وقرأت في كتاب للهند : ليس بين عداوة الجوهريّة صلحٌ إلا ريثما يَنْتَكُثُ ،

كالماء إن أُطِيلَ إِسْخَانُهُ فَانْه لَا يَمْتَنِعُ مِنْ إطفاء النار إذا صُبَّ عَلَيْهَا .

قال سعد بن أبي وقاص لعمار بن ياسر : إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّكَ مِنْ أَكْبَرِ أَصْحَابِ

مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِكَ إِلَّا ظِمٌّ^(٣) الْحِمَارِ فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ؛

قَالَ : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : مُودَّةٌ عَلَى دَخَلٍ أَوْ مُصَارَمَةٌ جَمِيلَةٌ ؟ قَالَ : مُصَارَمَةٌ جَمِيلَةٌ ؛

قَالَ : لِلَّهِ عَلَى الْآلِ أَكَلَمَكَ أَبَدًا .

وقال بعض الشعراء في صديقي له تغير :

أَحُولُ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ * عَيْنِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي^(٤)

١٥

(١) النشر: الكلال يهيج أعلاه وأسفله ندى أخضر تدفئ منه الابل (يكثرو برها وشحمها) إذا رعته ؛

كذا ذكره صاحب اللسان في مادة (نشر) ، وقد ساق هذا البيت في أبيات لعمير بن حباب ، وقال في تفسيره :

يقول : ظاهرنا في الصلح حسن في مرآة العين وباطننا فاسد كما تحسن أوبار الجرب عن أكل النشر وتحتها داء

منه في أجوافها . قال أبو منصور : وقيل النشر في هذا البيت : نشر الجرب بعد ذهابه ونبات الوبر عليه

حتى يخفى . قال : وهذا هو الصواب . يقال : نشر الجرب ينشر نشرا ونشورا إذا حي بعد ذهابه « اهـ .

(٢) العز : الجرب . (٣) يقال : ما بقي منه إلا قدر ظم الحمار أى لم يبق من عمره إلا اليسير

لأنه يقال : إنه ليس شيء من الدواب أقصر ظمًا من الحمار وهو أقل الدواب صبرا على العطش يرد الماء

كل يوم في الصيف مرتين . (٤) احولت عينه بمعنى حولت ، والمراد الإعراض والانصراف .

٢٠

وقال المُثَقَّبُ العَبْدِيُّ :

ولا تَعِدِي مواعِدَ كاذِبَاتٍ * تَمُرُّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِي
فإِنِّي لو تَعَانِدُنِي شِمَالِي * عِنَادُكَ ما وَصَلَتْ بِهَا يَمِينِي
أَذا لَقِطَعْتُهَا وَلَقَلَّتْ يَدِي * كَذَلِكَ أَجْتَوِي مَنْ يُحْتَوِي

وقال الكُمَيْت :

ولَكِنَّ صَبْرًا عَنْ أَخٍ عَنْكَ صَابِرٌ ^(١) * عَزَاءً أَذا ما النَّفْسُ حَتَّى طَرَوْهَا
رَأَيْتُ عَذَابَ الْمَاءِ إِنْ حِيلَ دُونَهَا * كَفَاكَ لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ شَرُّوهُ ^(٢)
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأَسِنَّةُ مَرْكَبٌ * فَلَا رَأْيَ لِلْجَهْدِ إِلَّا رُكُوبُهَا ^(٣)

وقرأت في كتاب للهند : العدو إذا أحدث صداقة لعله أبلأته إليها فمع ذهاب
العله رجوع العداوة، كالماء يسخن فإذا رُفِعَ عاد باردا .

قال محمد بن يزداد الكاتب : إذا لم تستطع أن تقطع يدَ عدوك فقبلها .

قال الشاعر :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي * بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
أَذا ما رَأَيْتُ قَطَعَ الطَّرْفَ دُونَهُ * وَدُونِي فَعَلَ الْعَارِفُ الْمُتَجَاهِلُ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَهَا * مِنْ الضِّيقِ فِي عَيْنِيهِ كِفَّةٌ حَابِلُ

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اعْتَرِلْ عَدُوَّكَ وَأَحْذَرْ صَدِيقَكَ إِلَّا الْأَمِينَ ،
وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ .

الهيثم عن ابن عيَّاش قال : أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ قَالَ : كُنَّا مَعَ أُسْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
بِخِرَاسَانَ ، فَبَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَهُ وَقَدْ مَدَّ نَهْرُ بَغْجَاءَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ لَا يُوصَفُ ، وَإِذَا رَجُلٌ

(١) كذا في كتاب الشعر والشعراء (ص ٣٧١ طبع أوروبا) . وفي الأصل : « لك » .

(٢) الشروب والشريب : الماء بين العذب والملح وليس يشربه الناس إلا للضرورة . (٣) في كتاب
الشعر والشعراء : « للخطر » وهي الرواية المشهورة .

يضر به الموج وهو ينادى : الغريق الغريق ! فوقف أسد وقال : هل من ساج ؟
فقلت : نعم ، فقال : ويحك ! الحق الرجل ! فوثبت عن فرسي وألقيت عنى ثيابي
ثم رميت بنفسي في الماء ، فما زلت أسبح حتى إذا كنت قريبا منه قلت : ممن
الرجل ؟ قال : من بنى تميم ، قلت : امض راشداً ، فوالله ما تأخرت عنه ذراعا حتى
غرق : فقال ابن عياش : فقلت له : ويحك ! أما آتيت الله ! غرقت رجلا
مساهما ! فقال : والله لو كانت معي لينة لضربت بها رأسه .

طاف رجل من الأزد بالبيت وجعل يدعو لأبيه ، فقبل له : ألا تدعوا لأهلك ؟
فقال : إنها تميمية .

وقرأت في كتاب للهند : جانب الموتور^(١) كن أحذر ما تكون له اللطف ما يكون^(٢)
بك ، فإن السلامة بين الأعداء توحش بعضهم من بعض ، ومن الأئس والثقة حضور آجالهم .
أراد الملك قتل بزرجهر وأن يترجح أبنته بعد قتله ، فقال : لو كان ملككم
حازما ما جعل بينه وبين شعاره موتورة .

قال أبو حازم : لا تناصبن رجلا حتى تنظر الى سريرته ، فإن تكن له سريرة
حسنة فإن الله لم يكن يخذله بعداوتك إياه ، وإن كانت سريرته رديئة فقد كفاك
مساويه ، لو أردت أن تعمل بأكثر من معاصي الله لم تقدر .

قال رجل : إني لأغتم في عدوى أن ألقى عليه النملة وهو لا يشعر لتؤذيه .
وقال الأفوه الأودي :
بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير خلاب وقالي
وذقت سرارة الأشياء جمعا * فما طعم أمر من السؤال
ولم أر في الخطوب أشد هولا * وأصعب من معاداة الرجال

(١) في الأصل : « توحشة » . (٢) رويت هذه الحكاية برواية أخرى في العقد الفريد ج ١ ص ٧٩

وقال آخر :

بلاءٌ ليس يشبهه بلاءٌ * عداوةٌ غير ذى حسبٍ ودينٍ
يُبيحك منه عِرضاً لم يصنه * ويرتع منك فى عِرضٍ مصونٍ

شماتة الأعداء

بلغ عمرو بن عتبة شماتة قوم به فى مصائب، فقال : والله، لئن عظم مصابنا
بموت رجالنا لقد عظمت النعمة علينا بما أبقي الله لنا : شُبَّانًا يَشُبُّونَ الحروبَ، وساءةً
يُسُدُّونَ المعروفَ، وما خَلَقْنَا وَمَنْ شَتَّ بِنَا إِلَّا للوت .

قيل لأيوب النبی عليه السلام : أى شىء كان أشدَّ عليك فى بلائك ؟ قال :
شماتة الأعداء .

اشتكى يزيد بن عبد الملك شكاة شديدة وبلغه أن هشاماً سرَّ بذلك ، فكتب
الى هشام يعاتبه ، وكتب فى آخر الكتاب :

تَمَنَّى رجالٌ أن أموتَ ، وإن أَمُتْ * فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدٍ
وقد علموا ، لو ينفعُ العلمُ عندهم ، * متى مِتُّ ما الداعي على بَحْثِ لَدِ
مَنِيَّتِهِ تَجَرَّى لوقتٍ وحتفُهُ * يصادفُهُ يوماً على غير موعِدِ
فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى * تهياً لأخرى مثليها فكأن قد

وقال الفرزدق :

إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ * حوادثه أناخ بأحرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

أغير على رجلٍ من الأعراب فذهب بإبله فقال :

لا والذى أنا عبدٌ فى عبادته * لولا شماتة أعداء ذوى إحنٍ
ماسرَّنى أن أبلى فى مَبَارِكها * وأن شيئاً قضاه الله لم يكن

وقال عدى بن زيد العبادي :

أرواحٌ مُودَعٌ أمٌ بُكُورٌ * لك فأنظر لأى حالٍ تَصِيرُ
 وأيضاض السوادِ من نُذْرٍ المُو * تِ فهل بعده لإنيس نَذِيرُ
 أيها الشامتُ المعيرُ بالله * ير أنت المبرأ الموفورُ
 أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيَّامِ أم أنت جاهلٌ مغرورُ
 من رأيت المنونَ خلدن أم من * ذا عليه من أن يضامَ مجيرُ
 أين كسرى كسرى الملوك أنوشر * وإن أم أين قبله سابور^(١)
 وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دج * مله^(٢) تُجبي إليه والخابور^(٣)
 شاده مرمراً وجلَّله كل * ساء فلطير في ذراه وُكور^(٤)
 لم يهيه ريبُ المنون فبادل * سملك عنه فبابه مهجورُ
 وتبين ربَّ الخورنق إذ أش * سرف يوما وللهدى تفكيرُ
 سره حاله وكثرة ما يد * ملك والبحر معرضا والسدير^(٥)
 فارعوى قلبه فقال وما غب * سطة حتى إلى الممات يصيرُ
 ثم بعد الفلاح والمُلك والنعم * سمة وارثهم هناك القبور^(٦)
 ثم أضحوا كأنهم ورقٌ جفَّ * فالوت به الصَّبا والدبورُ

(١) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز، وكلاهما من ملوك
 العجم قبل كسرى أنوشروان . (٢) الحضرة : قصر بجبال تكريت بين دجلة والفرات، ويعنى بأخيه
 الضيزن بن معارية بن العبيد، وخبر قصرى الحضرة والخورنق المذكور في الأغاني ج ٢ ص ١٤٠ — ١٤٦
 طبع دار الكتب المصرية . (٣) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من
 أرض الجزيرة . (٤) الكلس : الصاروج وهو النورة التي تطل بها المنازل . (٥) معرضا :
 متسعا، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض . (٦) في الأغاني ج ٢ ص ١٣٩ : « والإامة »
 وهو بمعناها .

قال ابن الكلابي : لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساءً من كندة وحضرموت فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف ، فقال رجل منهم :

أبلغ أبا بكر إذا ما جئته * أنت البغايا رمن أي مرام
أظهرن من موت النبي شماتة * وخضبن أيديهن^(١) بالعلام^(١)
فأقطع ، هديت ، أكفهن بصارم * كالبرق أومض من متون غمام

فكتب أبو بكر إلى المهاجر عامله ، فأخذهن وقطع أيديهن .

وقرأت في كتاب ذكر فيه عدو : فإنه يتربص بك الدوائر ، ويتمنى لك الغوائل ،
ولا يؤمل صلاحاً إلا في فسادك ، ولا رفعة إلا في سقوط حالك والسلام .

(١) العلام بالتشديد : الحناء ، عن ابن الأعرابي .

وجد بالأصل في آخر هذا الكتاب ما نصّه :

آخر كتاب الإخوان ، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار ، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الحزري ، وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة . وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين .

وفي هذه الصفحة عينها وجد ما يأتي — وهو من زيادة النسخ — :

قيل قدم المهدي أمير المؤمنين ، وقيل الرشيد ، فتلّاه الناس ، وتلقاه أبو دلامة^(١) في جملة الناس ، فأنشده :

إني نذرتُ لئن رأيْتُك سالماً * بقُرى العراق وأنت ذو وفير

لتصلين على النبي محمد * ولتملأن دراهماً حجري

فقال له أمير المؤمنين : أما الأولى فنعم . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وأما الأخرى فليست أفعل ، فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما نذرت إلا الاثنين ، فضحك وأمر حتى مكوا حجره دراهم .

(٢) شاعر :

ولقد تنسمتُ الرياحَ حاجتي * فإذا لها من راحتك نسيمٌ
ولربما استيأستُ ثم أقول لا * إن الذي ضمن النجاح كريمٌ

(١) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنه توفي سنة إحدى وستين ومائة ، وتولى الرشيد الخلافة

سنة سبعين ومائة ، ثم قال ابن خلكان : ويقال إنه عاش إلى أيام الرشيد . (٢) هو أبو العتاهية .

كتاب الحوائج

استنتاج الحوائج^(١)

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا محمد بن الحَصِيْب قال حدثني أوس بن عبد الله بن بُريْدَة عن أخيه سهل بن عبد الله بن بُريْدَة عن بُريْدَة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اسْتَعِينُوا عَلَى الْحَوَائِجِ بِالْكَتَمِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ " .

قال خالد بن صفوان : لا تَطْلُبُوا الْحَوَائِجَ فِي غَيْرِ حِينِهَا ، وَلَا تَطْلُبُوهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ، وَلَا تَطْلُبُوا مَا لَسْتُمْ لَهُ بِأَهْلٍ فَتَكُونُوا لِلنَّعْيِ خُلَفَاءَ .

قال شبيب بن شيبَة : إِنِّي لَأَعْرِفُ أَمْرًا لَا يَتَلَاقَى بِهِ أَثْنَانِ إِلَّا وَجِبَ النَّجْحُ بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : [الْعَقْلُ ، فَإِنَّ] الْعَاقِلَ لَا يَسْأَلُ مَا لَا يَحُوزُ وَلَا يُرَدُّ عَمَّا يُمَكِّنُ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : نَعَيْتَ إِلَى نَفْسِي ! إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا يَمُوتُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى يَرَى خَلْفَهُ .

(١) الحوائج : جمع حاجة على غير قياس ، وجمعها القياسى : حاج وحاجات ، وقد أنكر الأصمعي حوائج وقال هو مولد . قال الجوهرى : وإنما أنكره لخروجه عن القياس وإلا فهو كثير في كلام العرب ، ثم استشهد بكثير من الشعرو بأحاديث ذكرها المؤلف هنا . والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حاجة . وذكر بعضهم أنه سمي حاجة لغة في الحاجة . (٢) التكملة من العقد الفريد ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

أبو اليقظان قال : كان بنو ربيعة — وهم من بني عسيل بن عمرو بن يربوع —
يُوصون أولادهم فيقولون : استعينوا على الناس في حوائجكم بالثقل عليهم ، فذاك
أنجح لكم .

قال الشاعر :

هَيْبَةُ الْإِخْوَانِ مَقْطَعَةٌ * لِأُنْحَى الْحَاجَاتِ عَنْ طَلْبِهِ
فَإِذَا مَا هَبْتَ ذَا أَمَلٍ * مَاتَ مَا أَمَلْتَ مِنْ سَبِيلِهِ

وقال أبو نؤاس :

وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِمَّنْ يَرُومُهَا ^(٢) * مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمُصْبِحُونَ عَلَى رَجُلٍ
تَأْتِ مَوَاعِيدَ الْكِرَامِ فَرَبَّمَا * أَصَبْتَ مِنَ الْإِلْحَاحِ سَمْعًا عَلَى بُحْلِ

والبيت المشهور في هذا :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا آتَسَدَتْ مَسَالِكُهَا * قَالِ الصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا أَرْتَجِبَا ^(٣)
أَخْلَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ * وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
لَا تَيَاسَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةُ * إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرِ أَنْ تَرَى فَرْجَا

وقال آخر :

إِنِّي رَأَيْتَ، وَلِلْأَيَّامِ تَجْرِبَةً، * لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَجْوودَةَ الْأَثَرِ
وَقُلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُطَالِبُهُ * وَأَسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ ^(٣)

(١) ورد هذا الاسم بالأصل محرفا هكذا : « غسان » وصوابه كما أثبتناه (انظر القاموس

وشرحه مادة عسل) . (٢) روى هذا في اللسان مادة رجل هكذا :

* وَلَا يَدْرِكُ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ تَبْتَغِي . *

(٣) في العقد الفريد ج ١ ص ٨٩ : « يحاوله » .

والعرب تقول : «رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رِيثًا» . يريدون أن الرجل قد يَخْرُقُ ويعَجَلُ في حاجته فتتأخر أو تبطل بذلك . وتقول : «الرَّشْفُ أَنْقَعُ» . يريدون أن الشراب الذي يُتَرَشَّفُ رويدًا رويدًا أقطع للعطش وإن طال على صاحبه .

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصِّعِقِ :

إناك إن كَلَفْتَنِي ما لم أَطِقْ * ساءَكَ ما سَرَّكَ مِنِّي من خُلُقٍ

وكانوا يَسْتَنْجِحُونَ حوائجهم بركعتين يقولون بعدهما : اللهم إني بك أَسْتَفْتِيحُ ، وبك أَسْتَنْجِحُ ، وبمحمد نبيك إليك أتوجه ، اللهم ذلِّلْ لي صعوبته ، وسهِّلْ لي حُرُوتَه ، وآرزُقني من الخير أكثر مما أرجو ، وأصْرِف عني من الشر أكثر مما أخاف .

وقال القطامي :

قد يُدْرِكُ المَتَانِي بعضَ حاجتِه ^(١) * وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلَلُ

عمرو بن بحر عن إبراهيم بن السُّنْدِيِّ قال : قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجلٍ من وجوهها ، كان لا يَجِفُّ لِبْدُه ولا يَسْتَرِيحُ قلبه ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلاً مُفَوَّهاً ، خَبَرَنِي عن الشيء الذي هوّن عليك النَّصَبَ وقوّاك على التعب ما هو؟ قال : قد والله سمعتُ تغريد الطير بالأشجار ، في أفنان الأشجار ، وسمعتُ خَفَقَ أوتار العيdan ، وترجيع أصوات القيان الحسنان ، ما طربت من صوت قطّ طربى من ثناء حسن بلسانٍ حسنٍ على رجلٍ قد أحسن ، ومن شكرٍ حرّ لمنعمٍ حرٍّ ومن شفاعَةٍ محتسِبٍ لطالبٍ شاكر . قال إبراهيم : فقلت : لله أبوك لقد حُشِيتَ كرماً فزادكَ الله كرماً ، فبأي شيء سَهَّلْتَ عليك المعاودة والطلب ؟

(١) كذا في ديوان القطامي وهي الرواية المشهورة في كتب الأدب . وفي الأصل :

* قد يدرك المتأنى بعد حاجته * وهي رواية جيدة . (٢) كذا في العقد الفريد ج ١

قال : لأني لا أبلغ المجهود ولا أسأل مالا يجوز ، وليس صدق العذر أكره إلى من
إنجاز الوعد ، ولست لإكداء السائل أكره متى للإجحاف بالمسئول ، ولا أرى الراغب
أوجب عليّ حقاً للذي قدم من حسن ظنه من المرغوب إليه الذي احتمل من كلفه^(١) .
قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاماً قط أشدّ موافقة لموضعه ولا أليق بمكانه من هذا
الكلام .

وقال مصعب :

في القوم معتصم بقوة أمره * ومقصر أودى به التقصير
لا ترض منزلة الذليل ولا تقيم * في دار معجزة وأنت خير
وإذا هممت فأمض همك إنما * طالب الحوائج كله تغرير

وكان يقال : إذا أحببت أن تطاع ، فلا تسأل ما لا استطاع .

ويقال : الحوائج تُطلب بالرجاء ، وتُدرَك بالقضاء .

الاستنجاح بالرشوة والهدية

حدثني زيد بن أنحزم عن عبد الله بن داود قال : سمعتُ سفيان الثوري يقول :
إذا أردت أن تتزوج فأهد للآثم . والعرب تقول : « من صانع^(٢) لم يحتشم من طلب
الحاجة » .

قال ميمون بن ميمون : إذا كانت حاجتك إلى كاتب فليكن رسولك الطمع .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : نعم الشيء الهدية أمام الحاجة .

(١) الكل بالفتح : العيال والنقل من كل ما يتكلف . (٢) صانع : هادي .

وقال رؤبة :

لما رأيت الشُّفَعَاءَ بُلْدُوا ^(١) * وسألوا أميرهم فأنكدوا ^(٢)
نامستهم برشوة ^(٣) فأقردوا ^(٤) * وسهل الله بها ما شددوا

وقال آخر ^(٥) :

وكنْتُ إذا خاضتُ خَصْماً كَبَيْتُهُ * على الوجه حتى خاضتني الدراهم
فلما تنازعنا الخصومة غلبت ^(٦) * على وقالوا قم فإنك ظالم
والعرب تقول في مثل هذا المعنى : « مَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ يُعْطِ مَهْرًا » يريدون
مَنْ طلب حاجةً مُهمَّةً بذل فيها .

وقال بعض المُحدِّثين :

ما من صديق وإن تمت صداقته ^(٧) * يوماً بأنجح في الحاجات من طبقي
إذا تلَّم بالينديل مُنطاقاً ^(٨) * لم يخش نبوة بواب ولا غلق
لا تكذب فإن الناس مُذْخِلُوقُوا ^(٩) * لرغبة يكرمون الناس أوفرق

وقال آخر :

ما أرسل الأقوام في حاجة * أمضى ولا أنجح من درهم
يأتيك عفواً بالذي تشتهي * نِعَمَ رسول الرجل المسلم

- (١) يقال : بلد الرجل إذا لم ينجه شيء ، وبلد إذا نكس في العمل وضعف . (٢) أي منعوا الحاجة ولم يعطوا . (٣) يقال : نامس الرجل صاحبه منامسة ونماسا إذا ساوره . (٤) يقال : أقرد الرجل وقرد إذا ذل وخضع . (٥) هو رجل من ولد طلبة (ضبط في الكامل بالقلم بفتح الطاء وسكون اللام وكسرها واقتصر في المعارف على كسر اللام) بن قيس بن عاصم (انظر الكامل للبرد ج ١ ص ٨٤ طبع أوروبا) . (٦) يقال : غلب الرجل على صاحبه إذا حكم له عليه بالغلبة . (٧) في المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٣٦٧ طبع أوروبا : « أبدى مودته » . (٨) في المحاسن والأضداد : « تقنع » . (٩) في المحاسن والأضداد : « لا تكثرن » .

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : دخل أبو بكر الهجيري على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين نغض^(١) في وأنتم أهل بيت بركة ، فلو أذنت لي فقبأت رأسك لعل الله يسدّد لي منه ! فقال أبو جعفر : اختر منها ومن الجائزة ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أهون عليّ من ذهاب درهم من الجائزة ألاّ تبقى في في حاكّة^(٢) .

قال أبو حاتم : وحدثنا الأصمعي عن خلف قال : كنت أرى أنه ليس في الدنيا رقية إلا رقية الحيات ، فاذا رقية الخبز أسهل . يعني ما يتكلفه الناس من الكلام لطلب الحيلة .

قال رجل للفضل بن سهل يسأله : الأجل آفة الأمل ، والمعروف ذخيرة الأبد ، والبر غنيمة الخازم ، والتفريط مصيبة أنحى القدرة ؛ فأمر وهباً كاتبه أن يكتب الكلمات . ورفع إليه رقيقة فيها^(٣) : يا حافظ من يضع نفسه عنده ، ويا ذاكر من ينسى نصيبه منه ، ليس كتابي إذا كتبت استبطاء ، ولا إمساكي إذا أمسكت استغناء ؛ لكن كتابي إذا كتبت تذكرة لك ، وإمساكي إذا أمسكت ثقة بك .

وقال رجل لآخر : ما قصرت بي همة صيرتني اليك ، ولا أخرني ارتياد دلي عليك ، ولا قعد بي رجاء حداني الى بابك . ويحسب معتصم بك ظفر بفائدة وغنيمة ، ولجء الى موئل وسند .

دخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب في حمالات^(٤) لزمته ، فقال له : قد عظم شأنك عن أن يستعان بك أو يستعان عليك ، ولست تصنع شيئاً من المعروف إلا وأنت أكثر منه ، وليس العجب أن تفعل ، وإنما العجب من ألا تفعل .

(١) يقال : نغضت أسنانه أى قلقت وتحركت . (٢) الحاكّة : السن لأنها تحك صاحبها أو تحك ما تأكله ، صفة غالبية . (٣) في الأصل : « وقع » . (٤) الجمالات جمع حمالة (بالفتح) وهى : ما يحملها الإنسان من دية أو غرامة .

قال الحمدوني في الحسين بن أيوب والى البصرة :

قُلْ لَأَبْنِ أَيُّوبَ قَدْ أَصْبَحَتْ مَأْمُولًا * لَا زَالَ بِأَبْكَ مَغْشِيًّا وَمَأْمُولًا
إِنْ كُنْتَ فِي عُطْلَةٍ فَالْعَذْرُ مُتَّصِلٌ * وَصِلْ إِذَا كُنْتَ بِالْسلْطَانِ مَوْصُولًا
شَرُّ الْأَخْلَاءِ مَنْ وَلَّى قَفَاهُ إِذَا * كَانَ الْمَوْلَى وَأَعْطَى الْبِشْرَ مَعْرُولًا
مَنْ لَمْ يُسَمِّنْ جَوَادًا كَانَ يَرْكَبُهُ * فِي الْخَصْبِ قَامَ بِهِ فِي الْجَدْبِ مَهْرُولًا
إِفْرُغْ لِحَاجَاتِنَا مَا دَمَتْ مَشْغُولًا * لَوْ قَدْ فَرَّغْتَ لَقَدْ أَلْفَيْتَ مَبْذُولًا

وقال آخر :

وَلَا تَعْتَذِرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا * تَنَاطُ بِكَ الْآمَالُ مَا أَتَّصِلُ الشُّغْلُ
وَأَتَى رَجُلٌ بَعْضَ الْوَلَاةِ ، وَكَانَ صَدِيقَهُ ، فَتَشَاغَلَ عَنْهُ ، فَتَرَاءَى لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ :
اعْذِرْنِي فَإِنِّي مَشْغُولٌ ، فَقَالَ : لَوْلَا الشُّغْلُ مَا أَتَيْتُكَ .

وكتب رجل إلى صديقي له : قَدْ عَرَضْتُ قَبْلَكَ حَاجَةً ، فَإِنْ نَجَحْتُ بِكَ
فَالْفَائِي مِنْهَا حَظِّي وَالْبَاقِي حَظُّكَ ، وَإِنْ تَعَذَّرْتُ فَالْخَيْرُ مَظْنُونٌ بِكَ وَالْعَذْرُ مُقَدَّمٌ لَكَ .
وفي فصل آخر : قَدْ عَذَرَكَ الشُّغْلُ فِي إِغْفَالِ الْحَاجَةِ وَعَذَرَنِي فِي إِنْكَارِكَ .
وفي فصل آخر : قَدْ كَانَ يَجِبُ إِلَّا أَشْكُو حَالِي مَعَ عِلْمِكَ بِهَا ، وَلَا أَقْتَضِيكَ عِمَارَتَهَا
بِأَكْثَرِ مِنْ قُدْرَتِكَ عَلَيْهَا ، فَلَرَبَّمَا نِيلَ الْغِنَى عَلَى يَدَيَّ مَنْ هُوَ دُونَكَ بِأَدْنَى مِنْ حُرْمَتِي .
وما أَسْتَصْغِرُ مَا كَانَ مِنْكَ إِلَّا عَنْكَ ، وَلَا أَسْتَقِيلُهُ إِلَّا لَكَ .

وقال آخر : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُصَفِّدَ يَدًا بِصَنِيْعَةٍ بَاقٍ ذِكْرُهَا جَمِيلٌ فِي الدَّهْرِ أَثَرُهَا ،
تَعْتِمُ غِرَّةَ الزَّمَانِ فِيهَا وَتُبَادِرُ قُوَّةَ الْإِمْكَانِ بِهَا ، فَافْعَلْ .

قَدِمَ عَلَى زِيَادٍ نَفَرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَامَ خُطْبِيهِمْ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! نَحْنُ ،
وَإِنْ كَانَتْ تَزَعَّتْ بَنَا أَنْفُسُنَا إِلَيْكَ وَأَنْضَيْنَا رَكَائِبَنَا نَحْوَكَ أَلْتَمَسْنَا لِفَضْلِكَ عَطَائَكَ ،

عالمون بأنه لا مانع لما أعطى الله ولا معطى لما منع ؛ وإنما أنت أيها الأمير خازن ونحن رائدون ، فإن أُذِنَ لك فأعطيت حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم يُؤذَنَ لك فمنعت حمدنا الله وعذرناك ، ثم جلس ؛ فقال زياد لجلسائه : تالله ما رأيت كلاماً أبلغ ولا أوجز ولا أنفع حاجةً منه ، ثم أمر لهم بما يُصلحهم .

دخِلَ العتّابيُّ على المأمون ، فقال له المأمون : خُبرتُ بوفاتِكَ فغمّتنِي ، ثم جاءتنِي وفادتُكَ فسرتنِي ؛ فقال العتّابيُّ : لو قُسمَت هذه الكلماتُ على أهل الأرض لوسعتهم ؛ وذلك أنه لا دينَ إلا بِكَ ولا دُنْيَا إلا معكَ ؛ قال : سَلْنِي ، قال : يَدَاكَ بالعطية أطلق من لساني .

قال نُصَيْبُ لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، كبرتُ سِنِي وَرَقِّ عَظْمِي ، وبليتُ بِنِيَّاتٍ نَفَضْتُ عَلَيْهِنَّ مِنْ لَوْنِي فَكَسَدَنَ عَلَيَّ ؛ فَرَّقَ لَهُ عَمْرُو وَوَصَلَهُ .

سَأَلَ رَجُلٌ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَاعْتَلَّ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُ الْأَمِيرَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ؛ قَالَ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُكَ تُحِبُّ مَنْ لَكَ عِنْدَهُ حَسَنُ بَلَاءٍ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَعَلَّقَ مِنْكَ بِحَبْلِ مَوَدَّةٍ .

لَزِمَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بَابَ بَعْضِ مَلُوكِ الْعِجَمِ دَهْرًا فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ ، فَتَلَطَّفَ لِلْحَاجِبِ فِي إِيصَالِ رُقْعَةٍ فَفَعَلَ ، وَكَانَ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَسْطُرٍ :

السطرُ الأوَّلُ "الأمْلُ وَالضَّرُورَةُ أَقْدَمَانِي عَلَيْكَ" .

والسطرُ الثَّانِي "وَالْعُدْمُ لَا يَكُونُ مَعَهُ صَبْرٌ عَلَى الْمُطَالَبَةِ" .

والسطرُ الثَّالِثُ "الْإِنْصِرَافُ بِلا فائدةٍ شِمَاتَةٍ لِلْأَعْدَاءِ" .

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥ طبع بولاق) «سأل رجل خالدا القسري حاجة الخ» .

والسطر الرابع ^(١) « فإما نعم مشيرة ، وإما لا مريحة » . فلما قرأها وقع في كل سطر : زه ، فأعطى ستة عشر ألف مثقال فضة .

دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم ، فقال له : أتيتك في حاجة رفعتها الى الله قبلك ، فإن تقضيها حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم تقضيها حمدنا الله وعذرناك ، فأمر له بحاجته . وقال له أيضا في حاجة أخرى : إني أتيتك في حاجة ، فإن شئت قضيتها وكنا جميعا كريمين ، وإن شئت منعتها وكنا جميعا لئيمين ^(٢) .

أتى رجل خالد بن عبد الله في حاجة ، فقال له : أتكلم بجرأة اليأس أم بهيبة الأمل ؟ قال : بل بهيبة الأمل ، فسأله حاجته فقضاها .

وقال أبو سمالك لرجل : لم أضن وجهي عن الطآب اليك ، فضمن وجهك عن ردّي ، وضعتني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك .

قال المنصور لرجل : ما مالك ؟ قال : ما يكف وجهي ويعجز عن برّ الصديق فقال : لقد تلطفت للسؤال ، ووصله .

وقال المنصور لرجل أحمد منه أمرا : سل حاجتك فقال : يبقيك الله يا أمير المؤمنين ، قال : سل ، فليس يمكنك ذلك في كل وقت ، فقال : ولم يا أمير المؤمنين !

(١) كلمة « زه » في لغة الفرس معناها أحسنت . وفي العقد الفريد ج ١ ص ١٠٠ « فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها » . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠) بعد هذا الكلام تفسير لهذه الجملة هذا نصه : « أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضاؤها وكنت أنا كريما بسؤالك إياها لأنني وضعت الطلب في موضعها ، فإن لم تقضيها كنت أنت لئima بمنعك وكنت أنا لئima بسوء اختيارك لك » والجزء الأخير من هذا الشرح يشبه قول أبي تمام :

فوالله لا أستقصر عمرَكَ ولا أرهبُ بَحْثَكَ ولا أغتمُ مالَكَ وإنَّ سؤالَكَ لَزَيْنٌ، وإنَّ عطاءَكَ لَشَرَفٌ، وما على أحدٍ بذل وجهه اليك نقصٌ ولا شَيْنٌ، فأمر حتى ملئُ فُوهُ دُرًّا .

قال أبو العباس لأبي دُلَامَة : سَلْ حاجتَكَ . قال : كَلْبٌ ؛ قال : لك كلب .
 قال : ودابةٌ أتصيدُ عليها ؛ قال : ودابة . قال : وغلامٌ يركبُ الدابةَ ويصيدُ ؛ قال :
 وغلام . قال : وجاريةٌ تُصَلِّحُ لنا الصيدَ وتُطْعِمُنَا منه ؛ قال : وجارية . قال :
 يا أمير المؤمنين ، هؤلاء عِيَالٌ ولا بدُّ من دارٍ ؛ قال : ودار . قال : ولا بدُّ من ضَيْعَةٍ
 هؤلاء ؛ قال : قد أقطعتك مائةَ جَرِيْبٍ عامرةٍ ومائةَ جَرِيْبٍ غامرة . قال : وأى
 شيءٍ الغامرة ؟ قال : ليس فيها نباتٌ . قال : فأنا أقطِّعُك ألفاً ونحسمائةَ جَرِيْبٍ من
 فيافي بني أُسَدٍ ؛ قال : قد جعلتها [كُلُّها لك] ^(١) عامرة . قال : أقبِلْ يدَكَ ؛ قال :
 أما هذه فدَعْها . قال : ما منعتُ عِيَالِي شيئاً أهونَ عليهم فقدَّأُ منها ^(٢) .

قال عبد الملك لرجل : مالى أراك وإِجماً لا تَنطِقُ ؟ ^(٣) قال : أشكو اليك ثِقَلَ
 الشَّرَفِ ؛ قال : أعينوه على حَمَلِهِ .

رأى زياد على مائدته رجلاً قبيحَ الوجه كثيرَ الأكل ، فقال له : كم عِيَالُكَ ؟
 قال : تسع بنات ؛ قال : أين هنَّ منك ؟ قال : أنا أجملُ منهنَّ وهنَّ آكلُ مني ؛
 قال : ما أحسنَ ما تَلَطَّفْتَ فى السؤالِ وفَرَضَ له وأعطاه .

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٩٨ طبع بولاق ، وقد ذكر هذه الحكاية صاحب الأغاني

فى أخبار أبي دلامة بتوسع عما هنا بالجزء التاسع ص ١٢١ طبع بولاق . (٢) فى الأصل :

« فقدأ منه » وفى الأغاني : « ما منعت عيالى شيئاً أقل ضرراً عليهم منها » . (٣) الواجم :

الذى اشتدَّ حزنه حتى أمسك عن الكلام ، وقد ساق صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥) هذه
 الحكاية بأوسع مما هنا .

وقفت عجوز على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قلة الحرذان ؛ قال :
ما أحسن هذه الحكاية ! املأوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا .

وقال بعض القصاص في قصصه : اللهم أقل صبياننا وأكثر حرذاننا .

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الولي بالولي والجار بالجار ، فدخل عليه رجل
وعلى رأسه وصيفة رقيقة ، فنظر اليها ، فقال سليمان : أَعْجَبْتُكَ ؟ قال : بَارَكَ اللهُ لِأَمِيرِ
المؤمنين فيها ! قال : هات سبعة أمثال في الأست وخذها ، فقال : « صر عليه الغزو
آسته » . قال : واحد . قال : « آستُ البائن أعلم » ، قال : آثان . قال : « آست
لم تُعوِّد المجمر تَحْتَرِقُ » ، قال : ثلاثة . قال : الحر يعطى والعبد يجمع بآسته » ، قال :
أربعة . قال : « آستي أخبثي » ! قال : خمسة . قال : « عاد سلاها في آستها » ،

- ١٠ (١) الوصفة : الجارية ، والرقيقة (بالضم) : الحسنة الجميلة . (٢) يضرب لمن ضيق عليه
تصرفه أمره . (٣) البائن : الذي يكون عند حلب الناقة من جانبا الأيسر ويقال للذي من الجانب
الآخر : المعلى أو المستعلى ، وهو الذي يعلى العلبة الى الضرع . وأصل المثل أن رجلا أضل إبله ووجدها في مرة
فأستنجد بالحارث بن ظالم المزني فردّها عليه إلا ناقة كانت عند رجلين يحلبانها ، فقال لهما الحارث : خلّيا
عنها فليست لكما ، وأهوى اليهما بالسيف فضرط البائن وقال المعلى : والله ما هي لك ، فقال الحارث :
« آست البائن أعلم » فأرسلها مثلاً : يضرب لمن ولي أمرا وصلى به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به ، وقيل :
يضرب لكل ما ينكر وشاهده حاضر . (٤) يضرب لمن حصل في نعمة لم يعهدها . وأصله أن ماوية
بنت عفزر كانت ملكة وكانت تزوج من أرادت ، وربما بعثت غلمانها لياتوها بأوسم من يجردونه بالحيرة ،
فجاءوها بجاتم الطائي ؛ فقالت له : أستقدم الى الفراش ؛ فقال هذه الجملة . أراد : إني أعرابي متقهّل
(يابس الجلد متقشف) لم أعود الطيب والترف . (٥) الذي في الأمثال للبداني : « الحر يعطى
والعبد يألم قلبه » وقال : يعنى أنّ اللئيم يكره ما يجود به الكريم . وقال في فرائد اللآل : يضرب لمن
ييجل ويأمر غيره بالبخل . (٦) لم يذكر هذا المثل المبداني ، وذكره الزمخشري في كتابه
المستقصى في أمثال العرب ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ أدب ؛
وقال في شرحه : « يضرب في وضع الشيء في غير موضعه ، وأصله أن سعد بن زيد مناة زوج أخاه
مالكا التوار بنت حل بن عدي رجاء أن يولد له ، وكان محمّقا ، فانطلق به الى بيت العروس فأبى أن يلج البيت ،
فقال له : « لج مال ولجت الزجم » (أي القبر) ؛ حتى وج ونعلاه معلقتان في ذراعيه ، فقال له : ضع
نعليك ، فقال : ساعداي أحرز لهما ، ثم أتى بطيب فجعل يجعله في آسته ، فقالوا له في ذلك ، فقال : « آستي
أخبثي » . (٧) السلى : الجملة التي يكون فيها الولد ، من الناس والمواشي .

قال : ستة . قال : « لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت »^(١) ؛ قال : ليس هذا من ذلك ؛ قال : أخذتُ الجارَ بالجارِ كما يفعلُ أمير المؤمنين ! قال : خذها .

قال يزيد بن المهلب لسايمان في حمالة^(٢) كتبه فيها : يا أمير المؤمنين ، والله لحمدُها خيرُ منها ، ولذِكْرُها أحسنُ من جمعِها ، ويدي مبسوطةٌ بيدك نأبسطُها لسؤالها .

قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبي سفيان أشياء كان يُجْريها عليهم ، لتباعدِ كان بينه وبين خالد بن يزيد بن معاوية ؛ فدخل عليه عمرو بن عتبة فقال : يا أمير المؤمنين ، أدنى حقك مُتَعَبٌ وتَقْصِيهِ فادِحٌ ، ولنا مع حقك علينا حقٌ عليك ، لقرابتنا منك وإكرام سلفنا لك ؛ فانظر إلينا بالعين التي نظروا بها إليك ، وضعنا بحيث وضعتنا الرِّحْمُ منك ، وزدنا بقدر ما زدك الله ؛ فقال : أفعل ، وإنما يستحق عطيتي من أستعطاها ، فأما من ظن أنه يستغنى بنفسه فسَنَكِلُهُ إليها ، يعرض بخالد ؛ فبلغ ذلك خالدا ، فقال : أما عمرو فقد أعطى من نفسه أكثر مما أخذ ، أو بالحرمان يتهددني ! يدُ الله فوق يده مانعةٌ ، وعطاؤه دونه مبدول .

أتى رجل يزيد بن أبي مسلم برُقعةٍ يسأله أن يرفعها إلى الحجّاج ؛ فنظر فيها يزيد فقال : ليست هذه من الحوائج التي تُرفع إلى الأمير ؛ فقال له الرجل : إني أسألك أن ترفعها ، فاعلمها توافق قدراً فيقضّيها وهو كارهٌ ؛ فأدخلها وأخبره بمقالة الرجل ؛ فنظر الحجّاج في الرُقعة ، وقال ليزيد : قل للرجل : إنها وافقت قدراً وقد قضيناها ونحن كارهون .

(١) أصله أن رجلاً كان في سفر ومعه امرأته ، وكانت عاركا (حائضا) فطهرت ، وكان معها ماء يسير فأغتسلت ، فلم يكفها لغسلها وأنفدت الماء فبقيا عطشانين ، فقال لها ذلك .

(٢) الحمالة (بالفتح) : ما يُحمَله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة .

(١)

دخل بعض الشعراء على بشر بن مروان فأنشده :

أَغْفَيْتُ عِنْدَ الصَّبْحِ نَوْمَ مَسْهَدٍ * فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِي بُولِيدَةٍ * مَغْنُوجَةٍ حَسَنٍ عَلَى قِيَامُهَا^(٢)
وَبَيْدَرَةٍ حُمِلَتْ إِلَى وَبَغْلَةٍ * دَهْمَاءَ مُشْرِفَةٍ يَصِلُ^(٣) لِحَامُهَا^(٤)
فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ يُثَبِّتَ جَنَّةً * عِوَضًا يُصِيبُكَ بَرْدُهَا وَسَلَامُهَا

فقال له بشر : في كل شيء أصبت إلا في البغلة فإني لا أملك إلا شهبًا : فقال :
إني والله ما رأيت إلا شهبًا .

قال رجل لمعاوية : أَقْطِعْنِي الْبَحْرَيْنِ ، قال : إني لا أَصِلُ إِلَى ذَلِكَ . قال :
فَأَسْتَعِمَّنِي عَلَى الْبَصْرَةِ ، قال : مَا أُرِيدُ عَزْلَ عَامِلِهَا . قال : تَأْمُرُ لِي بِالْفَيْنِ ، قال :
ذَلِكَ لَكَ . فَقِيلَ لَهُ : وَيَحْكُ ! أَرْضَيْتَ بَعْدَ الْأَوَّلَيْنِ بِهَذَا ! قال : أَسَكْتُوا لَوْلَا الْأَوَّلَيَانِ
مَا أُعْطِيتُ هَذِهِ .

جاء أعرابي إلى بعض الكتاب فسأله ، فأمر الكاتب غلامه بيمينه أن يعطيه
عشرة دراهم وقيصًا من قُمُصِهِ ، فقال الأعرابي :

حَوَّلَ الْعَقْدَ بِالشَّمَالِ أَبَا الْأَصْدِ * سَبَغَ وَأَضْمَمَ إِلَى الْقَمِيصِ قَمِيصًا

إِنْ عَقَدَ الْيَمِينَ يَقْصُرُ عَنِّي * وَأَرَى فِي قَمِيصِكُمْ تَقْلِيصًا^(٥)

يقول : حَوَّلَ عَقْدَ الْيَمِينِ وَهُوَ عَشْرَةٌ إِلَى عَقْدِ الشَّمَالِ وَهُوَ مِائَةٌ .

(١) هو الحكم بن عبادل كما في الأغاني (ج ٢ ص ٥٧ ؛ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) لم نعر
على هذه الصيغة في معاجم اللغة ، والذي بها : امرأة مغناج وغنجة : حسنة الدل ؛ ووجد هذا الشعر منسوبًا
إلى حمزة بن بيض في الأغاني (ج ١٥ ص ٢٣ طبع بولاق) وروايته مختلفة عن روايتي الأغاني الأولى وهذا
الكتاب ، وفيه موسومة بدل مغنوجة . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ١٠٣) « مغنوجة » . (٣) مشرفة :
سريعة العدو ، والمشرقة أيضا : العالية المرتفعة . (٤) يصل : يصوت . (٥) كان للعرب
حساب غير ما هو معروف اليوم ولهم في ذلك اصطلاحات في أصابع اليد ، فالعشرة يُدَلُّ عليها بجعل السبابة
في اليد اليمنى حلقة فاذا أريد المائة جعلت السبابة اليسرى حلقة وغير ذلك (انظره بتفصيل في الجزء الثالث
من كتاب بلوغ الأرب للآلوسي ص ٣٩٦ — ٤٠٢ طبع بغداد) .

سأل أعرابي فقال في مسأله : لقد جُعتُ حتى أكلتُ النوى المحرق ولقد
مَشَيْتُ حتى آنتعلتُ الدَّمَّ وحتى سقط من رجلى بَخَصْ^(١) لحيم وحتى تمنيت أن وجهي
حذاء لِقَدَمي^(٢) ، فهل من أخ يرحمنا ؟ .

وسأل آخر قوماً فقال : رَحِمَ اللهَ امرأ لم تَمُجِّحْ أذناه كلامي ، وقَدِمَ لنفسه معاذاً
من سوء مُقامي ، فإن البلاد مُجْدِبَةٌ ، والحال مُصْعِبَةٌ ، والحياء زاجرٌ يمنع من كلامكم ،
والعدم عاذرٌ يدعو إلى إخباركم ، والدعاء أحدُ الصَّدَقَتَيْنِ فَرَحِمَ اللهَ امرأ أمر بمير^(٣) ودعا
بخير ، فقال له رجل من القوم : يَمَنَّ الرجل ؟ فقال : اللهم غَفراً مَن لا تَخْشُرُك
جهالته ، ولا تَنْفَعُكَ معرفته ؛ ذُلَّ الأَكْتَسَابُ ، يَمْنَعُ من عِزِّ الأَنْتَسَابِ .

سأل أعرابي رجلاً فخرمه ؛ فقال : عَلَامَ تَحْرِمُنِي ! فوالله ما زِلْتَ قَبْلَهُ لَأُمْلِي
لا تَلْفُتْنِي عنكَ المطامعُ ، فإن قلت : قد أحسنتُ بدءاً ، فما يُنْكِرُ لِمِثْلِكَ أن يُحْسِنَ
عَوْداً ! .

قال ابنُ أبي عَتِيقٍ : دخلتُ على أشعب وعنده متاعٌ حسن وأثاثٌ ، فقلت له :
ويحك ! أما تستحي أن تسأل وعنده ما أرى ! فقال : يا فديتك ! معي والله من
لطيف السؤال ما لا تطيب نفسي بتركه .

قال الصَّلَتَانِ العَبْدِيَّ :

نَروح ونغدو لحاجتنا * وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجته * وتبقى له حاجة ما بقي
إذا ليلة هَرَمَتْ يومها * أتى بعد ذلك يوم قتي

(١) البخص بالتحريك : لحم القدم . (٢) في الأصل : « حذاء لدمي » . (٣) في المحاسن
والمساوي للبيهقي طبع أوروبا ص ٦٣١ : « مسغبة » وقد رويت هذه الحكاية فيه باختلاف عما هنا .
(٤) كذا في المحاسن والمساوي . وفي الأصل : « عار » . (٥) المير : الطعام .

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سَنَحْتُ^(١) بها * جعلتها للتي أخفيتُ عنوانا
كتب دُعْبُلُ^(٢) الى بعض الأمراء :

جئتُك مستشفِعًا بلا سبب * اليك إلا بجرمة الأدب^(٣)
فأقِصْ ذمامي فإنني رجل * غير مُلِحٍّ عليك في الطلب

من يعتمد في الحاجة ويستسعى فيها

روى هشيم عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي مصعب^(٤)
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه» .
وفي حديث آخر : «اعتمد لحوائجك الصُّباح الوجوه ، فإن حسن الصورة أول
بعملة تتلقاك من الرجل» .

قالت امرأة من ولد حسان بن ثابت :

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قَدَمًا ولا تَسَلْ * فتى ذاقَ طعمَ العيشِ منذُ قريب

ومن المشهور قول بعض المحدثين :

حسنُ ظنِّ^{*} إليك أكرمك الله دعاني فلا عدمت الصِّلاحًا

ودعاني إليك قول رسول الله إذ قال مُفَصِّحًا^{*} إفصاحًا

إن أردتم حوائجًا عند قوم * فتتقوا لها الوجوه الصِّباحًا

(١) سَنَحْتُ بكذا : عَرَضْتُ ولحنت ، وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت في مادة « سَنَحَ »

ونسبه لسوار بن المضرب . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٨٩ طبع بولاق) : « مسترفدا » .

(٣) كذا في تهذيب التهذيب . وفي الأصل : « جعيفر » وهو تحريف . (٤) في الجامع الصغير :

« اطلبوا الخير الى حسان الوجوه » .

وقال آخر :

إنا سألنا قومنا نخيرهم * من كان أفضلهم أبوه الأول
أعطى الذى أعطى أبوه قبله * وتبخلت أبناء من يتبخل
وقال خالد بن صفوان : فوت الحاجة خير من طابها الى غير أهلها ، وأشد
من المصيبة سوء الخلف منها .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال مسلم بن قتيبة : لا تطلبن حاجتك الى
كذاب فإنه يقتربها وهي بعيد ويبعدا وهي قريب ، ولا الى أحق فإنه يريد أن
ينفعك فيضرك ، ولا الى رجل له عند من تسأله الحاجة مأكلة ، فإنه لا يؤثرك على نفسه .
أنشدنا الرياشي لأبي عؤن :

ولست بسائل الأعراب شيئاً * حمدت الله إذ لم يأكلوني
وقال ميمون بن ميمون : لا تطلبن الى لئيم حاجة ، فإن طلبت فأجله حتى
يروض نفسه .

هارون بن معروف عن حمزة عن عثمان بن عطاء ، قال : عطاء الحوائج عند
الشباب أسهل منها عند الشيوخ ، ثم قرأ قول يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ
اللَّهُ لَكُمْ ﴾ وقول يعقوب ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .
وقال بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عماراً ثم ثم
فقي لا يبيت على دمنية * ولا يشرب الماء إلا يدم
يلد العطاء وسفك الدماء * فيغدو على نعم أو تقم

(١) بعيد وقريب بوصف بهما الذكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب
من المحسنين) . (٢) في الأغاني (ج ٣ ص ٦٤ طبع بولاق) : * إذا دهمتك عظام الأمور *

وقال أبو عبيد الكاتب : لا تُنزل مُهمَّ حوائجك بالحيّد اللسان ، ولا المتسرع الى الضمان ، فإن العجز مقصورٌ على المتسرع ، ومن وعد ما يعجز عنه فقد ظلم نفسه وأساء الى غيره ، ومن وثق بجودة لسانه ظن أن في فصل بيانه ما ينوب عن عذره وأن وعده يقوم مقام إنجازهِ . وقال أيضا : عليك بذى الحَصير البكي^(١) ، وبذى الحليم الرضى^(٢) ، فإن مثقالاً من شدة الحياء والعِي^(٣) ، أنفعُ في الحاجة من قنطارٍ من لسان سليط وعقل ذكي ، وعليك بالشهم النذب الذي إن عجزَ أياسك ، وإن قدرَ أطعمك .

قال بعض الشعراء :

لا تَطْلُبَنَّ الى لئيم حاجة * وأَقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْقَاعِدِ

يا خادعَ البُخلاءِ عن أموالهم * هِمَاتٍ ! تَضِرُّبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ

وقال آخر :

إِذَا الشَّافِعُ اسْتَقْصَى لَكَ الْجُهْدَ كُلَّهُ * وَإِنْ لَمْ تَتَلَّ نُجْحًا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ

وقال آخر :

وَإِذَا أَمْرُؤُ اسْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً^(٥) * مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّمَا مِنْ مَالِهِ

ذكر أعرابي رجلاً ، فقال : كان والله إذا نزلت به الحوائج قام إليها ثم قام بها ،

ولم تقعد به عِلَّاتُ النفوس .

قال الشاعر :

مَا إِنْ مَدَحْتُكَ إِلَّا قُلْتَ تَخْدَعُنِي * وَلَا اسْتَعْتُكَ إِلَّا قُلْتَ مَشْغُولٌ

ابن عائشة قال : كان شبيب بن شيبه رجلاً شريفاً يَفْزَعُ اليه أهل البصرة

في حوائجهم ، فكان إذا أراد الركوب تناول من الطعام شيئاً ثم ركب ، ف قيل له :

(١) البكي : القليل الكلام . (٢) الحليم : السجبة والطبيعة . (٣) النذب : الخفيف

في الحاجة . (٤) هو أبو تمام الطائي . (٥) كذا في ديوانه . وفي الأصل : «أهدى الى» .

إنك تُبَاكِرُ الغداءَ ! فقال : أَجَلْ ! أَطِغِيْ بِهِ فَوْرَةَ جَوْعِي ، وَأَقْطَعْ بِهِ خُلُوفَ فَمِي ^(١) ، وَأَبْلُغْ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِي ، نَحْذِ مِنْ الطَّعَامِ مَا يَذْهَبُ عَنْكَ النَّهَمُ ، وَيُدَاوِي مِنْ الْخَوَى .
قال بعضُ المحدثين :

لَعَمْرُكَ مَا أَخْلَقْتُ وَجْهًا بِذِلَّتِهِ * إِلَيْكَ وَلَا عَرَضَتْهُ لِلْعَايِرِ
فَقِي وَفَرْتُ أَيْدِي الْحَامِدِ عَرَضَهُ * وَخَلَّتْ ^(٢) لَدَيْهِ مَالَهُ غَيْرَ وَافِرِ
وقال آخر :

أَتَيْتُكَ لَا أُدِلِّي بِقُرْبِي وَلَا يَدِ * إِلَيْكَ سَوَى أَنِّي بِجُودِكَ وَائِقُ
فَإِنْ تَوَلَّيْتُ عُرْفًا أَكُنْ لَكَ شَاكِرًا * وَإِنْ قَلَّتْ لِي عَذْرًا أَقُلْ أَنْتَ صَادِقُ
وقال رجلٌ لآخر في كلامه : أَيْدِينَا مَمْدُودَةٌ إِلَيْكَ بِالرَّغْبَةِ ، وَأَعْنَاقُنَا خَاضِعَةٌ لَكَ
بِالذَّلَّةِ ، وَأَبْصَارُنَا شَاخِصَةٌ إِلَيْكَ بِالشُّكْرِ ، فَأَفْعَلْ فِي أُمُورِنَا حَسَبَ أَمَلِنَا فِيكَ ، وَالسَّلَامَ . ١٠

الإجابة الى الحاجة والرد عنها

قال رجل للعباس بن محمد : إِنِّي أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ صَغِيرَةٍ ؛ قَالَ : أَطْلُبْ لَهَا
رَجُلًا صَغِيرًا . وَهَذَا خِلَافُ قَوْلِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ : إِنِّي
أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : هَاتَهَا ، إِنَّ الرِّجْلَ لَا يَصْغُرُ عَنْ
كَبِيرِ أَخِيهِ وَلَا يَكْبُرُ عَنْ صَغِيرِهِ . ١٥

قال رجل للأحنف : أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ لَا تَشْكِيكَ وَلَا تَرَزُّوكَ ^(٣) ، قَالَ : إِذَا لَا تُقْضَى !
أَمْثَلِي يَوْتِي فِي حَاجَةٍ لَا تَشْكِي وَلَا تَرَزُّأُ ! .

(١) الخلوف : رائحة الفم . (٢) في العقد الفريد : (ج ١ ص ٩٠) :
* عَلَيْهِ وَخَلَّتْ مَالَهُ غَيْرَ وَافِرٍ * (٣) لا تشكيك : لا تنال منك ، من نكي العذر نكايته :
٢٠ أصاب منه . ولا ترزوك : لا تصيب من مالك شيئاً .

جاء قومٌ الى رجل يُكَلِّمونه في حاجةٍ لهم ومعهم رَقَبَةٌ ، فقال لِرَقَبَةٍ : تضمِّنُونَهَا ؟
فقال له رَقَبَةٌ : جئناكَ نطلبُ منكَ فضلَ التوسُّعِ فأدخلتَ علينا همَّ الضَّمانِ .
أتى عمرو بن عُبيد حفص بن سالم ، فلم يسأله أحدٌ من حَشَمِهِ شيئاً إلا قال :
لا ؛ فقال عمرو : أَقِلَّ من قول : « لا » فإنَّ « لا » ليست في الجنة .
كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا سُئِلَ ما يَجِدُ أعطى ، وإذا سُئِلَ ما لا يجد
قال : « يصنع الله » .

قال عمر بن أبي ربيعة :

إنَّ لي حاجةً اليكَ فقالت * بين أذني وعاتقي ما تُريدُ
أى قد تضمَّنْتُه لك فهو في عنقي .

سأل رجلٌ قوماً ، فقال له رجل منهم : اللهم هذا سائلُنا ونحن سُؤالُكَ ، وأنت
بالمغفرة أجودُ منا بالعطاء ، ثم أعطاه .

سأل رجلٌ رجلاً حاجةً ، فقال : اذهب بسلام ، قال السائلُ : أنصفنا من
رَدِّنا في حوائجنا إلى الله عزَّ وجلَّ .

قال رجلٌ لثَمَامَةَ : إنَّ لي اليكَ حاجةً ، قال ثَمَامَةُ : ولى اليكَ حاجةٌ ، قال :
وما هى ؟ قال : لا أذكُرها حتى تتضمَّنَ قضاءها ، قال : قد فعلتُ ، قال : حاجتى
ألا تسألنى هذه الحاجة ، قال : رجعتُ عما أعطيتُكَ ، قال ثَمَامَةُ : لكنى لا أردُ
ما أخذتُ .

قال الجاحظ : تمشَّى قومٌ الى الأصمعيّ مع رجلٍ اشترى منه ثمرةً نخله ، فناله
فيها خُسرانٌ وسأله حسنَ النظر له ، فقال الأصمعيّ : أسمعُكم بالقِسْمَةِ الضَّيْزَى !^(١) هى

ما تريدون شيخكم عليه ، اشترى مني على أن يكون الحسران على والربح له ! اذهبوا
فأشتروا لي طعام السواد على هذا الوجه والشرط . ثم قال : ها هنا واحدة هي لكم
دونى ، ولا بد من الاحتمال لكم اذ لم تحتملوا الى ، هذا ما مشيتم معه الا وانتم
توجبون حقه ويحبون رفقته ، ولو كنت اوجب له مثل الذى توجبون لقد كنت
أغنيته عنكم ، ولكن لا أعرفه ولا يضرتنى بحق ، فهلم فلتوزع هذا الحسران بيننا
بالسواء ، فقاموا ولم يعودوا ، وأيس التاجر فخرج له من حقه .

قال يزيد بن عمير الأسدي لبنيه : يا بني ، تعلموا الرد فإنه أشد من الإعطاء ،
ولأن يعلم بنو تميم أن عند أحدكم مائة ألف درهم أعظم له فى أعينهم من أن يقسمها
فيهم ، ولأن يقال لأحدكم : بخيل وهو غنى خير له من أن يقال : سخي وهو فقير .

وقال إسحاق بن إبراهيم :

النصر يُقرئك السلام وإنما * أهدى السلام تعرضاً للطمع
فأقطع لباتته بئس عاجل * وأرخ فؤادك من تقاضى الأضالع
ذكر ثمامة محمد بن الجهم فقال : لم يطمع أحدا قط فى ماله إلا ليشغله بالطمع
فيه عن غيره ، ولا شفع لصديق ولا تكلم فى حاجة متحريم به ، إلا ليأقن المسئول حجة
منع ، وليفتح على السائل باب حرمان .

كتب سهل بن هارون الى موسى بن عمران :

إن الضمير اذا سألتك حاجة * لأبى الهذيل ^(٣) خلاف ما أبدي
فأمنعه روح اليأس ثم أمدد له * حبلى الرجاء لمخلف الوعد

(١) السواد : الريف . (٢) فى الأصل : « عمر » والتصويب عن السمعاني .

(٣) هو أبو الهذيل العلاف أحد رؤوس المعتزلة ، وكان يبخل ، (انظر البخلاء ج ٦٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ طبع أوروبا)

وَأَلْبَسَ لَهُ كَنْفًا لِيَحْسُنَ ظَنُّهُ * فِي غَيْرِ مَنَفْعَةٍ وَلَا رِفْدٍ
حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةُ جَدِّهِ * وَعِنَاؤُهُ فَأَجَبَهُهُ بِالرَّدِّ

قِيلَ لِحُبِّ الْمَدِينَةِ : مَا الْجُرْحُ الَّذِي لَا يَنْدِمُ ؟ قَالَتْ : حَاجَةُ الْكَرِيمِ إِلَى اللَّئِيمِ
ثُمَّ يَرُدُّهُ . قِيلَ لَهَا : فَمَا الذَّلُّ ؟ قَالَتْ : وَقُوفُ الشَّرِيفِ بِبَابِ الدُّنْيَا ثُمَّ لَا يُؤْذَنَ
لَهُ . قِيلَ : فَمَا الشَّرْفُ ؟ قَالَتْ : اعْتِقَادُ الْمَنِّ فِي رِقَابِ الرِّجَالِ .

قَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ : مَا سَأَلَنِي قَطُّ أَحَدٌ حَاجَةً فَرَدَدْتُهُ إِلَّا رَأَيْتُ الْغَنَى فِي قَفَاهُ .
رَوَى عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
أَعْلَمْتُ أَنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ ، وَأَنَّ الْيَأْسَ غِنًى ، وَأَنَّ الْمَرْءَ إِذَا يَأْسَ مِنْ شَيْءٍ أَسْتَغْنَى عَنْهُ .
وَقَالَ آخَرُ فِي كَلَامِهِ لَهُ : كُلُّ مَمْنُوعٍ مُسْتَغْنَى عَنْهُ بغيره ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَا عِنْدَهُ فَفِي
الْأَرْضِ غِنًى عَنْهُ .

وَقَدْ قِيلَ : أَرْخَصَ مَا يَكُونُ الشَّيْءُ عِنْدَ غَلَاثِهِ .
وَقَالَ بَشَّارٌ : * وَالْدَّرُّ يُتْرَكُ مِنْ غَلَاثِهِ * .

قَالَ شَرِيحٌ : مَنْ سَأَلَ حَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الرَّقِّ ، فَإِنْ قَضَاهَا الْمَسْئُولُ
أَسْتَعْبَدَهُ بِهَا ، وَإِنْ رَدَّ عَنْهَا رَجَعَ حُرًّا وَهُمَا ذَلِيلَانِ : هَذَا بِذُلِّ الْبَخْلِ ، وَهَذَا بِذُلِّ الرَّدِّ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ سَأَلَكَ لَمْ يُكْرَمِ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ ، فَأَكْرَمَ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ .
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرُدُّ ذَا حَاجَةٍ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمِيسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ .
وَقَالَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ : مَا أَحَبُّ أَنْ أَرُدَّ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مَنْ
أَنْ يَكُونَ كَرِيمًا فَأَصُونَهُ ، أَوْ لَيْثِيًّا فَأَصُونُ مِنْهُ نَفْسِي .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ سَأَلَ حَاجَةً فَرَدَّ عَنْهَا :

مَا يَمْنَعُ النَّاسَ شَيْئًا كُنْتُ أَطْلُبُهُ * إِلَّا أَرَى اللَّهَ يَكْفِي فَقَدْ مَا مَنَعُوا

أتى رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما يسأله ؛ فقال الحسن : إن المسألة لا تصلح إلا في غريم فادح أو فقير مدقع أو حمالة مفضعة ؛ فقال الرجل : ما جئت إلا في إحداهن ، فأمر له بمائة دينار . ثم أتى الرجل الحسين بن علي رضي الله عنهما فسأله ، فقال له مثل مقالة أخيه ، فرد عليه كما رد على الحسن ؛ فقال : كم أعطاك ؟ قال : مائة دينار ، فنقصه ديناراً . كره أن يساوي أخاه . ثم أتى الرجل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فسأله فأعطاه سبعة دنانير ولم يسأله عن شيء ؛ فقال الرجل له : إني أتيت الحسن والحسين ، واقتصص كلامهما عليهما وفعلتهما به ؛ فقال عبد الله : ويحك ! وأني تجعلني مثلهما ! إنهما غررا العلم غرراً المال .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : جاء شيخ من بني عقيل إلى عمر بن هبيرة ، فمات بقرابة وسأله فلم يعطه شيئاً ؛ فعاد إليه بعد أيام فقال : أنا العقيلي الذي سألك منذ أيام ؛ فقال عمر : وأنا الفزاري الذي منعك منذ أيام ؛ فقال : معذرة إلى الله ! إني سألتك وأنا أظنك يزيد بن هبيرة المحاربي ؛ فقال : ذاك الأُمُّ لك ، وأهونُ بك علي ، نشأ في قومك مثلي ولم تعلم به ، ومات مثل يزيد ولا تعلم به ! يا حرسى أسفَع بيده .

أتى عبد الله بن الزبير أعرابي يسأله ، فشكا إليه نقب ناقته واستحمله ؛ فقال له ابن الزبير : ارقعها بسبت وأخصفها بهلب وأفعل وأفعل ... ؛ فقال الأعرابي : إني أتيتك مستوصلاً ولم آتِكَ مستوصفاً ، فلا حملت ناقه حملتي إليك ! فقال : إن وصاحبها .

(١) في الأصل : « وأمر ... » . (٢) غررا العلم : ألقاه ، يقال : غر الطائر فرخه إذا زقه ، ومنه حديث معاوية : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يغر علياً بالعلم » . (٣) سفع بناصيته أو بيده : قبضها وجذبها . (٤) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الوالي الأسدي كما في الأغاني ج ١ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية ، وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف عما هنا . (٥) النقب : رقة وثقب في خف البعير . (٦) استحمله : حمله حواج يقضيها له . (٧) السبت (بالكسر) : جلد البقر المدبوغ بالقرظ تؤخذ منه النعال السبتية . والخصف : أن يظاهر الجلودين بعضهما إلى بعض ويخرزهما ولذلك قيل للخرز : الخصف . والهلل (بالضم) : شعر الخنزير الذي يخرز به . (٨) إن بمعنى نعم .

والعرب تقول لمن جاء خائبا ولم يظفر بحاجته : « جاء على غيراء الظهر »^(١) .
وتقول هي والعوام : « جاء بخفي حنين » و « جاء على حاجبه صوفة » .
وقال أبو عطاء السندي في عمر بن هبيرة :

ثلاث حُكْمَنَ لِقَرْمٍ قَيْسٍ * طلبتُ بها الأخوة والثناء^(٢)
رجعن على حواجبهن صوف * فعند الله احتسب الجزاء

والأصل في قولهم : « جاء بخفي حنين » أن إسكافاً من أهل الحيرة ساومه
أعرابي بخفين ، فاختلعا حتى أغضبه ، فأزداد غيظ الأعرابي ، فلما ارتحل أخذ
حنين أحد خفيه فألقاه على طريقه ثم ألقى الآخر في موضع آخر ، فلما مر الأعرابي
بأحدهما قال : ما أشبه هذا بخف حنين ! ولو كان معه الآخر لأخذته ، ومضى ، فلما
أتتهى إلى الآخر ندم على تركه الأول ، وأناخ راحلته فأخذه ورجع إلى الأول ، وقد
كن له حنين فعمد إلى راحلته وما عليها فذهب به ، وأقبل الأعرابي ليس معه
غير الخفين ، فقال له قومه : ما الذي أتيت به ؟ قال : بخفي حنين .

قالوا : فإن جاء وقد قضيت حاجته قيل : « جاء ثانياً من عنانه » ، فإن جاء^(٣)
ولمّا تقضى حاجته وقد أصيب ببعض ما معه ، قالوا : « ذهب يبتغي قرناً فلم يرجع
بأذنين » . يقول بشار :

فبكنت كالعير غداً يبتغي * قرناً فلم يرجع بأذنين^(٤)

(١) غيراء الظهر : الأرض ، تصغير الغبراء . ويروي : جاء على ظهر الغبراء ، أي جاء لا يصاحبه
غير أرضه التي يجي ، ويذهب فيها . (انظر ما يقول عليه في المضاف والمضاف إليه ، النسخة المخطوطة
المحفوطة بدار الكتب المصرية رقم ٧٨ أدب م) . (٢) كذا في الشعر والشعراء للأولف
والقرم من الرجال السيد العظيم وفي الأصل : « لقوم » . (٣) في الأصل : « فلما جاء ... »
وهو غير مستقيم . (٤) رواية هذا البيت في الأغاني ج ٣ ص ٢٠٦ طبع دار الكتب :

فصرت كالعير غدا طالبا * قرناً فلم يرجع بأذنين

وقد روى أبو الفرج أن عتبة بن سلم دعا بشارا وحماة بن عبد الحميد وأعطى باهلة ، وطلب إليهم أن يضمنوا هذا
المثل في شعر ، وعين لخرجه جائزة ، وهددهم إن لم يفعلوا ، فضمنه بشار على الهدية وأخذ جائزته .

سأل أعرابي قوماً، فقيل له : بُورك فيك ! فقال : وكلّكم الله الى دعوة
لا تحضرها نيّة .

أرسل الوليد خيلاً في حلبة^(١)، فأرسل أعرابي فرساً له فسبقت الخيل ؛ فقال له
الوليد : آحملي عليها ؛ فقال : إن لها حرمةً، ولكنني أحملك على مهر لها سبق
الخيل عام أول وهو رابض .

وتقول العرب فيمن يشغله شأنه عن الحاجة يسأطاً : « شغل الحلي أهله أن
يعاراً » ينصب الحلي ، ويعار : من العارية . فأما قولهم : « أحق الخيل
بالركض المعار » ، فإنّ المعار : المتشوف الذنب وهو المهلّوب ؛ يريدون أنه أخف من
الذيال الذنب ، يقال : أعرت الفرس إذا نتفته^(٢) .

وتقول العرب لمن سئل وهو لا يقدر فردّ : « بيتي يتخل لا أنا » ؛ يريدون
أنه ليس عنده ما يعطى .

ووعده رجل رجلاً فلم يقدر على الوفاء بما وعده ؛ فقال له : كذبتني ؛ قال : لا ،
ولكن كذبتك مالي .

وتقول العرب فيمن اعتذر بالمنع بالعدم وعنده ما سئل : « أباي الحقين^(٤)
العذرة » . قال أبو زيد : وأصله أن رجلاً ضاف قوماً فاستسقامهم لبناً ، وعندهم
لبن قد حقنوه في وطيب ، فاعتذروا أنه لا لبن عندهم ؛ فقال : « أباي الحقين^(٤)
العذرة » . ويقال : « العذرة طرف البخل » .

(١) في الأصل : « من حلبة » . (٢) ما ذكره المؤلف هنا هو أحد ما فسرّت به هذه الكلمة ،
وقيل : المعار : المسمن ، يقال : أعرت الفرس إذا سمته ، وقيل : المعار : المضمر ، من عار الفرس إذا
أخذ يذهب ويحجي ، مرحاً ونشاطاً ، فالمعار : ما ردد الذهاب به والحجي حتى ضمير ، ويرى : المعار — بكسر
الميم — وهو الفرس الذي يحيد براكبه عن الطريق ، وكذلك يرى : المعار — بالغين المعجمة —
أى المضمر من أعرت الخيل إذا فتلته . (٣) الذيال الذنب : الطويلة . (٤) الحقين :
اللبن المحقون . والعذرة (بكسر العين) : العذر .

وقال الطائي يذكر المَطْل :

وكان المَطْلُ في بدءٍ وعَوْدٍ * دُخَانًا للصَّنِيعَةِ وهي نارُ
نسيبُ البخلِ مذكَانًا وإن لم * يكن نسبُ فيبينهما جِوَارُ
لذلك قيل بعضُ المنعِ أدنى * إلى جُودٍ وبعضُ الجودِ عَارُ

قال إسماعيل القراطيسي^(١) في الفضل بن الربيع :

لئن أخطأتُ في مدحِكَ ما أخطأتُ في منعي^(٢) *
لقد أحلتُ حاجاتي * بـوَادٍ غيرِ ذِي زَرَعٍ

غزى المُنْذِرُ بن الزُّبَيْرِ [في] البحر ومعه ثلاثون رجلاً من بني أسد بن عبد العزى ؛
فقال له حكيم بن حزام : يا بن أخي ، إني قد جعلتُ طائفةً من مالي لله عز وجل ،
وإني قد صنعتُ أمراً ودعوتكم له ، فأقسمتُ عليك لا يرده عليّ أحدٌ منكم ؛ فقال
المُنْذِرُ : لاها الله إذا ، بل نأخذ ما تُعطي ، فإن نَحْتَجُ إليه نستعين به ولا نكره أن
يأجرك الله ، وإن نستعين عنه نُعطيه من يأجرنا الله فيه كما أجرك .

سأل أعرابي رجلاً يقال له : الغمر فأعطاه درهماين ، فردّهما وقال :

جعلتُ لغمرٍ درهميه ولم يكن * ليغني عني فاقتي درهما غمير
وقلت لغمرٍ خذهما فأصطرفهما * سرّيعين في تقض المُرُوءة والأجر
أتمنع سُؤال العشيّة بعد ما * تسميت غمراً وآكتنيت أبا بحر

(١) نسبهما ابن حجة في خزائنه ص ٤٠ طبع بولاق لابن الرومي . وذكر صاحب معاهد التنصيص
في الكلام عليهما ص ٦٤ طبع بولاق أنهما ينسبان لابن الرومي ولكنه قال : ورأيت في الأغاني نسبتهما
إلى إسماعيل القراطيسي . وقد ذكرنا في ترجمته في الأغاني ج ٢٠ ص ٨٨ — ٨٩ ولم يذكرنا في ديوان
ابن الرومي . (٢) فيه الكف وهو حذف السابغ الساكن ، والكف حسن في هذا البحر وهو
الهرج . وفي الأغاني (ج ٢٠ ص ٨٩ طبع بولاق) : « في مدحك » وبهذه الرواية لا كف فيه .
(٣) أي لا يرده عليك أحد والله إذا ، فكلمة « ها » هنا للقسم . ويجوز فيها مع كلمة الجلالة ، بعد حذف
همزة الوصل ، إثبات ألفها — وينطق بهما كما ينطق بدابة — وحذفها .

اختلف أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع في حاجة له زماناً فلم يقضها له ،
فكتب :

أكلَ طولَ الزمانِ أنتَ اذا * جئتُكَ في حاجةٍ تقولُ غداً !
لا جعلَ اللهُ لي اليك ولا * عندك ما عشتُ حاجةً أبداً !

وقال آخر :

إن كنتَ لم تتوفياً قلتَ لي صلاةً * فما آتتفأك من حبسى وترديدي
فالمنعُ أجملهُ ما كانَ أعجَلهُ * والمطل من غير عُسر آفةُ الجودِ

وقال آخر :

بسطتَ لساني ثم أوثقتَ نصفهُ * فينصفُ لساني في امتداحك مطلقُ
فإن أنتَ لم تُخِزْ عِداتي تركتني * وبقى لساني الشكر باليأس موثقُ

وقال آخر :

يا جوادَ اللسانِ من غير فعلٍ * ليتَ جودَ اللسانِ في راحتِكَ

المواعيدُ وتنجّزها

ذكر جبار بن سلمى ^(١) عامر بن الطفيل فقال : كان والله اذا وعد الخير وفى ،
واذا أوعد بالشر أخلف وعفا .

وأنشد أبو عمرو بن العلاء في مثل هذا المعنى :

ولا يرهَبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ صولتي * ويأمنُ مني صولةُ المتهدِّدِ
وإني إن أوعدته أو وعدته * ليكذبَ إيعادى ويصدق مؤعدى

(١) في الإصاية : « بضم السين وقيل بفتحها » .

وكان يقال : وَعَدُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ ، وَعَدُ اللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ .

وقال عبيد الصّمد بن الفضل الرّقاشيّ (أبو الفضل والعباس الرّقاشيّين

البغداديّين) لخالد بن ديسم عامل الرّى :

أخالدُ إنّ الرّىّ قد أبجفت بنا * وضاق علينا رَحْبُها ومَعاشُها

وقد أطمعنا منك يوما سِجَابَةً * أضاء لنا برقٌ وكفّ رِشاشُها

فلا غيمُها يصحّو فيؤيسّ طامعٌ * ولا مأوئها يأتي فتروى عطاشُها

وقال رجل في الحجاج :

كأَنَّ فُؤادى بين أظفارِ طائرٍ * من الخوف في جِوِّ السّماءِ مُحَلَّقٌ

حِذارَ أمرى قد كنت أعلم أنه * متى ما يَعدُّ من نَفْسِهِ الشَّرَّ يَصْدُقُ

قال عمرو بن الحارث : كنت متى شئتُ أجد من يَعدُّ ويُنجِزُ ، فقد أعيانى

مَنْ يَعدُّ ولا يُنجِزُ . قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون ، فقد صاروا يقولون ويفعلون ،

ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون .

قال بشار :

وَعَدَتْنِي ثم لم تُوفِّ بمَوْعِدَتِي * فكنت كالمُزِنِ لم يُمِطِرْ وقد رعدَا

هذا مثل قول العرب لمن يَعدُّ ولا يَفِي : « برقٌ خُلبٌ » .

وقال آخر :

قد بَلَوْنَاكَ بِحَمْدِ اللَّهِ إِنْ أَغْنَى الْبَلَاءُ

فَإِذَا جُلُّ مُوَاعِدِ * بِدِكَ وَالْجُحْدُ سَوَاءُ

وقال آخر :

لَهَا كُلُّ عَامٍ مَوْعِدٌ غَيْرُ نَاجِزٍ * وَوَقْتُ إِذَا مَارَأْسُ حَوْلٍ تَجَرَّمَا^(١)

فَإِنْ أُوْعِدْتُ شَرًّا أَتَى دُونَ وَقْتِهِ * وَإِنْ وَعِدْتُ خَيْرًا أَرَاثَ وَأَعْتَمَا^(٢)

(١) تجرّم : مضى وانقضى . (٢) أراث وأعتم كلاهما بمعنى أبطأ .

وعد عبد الله بن عمر رجلا من قريش أن يزوجه ابنته ، فلما كان عند موته أرسل اليه فزوجه إياها ، وقال : كرهت أن ألقى الله عز وجل بثلاث آتفاق .
وقال الطائي :

تقول قول الذي ليس الوفاء له * خلقا وشجرا إنجاز الذي حلفا
وأثنى الله تبارك وتعالى على نبيه إسماعيل صلى الله عليه فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ .

وقال بشار يمدح :

إذا قال تم على قوله * ومات العناء يلا أو نعم
وبعض الرجال بموعوده * قريب وبالفعل تحت الرجم^(١)
بجاري السراب ترى لمعه * ولست بواجده عندكم

وقال العباس بن الأحنف :

ماض من قطع الرجاء بخله * لو كان علاني بوعد كاذب

وقال آخر :

عسى منك خير من نعم ألف مرة * من آخر غال الصديق منه غوائله

وقال نصيب :

يقول فيحسن القول ابن ليلى * ويفعل فوق أحسن ما يقول

وقال زياد الأعجم :

لله درك من فتى * لو كنت تفعل ما تقول

لا خير في كذب الجوا * د حبيذا صدق البخيل

(١) الرجم (بالتحريك) : القبر والحجارة التي توضع عليه ، وبضمينين أو بضم ففتح : الحجارة التي توضع على القبر ، يريد أنه في تحقيق وعده كالميت .

والعرب تضرب المثل في الخلف بعرقوب . قال ابن الكلبي عن أبيه : كان عرقوب رجلاً من العماليق ، فأتاه أخ له فسأله شيئاً ، فقال له عرقوب : إذا أطلع^(١) نخلي . فلما أطلع أتاها ، قال : إذا أبلح . فلما أبلح أتاها ، فقال : إذا أزهى^(٢) . فلما أزهى أتاها ، قال : إذا أرطب . فلما أرطب أتاها ، قال : إذا صار تمراً . فلما صار تمراً جدّه من الليل ولم يعط أخاه شيئاً .

قال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً * وما مواعيدها إلا الأباطيل
وقال الأشجعي :

وعدت وكان الخلف منك سجيّة * مواعيد عرقوب أخاه يترى^(٣)

هكذا قرأته على البصريين في كتاب سيديويه بالتاء وفتح الراء .

وقال الشاعر :

متى ما أقل يوماً لطالب حاجة * نعم ، أقضها قدماً وذلك من شكلي
وإن قلت لا ، بيتتها من مكانها * ولم أؤذ منها بجر ولا مطل
وللبخلة الأولى أقل ملامة * من الجود بدءاً ثم يتبع بالبخل

وقال أبو نؤاس لامرأة :

أنضيت أحرف لا مما لهجت بها * فحولي رحلتها عنها إلى نعم
أو حوليها إلى «لا» فهي تعدلها^(٤) * إن كنت حاولت في ذا قلة الكلام
قسّم علينا فعارضنا قياسكم * يا من تناهى إليه غاية الكرم

(١) أطلع النخل : خرج طلعه . (٢) أزهى : تلون تمره بالحمرة والصفرة . (٣) يترى

بالتاء للمثناة : موضع قريب من اليمامة . (٤) كذا في الأصول ، وفي ديوانه «أو حولوها اليها فهي تعدلها» . والظاهر أنه يريد أن يقول : أو حولوها إلى «ها» التي بمعنى «خذ» فكثبت موصولة ليدل ظاهرها على غير باطنها ، و«ها» تعدل «لا» في قياسها لفظاً . وبين ما في الأصل وما في الديوان تغيير طفيف في هذه الأبيات .

وفي هذا معنى لطيف .

كتب رجل إلى صديق له : قد أفردتك برجائي بعبد الله ، وتعجّلت راحة
اليأس ممن يجود بالوعد ويضمن بالإنجاز ، ويحسد أن يفضل ، ويؤهد أن يفضل ،
ويعيب الكذب ولا يصدق .

وقال آخر :

وذى ثقة تبدّل حين أثرى * ومن شيمى مراقبة الثقات
فقلت له عتبت على إثمنا * فراراً من مؤونات العدا
فعُد لمودتي وعلى نذر * سألتك حاجة حتى الممات^(١)

وقال آخر في أصحاب النبذ :

مواعيدهم ربح لمن يعدونه * بها قطعوا برد الشتاء وقاطوا

وقال مسلم :

لسانك أحلى من جنى النحل موعداً * وكفك بالمعروف أضيق من قفل
ثمنى الذى يأتينك حتى إذا انتهى * إلى أجل ناولته طرف الحبيل

وسأل خلف بن خليفة أبان بن الوليد أن يهب له جارية ، فوعده وأبطأ عليه ،

فكتب إليه :

أرى حاجتي عند الأمير كأنما * تهم زماناً عنده بمقام
وأحصر من إذكاره إن لقيته * وصدق الحياء ما جم بلجام
أراها إذا كان النهار نسيئة * وبالليل تقضى عند كل منام
فيارب أنخرجها فإنك مخرج * من الميت حياً مفضحاً بكلام

(١) الكلام على تقدير «لا» النافية ، أى لا سألتك .

فَتَعْلَمَ مَا شُكِرِي إِذَا مَا قَضَيْتَهَا ^(١) * وَكَيْفَ صَلَاتِي عِنْدَهَا وَصِيَامِي
وَإِنْ حَاجَتِي مِنْ بَعْدِ هَذَا تَأَخَّرَتْ * خَشِيتُ لِمَا بِي أَنْ أَزُورَ غُلَامِي
وَالْعَرَبُ تَقُولُ : «أَنْجَزْ حُرْمًا وَعَدًا» .

وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدَّةَانَ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أُمُّ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ إِنِّ شِمِيمَتِكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا * كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّنَاءُ
وَقَالَ الطَّائِيُّ :

وَإِذَا الْمَجْدُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ * تَقَاضِيَّتُهُ بَسْتُكَ التَّقَاضِي
وَقَالَ الزُّهَيْرِيُّ ^(٢) : حَقِيقٌ عَلَى مَنْ أَوْرَقَ بوعِدٍ أَنْ يُثْرَ بِفَعْلٍ .
وَقَالَ الْمُغِيرَةُ : مِنْ أَنْحَرِ حَاجَةً رَجُلٍ فَقَدْ تَضَمَّنَ قَضَاءَهَا .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَفَاكَ مَدَّكَرًا وَجْهِي بِأَمْرِي * وَحَسْبِي أَنْ أَرَاكَ وَأَنْ تَرَانِي
وَكَيْفَ أَحُتُّ مِنْ يُعْنَى بِشَأْنِي * وَيَعْرِفُ حَاجَتِي وَيَرَى مَكَانِي
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

يَا صَاحِبَ قُلُوبٍ فِي حَاجَتِي * أَذْكَرْتُهَا فِيمَا ذَكَرْتَا
إِنَّ السَّرَاحَ مِنَ النِّجَا ^(٣) * حَ إِذَا شَقِيتُ بِمَا طَلَبْتَا ^(٤)

(١) فِي الشُّعْرَاءِ وَالشُّعْرَاءِ (ص ٤٤٩ طَبْعَةُ أَوْرَبَا) : «تَقْبَضَتَهَا» ، وَوَرَدَ فِيهِ بَعْدَ ذِكْرِ الْأَبْيَاتِ :
«فَضَحَكَ أَبَانٌ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِجَارِيَةٍ» . (٢) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٩٠ و ٩١ طَبْعُ بُولَاق)
وَفِي الْأَصْلِ : «خَصَمَهُ مِنْ أَزْهَرِ الْخ...» وَظَاهِرٌ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ . (٣) قَالَ فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ
(سَرَح) : «وَفِي الْمَثَلِ : السَّرَاحُ مِنَ النِّجَاحِ ، أَيْ إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَضَاءِ حَاجَةِ الرَّجُلِ فَأَيْسَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ
بِمَنْزِلَةِ الْإِسْعَافِ» . وَقَالَ الْمِيدَانِيُّ بَعْدَ ذِكْرِ هَذَا الْمَثَلِ : «يَضْرِبُ لِمَنْ لَا يَرِيدُ قَضَاءَ الْحَاجَةِ ، أَيْ يَنْبَغِي أَنْ
تُؤَيِّسَهُ مِنْهَا إِذَا لَمْ تَقْضِ حَاجَتَهُ» . (٤) فِي الْأَصْلِ : «شَفِيتُ» بِالْفَاءِ .

وقال آخر :

فِي تَصَدِّيقِكَ لِلطَّلِبِ إِذْ كَا * رُبُّوعِدٍ جَرَى بِهِ الْمِقْدَارُ
وَكُتِبَ بَعْضُ الْكُتَابِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : إِنْ مِنَ الْعَجَبِ إِذْ كَارَ مَعْنِيَّ ، وَحَثَّ
مُتَقَيِّظًا ، وَأَسْتَبْطَاءَ ذَاكِرٍ ، إِلَّا أَنْ ذَا الْحَاجَةِ لَا يَدْعُ أَنْ يَقُولَ فِي حَاجَتِهِ ، حَلَّ بِذَلِكَ
مِنْهَا أَوْ عَقَلَ . وَكَأَبَى تَذِكْرَةً وَالسَّلَامَ .

وقال الطَّرِمَّاحُ :

أَلِحُّسْنِ مَسْرَافِي تُؤَخَّرُ حَاجَتِي * أَمْ لَيْسَ عِنْدَكَ لِي بِخَيْرٍ مَطْمَعُ
وَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ بَيْضٍ لِمَخْلَدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :

أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَأَقِضْهَا * وَقُلْ مَرْحَبًا يَجِبُ الْمَرْحَبُ
وَلَا تَكَلَّنَا إِلَى مَعْشَرٍ * مَتَى يَعِيدُوا عِدَّةً يَكْذِبُوا

وقال بعض المحدثين :

حَوَائِجُ النَّاسِ كُلُّهَا قُضِيَتْ * وَحَاجَتِي لَا أَرَاكَ تَقْضِيهَا
أَنَاقَةُ اللَّهِ حَاجَتِي عُقِرَتْ * أَمْ نَبَتْ الْحَرْفُ^(٢) فِي نَوَاحِيهَا

وقال جرير لعمر بن عبد العزيز :

أَأَذْكُرُ الضَّرَّ وَالْبَلْوَى الَّتِي نَزَلَتْ * أَمْ تَكْتَفِي بِالَّذِي بَلَغَتْ مِنْ خَبَرِي

وقال آخر :

أَرْوَحُ لَتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَأَغْتَسِدِي * وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مَتَى تَقَاضِيَا
كَفَى بِطَلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنْأَلُهُ * عَنَاءٌ وَبِالْيَاسِ الْمَصْرَحِ^(٣) نَاهِيَا

(١) يعنى بناقة الله هنا ناقة صالح التي عقرتها ثمود . (٢) الحرف : حب الرشاد أو الخردل .
ولعله يريد : أم أهملت ، فكفى بذنوب الحرف في نواحيها عن الإهمال ، كما يهمل كريم النبات فينبت حوله
أرذله . (٣) اليأس المصرح : الخالص الذي ليس للإنسان معه أمل في شيء ، يقال : صرح الشيء
تصريحاً إذا صار خالصاً .

وقال آخر :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما * تُجْحُ الأمور بقوة الأسباب
فاليوم حاجتنا اليك ^(١) وإنما * يُدْعَى الطبيب لكثرة الأوصاب

كتب بعض الكتاب الى بعض السلاطان : أنا أنزهك عن التجميل لي
بوعيد يطول به المدي ويعتريه الوفاء، وأحب أن يتقرر عندك أن أملي فيك أبعد من
أن أختلس الأمور منك أختلاس من يرى في عاجلك عوضاً من آجلك، وفي الراهن
من يومك بدلاً من المأمول في غدك، وألا تكون منزلي في نفسك منزلة من يُصرف
الطرف عنه وتُسْكَرُ النفس عليه ويتكلف ما فوق العفوله، وأن تختار ^(٢) بين العذر
والشكر؛ فالله يعلم أن أثر الحظين عندى أحقهما عليك، وأصوبهما لحالي عندك .

وفي كتاب : ذو الحرمة ملوم على قرط الدالة، كما أن المتحرم به مذموم على
التناسي والإزالة . ومن مذهبي الوقوف بنفسى دون الغاية التي يُقَدِّمْنِي إليها حق،
لأمرين : أحدهما ألا أرضى بدون الحق أزيد في الحق . والثاني أن أرى النفيس
من الحظ زهيدا إذا أتى من جهة الإرهاق . ولي ذمام المودة الصادقة التي كل حرمة
تبع لها، وحق الشكر الذي جعله الله وفاءً بالنعم وإن جل قدرها؛ وأنت مُرَاعِي
المعالي وحافظ بقية الكرم؛ فأى سبيل للعذر، بل أى موضع للإكداء بين حرمتي
ورعايتك، وذمامي وكرمك ! .

قال أحمد بن يوسف : أول المعروف مُسْتَحْفٌ، وآخره مُسْتَحْفٌ؛ يكاد
أوله يكون للهوى دون الرأى، وآخره للرأى دون الهوى . ولذلك قيل : رب ^(٣)
الصنعية أشد من ابتدائها .

(١) في الأصل : « اليه » وما أثبتناه يتفق مع السياق . (٢) في الأصل : « يختار » بالياء .
المناعة من تحت . (٣) رب الصنعية رباً : تعهدا وبماها .

قال أبو عطاء السُّنْدِيُّ في يزيد بن عمر [بن هُبَيْرَة] :

ثَلَاثُ حُكْمَيْنِ لِقَرْمٍ قَيْسٍ ^(٢) * رَجَعَنَّ إِلَى صِفْرًا خَائِبَاتِ ^(١)
أَقَامَ عَلَى الْفُرَاتِ يَزِيدُ شَهْرًا * فَقَالَ النَّاسُ أَيُّهُمَا الْفُرَاتِ ^(٣)
فِيَا عَجَبًا لِبَحْرِ فَاظٍ يَسْقِي * جَمِيعَ النَّاسِ لَمْ يَبْلُلْ لَهَا تِي ^(٤)

حال المستأول عند السؤال

قال الشاعر ^(٥) :

سَأَلْنَاهُ الْجَزِيلَ فَمَا تَلَكَّا ^(٦) * وَأَعْطَى فَوْقَ مُنْيَتِنَا وَزَادَا
مِرَارًا مَا أَعُودُ إِلَيْهِ ^(٧) إِلَّا * تَبَسَّمَ ضَاحِكًا وَثْنَى الْوَسَادَا

وقال آخر :

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبُ بَدَارَهُمْ * تَرَكُوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانِ ^(٨)
وَإِذَا دَعَوْتُهُمْ لِيَوْمٍ كَرِيهِةٍ * سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ بِالْفُرْسَانِ
لَا يَنْقُرُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ * لِتَلَمُّسِ الْعِلَالِ بِالْعَيْدَانِ
بَلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا * عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

وقال آخر :

يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ وَالْبَرَّ ذُخْرًا * وَيَعُدُّ الْحَمْدَ خَيْرَ التَّجَارَةِ

(١) يعني ثلاث قصائد . (٢) كذا في الشعر والشعراء للأولف . وفي الأصل : « لقوم » .

(٣) في هذا البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروي ، وقد تقدم هذا الشعر قريباً برواية أخرى يمدح به أباه في ص ١٤١ وليس فيه هذا العيب . (٤) اللهاة : اللحم المشرفة على الحلق في أقصى سقف

الفم . (٥) هو زياد الأعجم يمدح عمر بن عبد الله . (٦) في الأغاني (ج) ١٤ ص ١٠٢

طبع بولاق) « تأني » . (٧) في الأغاني : « ما دنوت » . (٨) كذا في العقد الفريد .

والصواهيل : جمع صاهل وهو الفرس والبهير الذي يخبط برجله ويده الأرض ولا يرغب ، وفي الأصل :

« صياهل » ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة هذا الجمع .

وإذا ما جئته تجتديده * خلته بسرته بشاره
فترى في الطرف منه حياء * وترى في الوجه منه استناره
وقال آخر :

إذا غدا المهدي في جنده * أوراخ في آل الرسول الغضاب^(١)
بدا لك المعروف في وجهه * كالضوء يجري في ثنايا الكعاب^(٢)
وأنشدني العتيبي :

له في ذرى المعروف نغمى كأنها * مواقع ماء المزن في البلد القفر
إذا ما أتاه السائلون توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر
والمشهور في هذا قول زهير :

١٠ تراه إذا ما جئته متملاً * كأنك تعطيه الذي أنت سائله
وسأل رجل من الأعراب رجلاً [فلم يعطه] شيئاً ، فقال :
كذحت باظفاري وأعملت معولي * فصاذقت جلوداً من الصخر أملسا
تشاغل لما جئت في وجه حاجتي * وأطرق حتى قلت قد مات أو عسى^(٣)
وأجمعت أن أنعاه حين رأيته * يفوق فواق [الموت] ثم تنفّسا^(٤)
فقلت له لا بأس ، لست بعائذ * فأفرخ^(٥) تعلوه الكابة مباسا^(٦)
١٥ وقال مسلم :

أطرق لما أتيت ممتدحاً * فلم يقل "لا" فضلاً على "نعم"

(١) الكعاب : جمع كعب ، والكعاب : الجارية الناهد . والثنايا : أربع أسنان في مقدم
الفم : ثننان في الفك الأعلى وثنان في الأسفل . (٢) زيادة يستقيم بها المعنى والوزن .
(٣) العائد : المتنحى . وفي الأصل : « بعائد » بالبدال المهملة . (٤) فأفرخ : ذهب روعه ،
وفي الأصل : « فأفرج » بالجيم . ومبلسا : حزينا مفكرا .

نُخِفْتُ إِنْ مَاتَ أَنْ أُقَادَ بِهِ * فَقَمْتُ أَبْنَى النَّجَاءِ مِنْ أُمِّ^(١)
لَوْ أَنَّ كُنْزَ الْبِلَادِ فِي يَدِهِ * لَمْ يَدْعِ الْإِسْتِـلَالَ بِالْعَدَمِ

وقال الحارث الكندي :

فَلَمَّا أَنْ أْتَيْنَاهُ وَقَلْنَا * بِحَاجَتِنَا تَلَوْنَ لَوْنَ وَرِسَ^(٢)
وَأَضَ بِكَفِّهِ يَحْتَكُ ضَرْسًا * يُرِينَا أَنَّهُ وَجَعُ بَضْرِسِ^(٣)
فَقُلْتُ لِصَاحِبِي أَنَّهُ كِرَازٌ^(٤) * وَقُلْتُ أُسْرُهُ أَتْرَاهُ يُمَسِّي
وَقَلْنَا هَارِيَيْنَ مَعًا جَمِيعًا * تُحَازِرُ أَنْ تُزَنَّ بِقَتْلِ نَفْسِ^(٥)

قال الأصمعي :

دخل أعرابي على المساور الضبي وهو بندار الرى^(٦) ، فسأله فلم يعطه شيئاً ،

فأنشأ يقول : ١٠

أَتَيْتُ الْمَسَاوِرَ فِي حَاجَةٍ * فَمَا زَالَ يَسْعُلُ حَتَّى ضَرَطُ
وَحَاكَ قَفَاهُ بِكُرْسُوعِهِ^(٧) * وَمَسَّحَ عُثُونَهُ وَأَمْسَخَطُ
فَأَمْسَكْتُ عَنْ حَاجَتِي خِيفَةً * لِأُخْرَى تَقْطَعُ شَرْجَ السَّفَطِ^(٨)
فَأُقْسِمُ أَوْ عُدْتُ فِي حَاجَتِي * لِلطَّيْخِ بِالسَّلَاحِ وَشَى النَّمَطِ^(٩)
وَقَالَ غَلَطْنَا حِسَابَ الْخِرَاجِ * فَقُلْتُ مِنَ الضَّرِيطِ جَاءَ الْغَلَطُ^(١٠)

١٥

قال : فكان العامل كلما ركب صاح به الصبيان : « من الضريط جاء الغلط »

فهرب من غير عزل الى بلاد أصمهان .

(١) من أمم : من قارب . (٢) الورس : نبات أصفر ينبت باليمن . (٣) آض :

صاروعاد . (٤) الكراز : داء يحصل من شدة البرد أو رعدة . (٥) زنن : اتهم .

(٦) البندار : الحافظ . (٧) الكر سوع : طرف الزند الذي يلي الخنصر . (٨) الشرج

يا لتحريك : العرى ، وسكن للضرورة ، والسفط : رعاء كالفقة ، وشرج السفط هنا الكفاية عن الآست .

(٩) السليح : النجوة . (١٠) النمط : الفراش .

٢٠

وقال نهار بن تَوْسَعَةَ في قُتَيْبَةَ بن مسلم :

كانتُ نَحْرَاسَانُ أرضاً اذ يَزِيدُ بها * وكلُّ بابٍ من الخيرات مَفْتُوحُ
فَبَدَّلْتُ بَعْدَهُ قِرْدًا أُطِيفُ به * كأنما وَجْهُهُ بالخلِّ مَنْضُوحُ

(١)
وقال جرير :

يَزِيدُ يُغْضِ الطَّرْفَ دوني كأنما * زَوَى بين عَيْنَيْهِ عَلَى الْحَاجِمِ^(٢)
فَلَا يَنْبَسِطُ من بين عَيْنِكَ ما أَنْزَوَى * وَلَا تَلْقَني إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

وقال آخر :

لَا تَسْأَلِ المرءَ عن خَلَاتِقِهِ * في وَجْهِهِ شَاهِدٌ من الْخَبَرِ

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن الأبيح^(٣) عن البتي قال قال محمد بن واسع :

إنك لتعرف بخور الفاجر في وجهه .

قال أبو العتاهية :

مَالِي أَرَى الناسَ قَدْ أَرْقُوا * بُلُؤِمِ الْفِعَالِ وَقَدْ أَرْعَدُوا^(٤)

إِذَا جِئْتَ أَفْضَلَهُمُ لِلْسَّالِ * م رَدَّ وَأَحْشَاؤُهُ تُرْعَدُ

كَأَنَّكَ، من خَشْيَةِ السَّوَا * ل، في عَيْنِهِ الْحَيَّةُ الْأَسْوَدُ^(٥)

- ١٥ (١) نسب المبرد في الكامل (ج ١ ص ٣٩٦ طبع أوروبا) هذا الشعر للأعشى يعاتب به يزيد بن مسهر الشيباني ، وورد في الأغاني في ترجمة الأعشى (ج ٨ ص ٨٦ طبع بولاق) ولسان العرب مادة « زوى » ما يؤيد ذلك . (٢) المحاجم : جمع محجم ، وهو قارورة الحجام . (٣) ورد هذا الاسم في الأصل هكذا « الأبيح » بالياء المثناة من تحت ، ولم نعثر في الرواة على من تسمى بهذا الاسم . وقد ورد في تهذيب التهذيب حماد بن يحيى الأبيح ، فقلعه محرف عنه . (٤) دخل هذا البيت الحرم وهو حذف الحرف الأول من « فَعُولان » وفي هذه الحالة يسمى « أثلَم » . وقد ورد في ديوانه طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين هكذا : ترى الناس طرا وقد أبرقوا ... الخ .
- ٢٠ (٥) كذا في ديوانه ، وفي الأصل : « الأسد الأسود » .

وقال آخر :

إذا ما التزق أحجم عن كريم * فإلجأه الزمان إلى زياد
تلقاه بوجهه مكفهر * كأن عليه أرزاق العباد

وقال آخر :

ولى خليل ما مسنى عدم * مذ نظرت عينه الى عدى
بشرنى بالغنى تهلل له * وقبل هذا تهلل الخدم
ومحنة الزائر بينة * تعرف قبل اللقاء فى الحشم

العادة من المعروف تقطع

كان يقال : انتزع العادة ذنب محسوب .

وقال أبو الأسود [الدؤلى] :

(١) ليت شعري عن أميري ما الذى * غاله فى الود حتى ودعه
لا تهني بعد إذ أكرمته * وشديد عادة منتزعه
أذكر البلوى التى أبايتني * وكلاماً قلته فى الجمعة (٢)
لا يكن برقك برقاً خلباً * إن خير البرق ما الغيث معه

والمشهور فى هذا قول الأعشى :

عودت كندة عادة فأصبر لها * وأغفر لجاهلها ورو سجالها

(١) وردت هذه الأبيات فى حاشية البحترى (ص ٣٧٣ طبعة أوروبا) برواية أخرى منسوبة لأنس

ابن أبي أنس اللبى وهى :

سل أميري ما الذى غير لى * وده والنفع حتى ودعه
ما الذى أنكر منى فأنثنى * وهو يبدى لى أموراً شنعاه
لا تهني بعد إكرامك لى * وشديد عادة منتزعه
واذكر العهد الذى عاهدتني * وحديثاً قلته فى الجمعة
ليت من يسعى بسوء بيننا * بجنه الليل بأرض مسبعة

(٢) الجمعة : مجلس الاجتماع ، قال الشاعر : وتوقد ناركم شرراً ويرفع * لكم فى كل مجمعة لواء

سأل أعرابي قوماً ، فرَّق له رجلٌ منهم فضمَّه إليه وأجرى له رزقاً أياماً ثم قطع عنه ؛ فقال الأعرابي :

تَسْرَى^(١) فلماً حاسبَ المرءُ نفسه * رأى أنه لا يستقيم له السُّرُورُ
وقدِم أبو زيادِ الكلابي مع أعرابِ سَنَةِ الْقَحْمَةِ^(٢) ، فأجرى عليهم رجلٌ رغيفاً لكل رجلٍ ثم قَطَعَهُ ؛ فقال أبو زياد :

إن يقطع العباسُ عنا رَغِيفَهُ * فما يأتيني من نِعْمَةِ اللَّهِ أَكْثَرُ^(٣)
والحكماء تقول : « العادة طبيعةٌ ثانية » .

وفي الحديث : « الخيرُ عادةٌ والشَّرُّ حاجةٌ » .

وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ من الأشراف :

ولقد ضَرَبْنَا في البلاد فلم نَجِد * أحداً سِوَاكَ الى المكارم يُنْسَبُ^(٤)
فأَصْبِرْ لعادتك التي عَوَّدْتَنَا * أولاً فَأَرِشْدْنَا الى مَنْ نَذْهَبُ

وتقولُ العربُ فيمن أَصْطَنَعَ معروفاً ثم أَفْسَدَهُ بالمرءِ أو قَطَعَهُ حينَ كَادَ يَتِمُّ :
« شَوَى أَخَوِكَ حَتَّى إِذَا أَنْضَجَ رَمْدٌ »^(٥) .

قال أبو كعب القاص : كان رجلٌ يُجْرِي على رَغِيفَا في كلِّ يومٍ ، وكان يقول إذا أَتَاه الرَغِيفُ : لعنكَ الله ولعن من بعث بك ، ولعني إن تركتك حتى أَصِيبَ خيراً منك .
والعربُ تقولُ في مثل هذا : « خُذْ من الرِّضْفَةِ ما عليها »^(٥) .

(١) تَسْرَى : تكلف السُّرُورَ ، والسُّرُورُ : السُّخَاءُ . (٢) القَحْمَةُ : القحط . (٣) دخل على هذا البيت الخرم وقد تقدَّم شرحه في صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤ (٤) كذا في مجمع الأمثال للبدائي . ورمد : ألقى الشيء في الرماد . وفي الأصل : « رَمَلَ » باللام وهو يصح به المعنى أيضاً . (٥) هذا المثل يضرب في اغتنام الشيء من البخيل وإن كان نزرًا ، والرضفة : الحجارة المحمأة يُوغَرُ (يُسَخَّنُ) بها اللبن ، وهي إذا أُلْقِيَتْ في اللبن لَزِقَ بها شيء منه .

وقال الشاعر :

وَحُذِّ الْقَلِيلَ مِنَ اللَّثِيمِ وَذُمَّهُ * إِنَّ اللَّثِيمَ بِمَا أَتَى مَعْدُورٌ

ومعدور : موسوم في موضع العذار، وليس هو من العذر .

الشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ

حدثني شيخ لنا عن وكيع عن سفيان عن منصور عن هلال بن أساف قال قال (١)
صلى الله عليه وسلم : « إذا صلى أحدكم فليدّن عليه من يستر بيته فإن الله عز وجل
يَقْسِمُ الثَّناءَ كما يَقْسِمُ الرِّزْقَ » .

وحدثني أيضا عن وكيع عن سعيد عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن
الصّامت قال قال أبو ذر : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : الرجل يعمل العمل
ويحبه الناس ؟ قال : « تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم :
« إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند الله فانظروا ما إذا يتبعه من الثَّناء » .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كان يقال : الثَّناءُ يُضَاعَفُ كما تُضَاعَفُ
الحسنات ؛ يكون الرجل سخيا فيزيد الله في سخائه ، ويكون شجاعا فيزيد الله في شجاعته .
وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن العُمري قال : قال رجل لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه : إن فلانا رجل صدق ؛ قال : سافرت معه ؟ قال لا . قال :
فكانت بينك وبينه خُصومة ؟ قال لا . قال : فهل آثمتَه على شيء ؟ قال لا .
قال : فأنت الذي لا علم لك به ، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفيضه في المسجد ! .

(١) ترجم له في الخلاصة ، وتهذيب التهذيب تحت اسم هلال بن أساف بالياء المثناة وقال في التهذيب :

« ويقال ابن أساف » . (٢) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير هكذا : « إذا صلى أحدكم

فليصل إلى ستره وليدّن من سترته لا يقطع الشيطان عليه صلاته » . ٢٠

قال بعض الحكماء : إذا قَصُرَتْ يَدُكَ عن المِكَافَاةِ فَلْيَطْلُ لِسَانُكَ بالشكر .
وقال آخر : حَقُّ النِّعْمَةِ أَنْ تُحْسِنَ لِبَاسِهَا ، وَتُنَسِّبَهَا إِلَى وَلِيِّهَا ، وَتَذَكَّرَ مَا تَنَاسَى
عندك منها .

وقال بعض الحارثيين :

عُثْمَانُ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَمْدَ ذَوْ ثَمَنِ * لَكِنَّهُ يَشْتَهِي حَمْدًا بِجَنَانِ
وَالنَّاسُ أَكْيَسُ مِنْ أَنْ يَحْمَدُوا أَحَدًا * حَتَّى يَرَوْا قَبْلَهُ آثَارَ إِحْسَانِ
وقال حمادُ عَجْرَدُ :

قَدْ يَنْقِضِي كُلُّ مَا أُؤْلِيَتْ مِنْ حَسَنِ * إِذَا أَتَى دُونَ مَا أُؤْلِيَتْ يَوْمَانِ
تَتَأَيُّ بُوْدُكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَحَدٍ * وَإِنْ طَمِعْتَ فَأَنْتَ الْوَاصِلُ الدَّانِي
الشَّهْدُ أَنْتَ إِذَا مَا حَاجَةً عَرَضَتْ * وَحَنَظَلُّ كَلَّمَا اسْتَغْنَيْتَ خُطْبَانِ^(١)

وقال عمرانُ بن حِطَّانٍ :

وَقَدْ عَرَضَتْ لِي حَاجَةٌ وَأَظُنُّنِي * بِأَنِّي إِذَا أَنْزَلْتُهَا بِكَ مُنْجِحُ
فَإِنْ أَكُ فِي أَخْذِ الْعَطِيَّةِ مُرَبِّجًا * فَإِنَّكَ فِي بَذْلِ الْعَطِيَّةِ أَرْبِحُ
لَأَنَّ لَكَ الْعُقْبَى مِنَ الْأَجْرِ خَالِصًا * وَشُكْرِي فِي الدُّنْيَا ، فَحُظُّكَ أَرْبِحُ

وقال معاويةُ بن أبي سُفْيَانَ يَعْتَابُ قُرَيْشًا :

إِذَا أَنَا أُعْطِيتُ الْقَلِيلَ شَكْوَيْتُمْ * وَإِن أَنَا أُعْطِيتُ الْكَثِيرَ فَلَا شُكْرُ
وَمَا لِمْتُ نَفْسِي فِي قَضَاءِ حَقُوقِكُمْ * وَقَدْ كَانَ لِي فِيهَا أَعْتَذَرْتُ بِهِ عُذْرُ
وَأَمْنَحُكُمْ مَالِي وَتَكْفُرُ نِعْمَتِي * وَتَشْتِمُ عِرْضِي فِي مَجَالِسِهَا فِهْرُ

(١) أخطب الحنظل : أصفر وصار خطبانا وهو أن يصفر وتصير فيه خطوط خضر ، وفي الأصل ،

« خطبان » بالحاء المهملة وهو تحريف . وفي هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

إذا العذر لم يُقبل ولم يَنْفَعِ الأسي * وضائق قلوب منهم حَشَوُهَا الغمر^(١)
فكيف أداوى داءكم ودواؤكم * يزيدكم غيًّا ! فقد عَظُمَ الأمرُ
ساحرِكم حتى يَذِلَّ صِعبُكم ، * وأبْلَغُ شَيْءٍ فِي صَلاحِكُمُ الفَقْرُ
وقال طَرِيحُ الثَّقَفِي :

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشكرِ فيما صَنَعْتَ بِي * فَقَصَصْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرُ
ومثله قول الحُرَيْمِيِّ :

لِأَنَّكَ تُعْطِينِي الجَزِيلَ بَدَاهَةً * وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتُ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ
ومثله قوله أيضا :

زاد معروفك عِنْدِي عِظَمًا * أَنَّهُ عِنْدَكَ مُحَقَّورٌ صَغِيرُ
تَنَاسَاهُ كَأَنَّهُ لَمْ تَأْتِهِ * وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرُ

قال رجل لبعض السُّلطان : المواجهَةُ بالشكر ضَرْبٌ مِنَ المَلَقِ ، مَنْسُوبٌ
مِنْ عُرِفَ بِهَا إِلَى التَّخَلُّقِ^(٢) ، وَأَنْتَ تَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ وَتَرْفَعُ الْحَالَ بَيْنَنَا عَنْهُ ، وَلِذَلِكَ
تَرَكْتُ لِقَاءَكَ بِهِ . خَيْرَ أُنَى مِنَ الاعْتِرَافِ بِمَعْرِوفِكَ وَنَشْرِ مَا تَطْوِي مِنْهُ وَالْإِشَادَةَ
بَذِكْرِهِ عِنْدَ إِخْوَانِكَ وَالْإِنْتِسَابِ إِلَى التَّقْصِيرِ مَعَ الإِطْنَابِ فِي وَصْفِهِ ، عَلَى مَا أَرْجُو
أَنْ أَكُونَ قَدْ بَلَغْتُ بِهِ حَالَ المَحْتِمِلِ لِلصَّنِيعَةِ ، النَّاهِيصِ بِحَقِّ النِّعْمَةِ .
قال أَبْنُ عَنقَاءَ الْفَزَارِيِّ :

رَأَيْتُ عَلَى مَا بِي عَمِيلَةً فَاسْتَكَيْتُ * إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرًا كَمَا جَهَرُ
دَعَانِي فَاسَانِي وَلَوْ صَدَّ^(٣) لَمْ أَلُمُّ * عَلَى حِينٍ لَا يَدُو يَرْجَى وَلَا حَضَرُ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَثْنَيْتُ فَعَلَهُ^(٤) * وَأَوْفَاكَ مَا أَسَدَيْتَ مِنْ دَمٍ أَوْ شَكَرَ

(١) الغمر (بالكسر) : الحقد . (٢) تخلق الرجل : أظهر في خلقه خلاف ما في نفسه .
(٣) في ديوان الحماسة لأبي تمام ص ٦٩٦ طبع أوربا : «ضن» . (٤) أثنت فعله أي
على فعله ، فحذف حرف الجر ، ويجوز أن يكون عدى أثني لأنه بمعنى مدح (انظر شرح الحماسة للبريزي) .

(١)
وقال آخر :

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي * أيادي لم تُمنن وامت هي جلت
فتي غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وقرأت في كتاب للهند : أربعة ليست لأعمالهم ثمرة : مسار الأصم ، والباذر
في السبخة ، والمسرّج في الشمس ، وواضع المعروف عند من لا شكر له .

وقال بعض الشعراء المحدثين ، وقيل : إنه للبحتري ، فبعثت إليه أسأله عنه
فأعلمني أنه ليس له :

فلو كان للشكر شخص يبين * إذا ما تأمله الناظر
ليبتئنه لك حتى تراه * فتعلم أنّي أمرؤ شاكر
ولكنه ساكن في الضمير * يحتركه الكلام السائر

وقال آخر :

فلو كان يستغنى عن الشكر سيد * لعزة ملك أو علو مكان
لما أمر الله الجليل بشكره * فقال أشكروني أيها الثقلان

وقال آخر :

فأثنوا علينا لا أباً لأبيكم * بإحساننا إن الثناء هو الخلد

وقال رجل من غني :

فإذا بلغتكم أهلكم فتحدثوا * ومن الثناء مهالك وخلود

(١) يقال : إنه محمد بن سعيد الكاتب (انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ص ٦٩٧ طبع أوروبا) .

(٢) الخلة (بالفتح) : الفقر والحاجة .

وكانت عائشة رضي الله عنها تُمَثِّلُ بقول الشاعر :

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنُّ * أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

وقال الحارث بن شَدَاد في علي بن الربيع الحارثي :

النَّاسُ تَحْتَكُ أَقْدَامُ وَأَنْتَ لَهْمٌ * رَأْسٌ وَكَيْفَ يُسَوِّي الرَّأْسُ وَالْقَدَمُ
فَحَسْبُنَا مِنْ ثَنَاءِ الْمَادِحِينَ إِذَا * أَثْنَوْا عَلَيْكَ بِأَنْ يُثْنُوا بِمَا عَلِمُوا

وقال آخر :

بِأَيِّ الْخَصْلَتَيْنِ عَلَيْكَ أَثْنَى * فَإِنِّي عِنْدَ مُنْصَرَفِي مَسْئُولُ
أَبِي الْحُسَيْنِ وَلَيْسَ لَهَا ضِيَاءٌ * عَلَى فَمَنْ يُصَدِّقُ مَا أَقُولُ
أُمُّ الْأُنْحَرَى وَلَسْتَ لَهَا بِأَهْلٍ * وَأَنْتَ الْبَحْرُ مِنْ ذَهَبٍ يَسِيلُ

وقال بشار :

أُثْنِي عَلَيْكَ وَلِي حَالٌ تُكَذِّبُنِي * فِيمَا أَقُولُ فَأَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ
قَدْ قُلْتُ إِنَّ أَبَا حَفِصٍ لَا كَرَمَ مِنْ * يَمْشِي نَخَاصِمِي فِي ذَاكَ إِفْلَاسِي

وكتب بعض الكتاب إلى وزير : لست تُشَبِّهه حالنا في الحرمة ، ولا تُشَبِّهه
حالنا في الجاه والقُدرة ، ولا ظاهراً ما نحن عليه الباطن . وليس بعد حُرْمَتِي حرمة ،
ولا فوق سَبَبِي سبب ، ولا بعد حالنا حال يُرْتَجَى ، ولا بعد منزلتك منزلة يُتَمَنَّى ،
ولا تنتظر شيئاً ولا أنتظره ، ولا أتوقع حقاً أزيده في حقوقي ، ولا أنتوقع فائدة تزيدني
في ذات يدك . وكم تحتال بالألفاظ ، وتُمَوِّه بالمعاني ، والناس يحتجون بالعمل
ويَقْضُونَ بِالْعِيَانِ .

وقال بعض الشعراء :

وَزَهَّدَنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ صَنَعْتُهُ * إِلَى النَّاسِ مَا جَرَّبْتُ مِنْ قَلَّةِ الشُّكْرِ

وقال أبو الهول في أبي المراء عتبة بن عاصم :

إذا فاحرَّتْ من معدِّ عِصَابَةٍ * نخرنا عليها بأبن عتبة عاصم

يجرُّ رِياطَ الحمد في دار قومه * ويختال في عريض من الدم سالم

وقال رجل لبعض السلاطان : مثلك أوجب حقاً لا يجب عليه ، وسمح بحق

يجب له ، وقبل واضح العذر ، وأستكثر قليل الشكر . لا زالت أيديك فوق شكر

أولائك ، ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك .

وكتب آخر :

ما أنتهى الى غاية من شكر ، إلا وجدت وراءها غاية من معروفك يحسرنى ^(١)

بلوغها . وما يحجز الناس عنه فالله من ورائه . فلا زالت أيامك ممدودة بين أمل [لك]

تبلغه ، وأمل فيك تحققه ، حتى تتملى من الأعمار أطولها ، وتنال من الهبات أفضلها .

ونحو هذا قول آخر :

كان لى فيك أملان : أحدهما لك ، والآخر بك . فأما الأمل لك فقد بلغت ،

وأما الأمل بك فأرجو أن يحققه الله ويؤشكه .

وفى كتاب آخر :

أيام القدرة وإن طالت قصيرة ، والمتعة بها وإن كثرت قليلة ، والمعروف وإن

أسدى الى من يكفره مشكور بلسان غيره .

وفى كتاب بعض الكتاب :

وما ذكرت — أعزك الله — من ذلك قديماً ولا جددت منه حديثاً ، إلا

وأصغر أمل فيك فوقه وإن كان استحقاقى دونه . فإن أفض واجب حق الله على

(١) يحسرنى (من باب نصر ، ويجوز فيه أحسر أيضاً) : يعينى ويتعبنى .

في شكر نعمك فبتوفيقة وعونه ، وإن أقصر عن كنهه فمن غير تقصير في بلوغ
الجهد فيه .

وفي هذا الكتاب :

أما ما بذل الأمير من ماله ، فذلك ما قد سبق الرجاء بل اليقين إليه ، معرفة مني
بطوله وكرمه ، وليس يُنكر أياديهِ ولا يدع صنائعه . وما يرشدني أُملي بعد الله
إلا إليه ، ولا أفزعُ لحادثةٍ إلى غيره ، ولا أتضاءلُ لنائبةٍ معه . ولو تجزّت عن النهضة
لما حاولتُ الاستقلالَ والانتعاشَ إلا به . ومأل الأمير الكثيرُ المذخورُ عند انقطاع
الحيل ، لا معنفٌ طالبه ، ولا مُحوفٌ على الرد عنه واهبه ، ولا عائقٌ منيعٌ دونه ، ولا
تنغيصٌ من ورائه ، ولا كثرٌ أولى بالصون وأن يجعل وقفًا على النوائب والعواقب
من كثر من هذه حاله .

قالت بنو تميم لسلامة بن جندل^(١) : مجئنا بشعرك ؛ فقال : افعلوا حتى أُنثي .
ونحوه قول عمرو بن معديكرب :

فلو أن قومي أنطقني رماحهم * نطقْتُ ولكن الرماح أجرت^(٢)

قال رجل من قريش لأشعب : والله ما شكرت معروفى عندك ؛ فقال : إن
معروفك كان من خير مُحْتَسِبٍ ، فوقع عند غير شاكر .

وقال أبو نؤاس :

أنت امرؤ أوليتني نِعْمًا * أوهت قُوى شكرى فقد ضُعُفا

(١) كذا في الشعر والشعراء (ص ١٤٧ س ٤) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ٢ ص ٨٦ س ٢٢)

وفي الأصل : « جندب » بالباء وهو تحريف . (٢) أجرت : قطعت ، يقول : لو قاتل

قوى أو أبلوا لذكرت ذلك ونفرت بهم ، ولكن رماحهم أجرتنى أى قطعت لسانى عن الكلام بفرارهم .

فإليك بعد اليوم تَقْدِمة * ^(١)وَأَتَّكَ بالتصريح مُنْكَشِفَا
لا تُحْدِثَنَّ إِلَى عَارِفَةٍ * حتى أَقْومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
وقال أبو نُحَيْلَةَ :

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى * وما كُلُّ مَنْ أَقْرَضَتْهُ نِعْمَةٌ يَقْضَى
فأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وما كَانَ مِيتًا ^(٢)* وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ
آخر :

لَأَشْكُرَنَّ مَعْرُوفًا هَمَّتَ بِهِ * إِنَّ أَهْتَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفُ
ولا أَلُومَكَ إِنْ لَمْ يُمِضْهِ قَدَرٌ * فَالْشَيْءُ بِالْقَدَرِ الْمَحْتُومِ مَصْرُوفُ
وقال رجل لسعيد بن جبيرة : المجوسى يؤلِّنى خيراً فأشكره ، وَيُسَلِّمُ عَلَى فَأَرْدُ
عليه ، فقال سعيد : سألتُ ابنَ عَبَّاسٍ عَنْ نَحْوِ هَذَا ، فَقَالَ لِي : لَوْ قَالَ لِي فِرْعَوْنُ
خيراً لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ مِثْلَهُ .

أَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

أَهْلَكَتْنِي بِفُلَانٍ ثِقَتِي * وَظَنَنْتُ بِفُلَانٍ حَسَنَةً
ليس يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ * نِلْتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ بَعْدِ سَنَةٍ
وقال بعضهم : لَا تَتَّقِ بِشُكْرٍ مَنْ تُعْطِيهِ حَتَّى تَمْنَعَهُ ، فَإِنَّ الصَّابِرَ هُوَ الشَّاكِرُ ،
وَالْجَارِعَ هُوَ الْكَافِرُ .

وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرَ :

سَأَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مَثُوبٌ ^(٣)* وَقَصْدُكَ أَنْ يُثَنَّى عَلَيْكَ وَيُتَحْمَدَى

(١) والتك : تابعتك ، وفي ديوانه المطبوع : فأليك قبل اليوم تقدمة * لاقتك بالتصريح منكشفا
(٢) في نهاية الأرب : * ونهت لى ذكرى وما كان خاملا * (٣) كذا في ديوانه طبع أوربا
والأثنى (ج ١٠ ص ٧ طبع بولاق) ، وفي الأصل :
منى مثوب * وحسبك منى أن أودَّ وأحدَّ وروى القصبدة بالكسر .

والعرب تقول : فلان « أشكر من البروق » وهو نبت ضعیف ينبت بالسحاب إذا نشأ وبأدنى مطر .

وقال الشاعر :

لئن طبت نفساً عن شئائي فإني * لأطيب نفساً عن نذك على عسري
فلست إلى جدواك أعظم حاجة * على شدة الإعسار منك إلى شكري

وقال آخر :

حسب أمرئ إن فاني غرض * من يره أن فاتته شكري
إني إذا ضاق أمرؤ^(١) بجدما * عني آتست عليه بالعسدر

وقال الطائي لإسحاق بن إبراهيم :

ومحجّب حاولته فوجدته * نجتاً عن الركب العفاة شسوعاً
أعدمته لما عدمت نواله * شكري فرحنا معدمين جميعاً

وقال :

فإن يك أربى عفو شكري على ندى * أناس فقد أربى نداءه على جهدي

وقال :

وكيف يجرؤ عن قصدي لساني * وقلبي رائح برضاك غادي^(٢)
ومما كانت العلماء قالت * لسان المرء من خدام الفؤاد

وقال :

أبا سعيد وما وصفي بمتمم * على الشناء وما شكري بمخترم^(٤)

(١) الجدا : العطية . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل : « أدنى » وهو تحريف .

(٣) كذا في ديوان أبي تمام وهو الذي يناسب البيت الذي بعده ، وفي الأصل : « بذاك » .

(٤) في الديوان : « على المعالي » .

لئن جحدتك ما أوليت من نعيم * إنني لفي الشكر أحظى منك في النعيم^(١)
أنسى ابتسامك والألوان كاسفة * تبسم الصبح في داج من الظلم
رددت رونق وجهي في صفيحتيه * رد الصقال بهاء الصارم الخدم
وما أبالي ، وخير القول أصدقه ، * حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي

وقال :

فلا تكدر حياضك لي فإني * أمت إليك آمالاً طوالاً
وفرجاهي على فأن جاهي * إذا ما غب يوم كان مالا^(٢)

وقال :

يا منة لك لولا ما أخففتها * به من الشكر لم تحمل ولم تطيق^(٣)
بأن الله أدفع عني ثقل فادحها * فإني خائف منه على عتقي

وقال بشار في عمر بن العلاء :

دعاني إلى عمير جوده * وقول العشيـرة بحر خضم
ولولا الذي زعموا لم أكن * لأمدح ريحانة قبل شم

ويقال : الشكر ثلاث منازل : لمن فوقك بالطاعة ، ولينظيرك بالمكافأة ، ولمن

دونك بالإفضال عليه .

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصل ، وهو غير واضح المعنى ، وقد ورد البيت في الديوان هكذا :

لئن جحدتك ما أوليت من حسن * إنني لفي اللوم أحظى منك في الكرم

(٢) فِر : فعل أمر من قوطم : وفر عرضه ووفره له لم يشتمه كأنه أبقاه له طيباً لم ينقصه بشتم

قال الشاعر :

ألكني وفر لابن الغريرة عرضه * إلى خالد من آل سلهي بن جندل

(٣) ق الديوان « منها » .

قال إبراهيم بن المهدي^(١) يشكر المأمون :

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تُنِنِّ عَلَيَّ بِهِ * وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتُ دَمِي^(٣)
فَأُبْتُ مِنْكَ وَقَدْ جَلَلْتَنِي نَعْمًا * هِيَ الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي أَبْغَى رِضَاكَ بِهِ * وَالْمَالُ حَتَّى أَسْلُ النِّعْلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَّةٍ رَجَعَتْ * إِلَيْكَ لَوْلَمْ تُعْرِهَا كُنْتَ لَمْ تُلِمَ
وَقَامَ عَلْمُكَ بِي فَأَحْتِجُّ عِنْدَكَ لِي * مَقَامَ شَاهِدٍ عَدِلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ

وقال آخر، وبلغني أنه الخشعمي :

فَأَذْهَبَا بِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لِكَمَا عَقَّدَ * رَأَى إِلَى جَنْبِ قَبْرِهِ فَأَعْقِرَانِي
وَأَنْضَحَا مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كَا * نَ دَمِي مِنْ نَدَاهُ لَوْ تَعْلَمَانِ

وفد رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته ، فقال له : ما أقدمك ؟ قال :
ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة^(٢) ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت
إلينا وفاضت في رحالنا وتناوَلها الأقصى والأدنى منا ، وأما الرهبة فقد أمنا بعدل
أمير المؤمنين علينا وحسن سيرته فينا من الظلم ، فنحن وفد الشكر .

وقال الفرزدق في عمرو بن عتبة :

لَوْلَا ابْنُ عُتْبَةَ عَمْرُو وَالرَّجَاءُ لَهُ * مَا كَانَتْ الْبَصْرَةُ الْحَمَقَاءُ لِي وَطَنًا
أَعْطَانِي الْمَالَ حَتَّى قُلْتُ يُودِعُنِي * أَوْ قُلْتُ أُودِعَ لِي مَالًا رَأَاهُ لَنَا

(١) راجع استعطاف إبراهيم بن المهدي وشكره للمأمون وعفوه عنه ورد ماله وضياعه إليه في أمالي القالي
(ج ١ ص ١٩٩ طبع دار الكتب) . (٢) في أمالي القالي : « ولم تبخل » . (٣) كذا
في أمالي القالي والعقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٩) وفي الأصل : « ما حقنت دمي » . وهي هنا مصدرية .

بِخُودِهِ مُتَعَبٌ شَكْرِي وَمِثَّةٌ * وَكَلَّمَا زِدْتُ شُكْرًا زَادَنِي مِثْنًا
يَرْمِي بِهِمَّتِهِ أَقْصَى مَسَافَتِهَا * وَلَا يُرِيدُ عَلَى مَعْرُوفِهِ ثَمَنًا
هذا مثل قول الأعرابي : ما زال فلانٌ يُعطيني حتى ظننتُ أنه يُودِعُنِي
ماله . وما ضاع مالٌ أورث المحامد .

ويقال : خمسة أشياء ضائعة : سراجٌ يُوقَدُ في شمسٍ ، ومطرٌ جودٌ في سبخةٍ ،
وحسناءٌ تُزْفُّ إلى عَيْنَيْنِ ، وطعامٌ أَسْتُجِيدَ وقُدِّمَ إلى سكرانٍ ، ومعروفٌ صُنِعَ إلى
مَنْ لَا شُكْرَ لَهُ .

وكان يقال : الشكرُ زيادةٌ في النعم وأمانٌ من الغير .

وقال أسماءُ بنُ خارجةٍ : إذا قُدِّمَتِ المصيبةُ تُرِكَتِ التعزيةُ ، وإذا قُدِّمَ الإخاءُ
قُبِحَ الشَّاءُ .

١٠

بَعَثَ رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ إِلَى كَاتِبٍ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : ^(١) قَدْ بَعَثْتُ
بِهَا إِلَيْكَ ، وَلَا أَقَلِّلُهَا تَكْبَرًا ، وَلَا أَكْثَرُهَا تَمَنُّنًا ، وَلَا أَسْتَشِيكَ عَلَيْهَا ثَنَاءً ، وَلَا أَقْطَعُ عَنْكَ
بِهَا رَجَاءً .

١٥

وَفِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : لِاثْنَاءٍ مَعَ كِبَرٍ . وَفِيهِ : سِتَّةُ أَشْيَاءَ لَا ثَبَاتَ لَهَا : ظِلُّ الْغِيَامِ ،
وَحُلَّةُ الْأَشْرَارِ ، وَعِشْقُ النِّسَاءِ ، وَالْمَالُ الْكَثِيرُ ، وَالسُّلْطَانُ الْجَائِرُ ، وَالثَّنَاءُ الْكَاذِبُ .
وَالْعَرَبُ تَقُولُ : « لَا تَهْرُفُ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ » أَيْ لَا تُطِنِّنَ فِي الثَّنَاءِ قَبْلَ
الْأَخْتِبَارِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَكَتَبَ إِلَيْهِ » . (٢) هَذِهِ الرِّوَايَةُ أَشَارَ إِلَيْهَا صَاحِبُ اللِّسَانِ فِي مَادَّةِ

« هَرَفَ » وَفِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ لِلْيَدَانِيِّ : « لَا تَهْرَفْ بِمَا لَا تَعْرِفُ » وَهِيَ الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ .

وكتب أبو نؤاس من الحبس الى الفضل بن الربيع :

ما من يد في الناس واحدة * كسيد أبو العباس مولاها
نام الثقات على مضاجعهم * وسرى الى نفسى فاحياها
قد كنت خفتك ثم آمنى * من أن أخافك خوفاً لك الله
فغفوت عني عفواً مقتديراً * وجبت له نعم فالغاهها

والبيت المشهور في هذا قول النجاشي :

لا تحمدن أمراً حتى تجربنه * ولا تذمنن من لم يبله الخبر

وقال آخر في الاختبار :

إن الرجال إذا اختبرت طباعهم * ألفتهم شئى على الأخبار
لا تعجلن الى شريعة مؤيد * حتى تبين خطة الإصدار

وقال الرياشي : أنشدني أبو العالية :

إذا أنا لم أشكر على الخير أهله * ولم أذم الحبس اللئيم المذمم^(٢)
فقيم عرفت الخير والشر بآية * وشق لي الله المسامع والفما

قال ابن التوام : كل من كان، جوده يرجع اليه، ولولا رجوعه اليه لما جاد عليك، ولو تها له ذلك المعنى في سواك لما قصد اليك، فليس يجب له عليك شكر. وإنما يوصف بالجوود في الحقيقة ويشكر على النفع في حجة العقل، الذي إن جاد عليك فلك جاد، ونفعك أراد، من غير أن يرجع اليه جوده بشيء من المنافع على جهة من الجهات، وهو الله وحده لا شريك له. فإن شكرنا الناس على بعض ما جرى لنا على

(١) في زهر الآداب للحصري (ج ١ ص ٢٥٠) : « إذا أنا لم أمدح » . (٢) الحبس :

أيديهم ، فلا مُرَيْن : أحدهما التعبد ، وقد أمر الله تعالى بتعظيم الوالدين وإن كانا شيطانين وتعظيم من هو أسنُّ منا وإن كنا أفضل منه . والآخر : لأن النفس مالا تُحصِّلُ الأمور وتميِّز المعاني ، فالسابق إليها حُبٌّ من جرى لها على يديه الخير وإن كان لم يُرِدْها ولم يقصد إليها . ألا ترى أن عطية الرجل صاحبه لا تخلو أن تكون لله أو لغير الله ، فإن كانت لله فثوابه على الله ، وكيف يجب في حجة العقل شكره وهو لو صادف ابن سبيل غيري لما أعطاني ، وإما أن يكون إعطاؤه إياي للذكر ، فإن كان كذلك فإنما جعلني سُلماً إلى حاجته وسبباً إلى بُغيته ، أو يكون إعطاؤه إياي طلباً للكفاة ، فإنما ذلك تجارة ، أو يكون إعطاؤه لخوف يدي أو لسانى أو آجتار معونتى ونصرتى ، وسبيل هذا معروف ، أو يكون إعطاؤه للرحمة والرقّة ولما يجد في فؤاده من العصر والألم ، فإنما داوى بتلك العطية من دائه ورفه من خناقه .

١٠

وكان محمد بن الجهم يقول : نحو هذا قول الشاعر :

(٢) لَعَمْرُكَ مَا النَّاسُ أَشْتَوْا عَلَيْكَ * وَلَا عَظَمُوكَ وَلَا عَظَّمُوا
وَلَا شَايَعُوكَ عَلَى مَا بَلَغَ * تَتَّ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَلَا قَدَّمُوا
وَلَوْ وَجَدُوا لَهُمْ مَطْعَنًا * إِلَى أَنْ يَعْيبُوكَ مَا جَمَعُوا
وَلَكِنْ صَبَرْتَ لِمَا أَلْزَمُوكَ * وَجَدْتَ بِمَا لَمْ يَكُنْ يَلْزَمُ
وَكَانَ قِرَاكَ إِذَا مَا لَقُوكَ * لِسَانًا بِمَا سَرَّهُمْ يُنْعِمُ
وَخَفَضَ الْجَنَاحَ وَوَشَكَ النِّجَاحَ * وَتَصَغِيرَ مَا عَظَّمَ الْمُنْعِمُ
فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ أَلْجَأْتَهُمْ * إِلَى أَنْ يُجَالُوا وَأَنْ يُنْعَمُوا

١٥

وقال خلف بن خليفة الأقطع :

وَفِي الْيَأْسِ مَنْ أَنْ تَسْأَلَ النَّاسَ رَاحَةً * تَمِيتُ بِهَا عُسْرًا وَيُحْيِي بِهَا يُسْرًا

٢٠

(١) فى الأصل : « وكيف يجب على حجة العقل » . (٢) كذا بالأصل ، والتكرار هنا غير مستساغ ، ولعل فيه تحريفا من النسخ فى الكلمة الأولى بأن يكون أصلها « بجلوك » مثلا ، أو فى الكلمة الثانية بأن يكون أصلها « نظموا » أى أكثروا من نظم المدايح فيك .

وليس يد أوليتها بغنيمة * اذا كنت تبغى أن يعاد لها شكرا
غنى النفس يكفى النفس ما سد فاقة * فإن زاد شيئا عاد ذلك الغنى فقرا
قال ابن عائشة : باغنى أن عبد الرحمن بن حسان سأل بعض الولاة حاجة فلم
يقضها له ، فسألها آخر فقضاهها له ، فقال :^(١)

دُميت ولم تُحمد وأدركت حاجتى * تولى سواكم أجرها وأصطناعها
أبى لك كسب الحميد رأى مقصر * ونفس أضاق الله بالخير باعها
اذا هى حثته على الخير مرة * عصاها وإن همت بشر أطاعها
وقال ابن عائشة : قال رجل يوما لابن عيينة : ما شئ تُحدثونه يا أبا محمد ؟
قال : ما هو ؟ قال : يقولون إن الله تعالى يقول : أئما عبد كانت له الى حاجة
فشغله الشئ على عن سؤال حاجته ، أعطيته فوق أمنيته ، فقال له : يا بن أنحى ،
وما تُكر من هذا ! أما سمعت قول أمية بن أبى الصلت فى عبد الله بن جُدعان :
اذا أثنى عليه المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

فكيف بأكرم الأكرمين !

وكان يقال : فى طلب الرجل الحاجة الى أخيه فتنة : إن هو أعطاه حمد غير
الذى أعطاه ، وإن منعه دَم غير الذى منعه .

حدثنا الرباشي قال : أنشدنا كيسان لدُكين الرابح :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل^(٢)
اذا المرء لم يضرع عن اللؤم نفسه * فليس الى حسن الثناء سبيل

(١) كذا فى أمالى القالى (ج ٢ ص ٢٢١ طبع دار الكتب المصرية) : وهو المناسب للشعر ، وفى الأصل :

« فشفع رجل فقضيت حاجته » . (٢) المعروف أن هذا البيت هو مطلع قصيدة للسموئل بن عادياة
اليهودى ، كما فى أمالى القالى وديوان الحماسة لأبى تمام وغيرهما ، والبيت الثانى يروى فى الحماسة هكذا :

وإن هو لم يحمل على النفس ضيها * فليس الى حسن الثناء سبيل

ويروى فى أمالى القالى هكذا : اذا المرء لم يحمل على النفس ضيها * فليس الى حسن الثناء سبيل

وكان يقال : أول منازل الحمد السلامة من الدم .

قال عروة بن أذينة اللثي^(١) :

لا تتركن ، إن صنيعة سلفت * منك وإن كنت لا تصغرها
إلى امرئ ، أن تقول إن ذكرت * عندك في الجدد لست أذكرها
فإن إحياءها إمانتها * وإن منّا بها يكدرها
وإن تولى امرؤ بشكر يد * فالله يجزي بها ويشكرها

ويقال : أحيوا المعروف بإمانته .

أبو سفيان الحميري قال : كان مسعدة الكاتب أبو عمرو بن مسعدة مولى
لخالد القسري ، وكان في ديوان الرسائل بواسط ، وكان موجزا في كتبه ، فكتب
إلى صديق له : أما بعد ، فإنه لن يعدمك من معروفك عندنا أمران : أجز من الله
وشكرنا . وخير مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر . والسلام .

وكتب بعض الكتاب إلى بعض العمال : وما أتأمل في وقت من الأوقات ولا يوم
من الأيام آثار أياديك لدى ، ومواقع معروفك عندي ، إلا تنبني التأمل على ما يحسر
الشكر ويثقل الظهر ، لأنك أنعشت من عثرة ، وأنقضت من سقطة ، وتلاقيت
نعمة كانت على شفا زوال ودروس ، وتلقيت ما ألقى عليك من الكل بوجه
طليق وباع رحيب^(٢) . والسلام .

(١) أذينة : لقب لأبيه . واسمه يحيى بن مالك بن الحارث اللثي . وكان عروة شاعرا غزلا من شعراء
أهل المدينة وثقة ثباتا ، روى عنه مالك وغيره من الأئمة رضى الله عنهم (راجع كتاب التنبيه على أوهام أبي علي
في أماليه ص ٢٦ طبع دار الكتب المصرية) وترجمته في كتاب الأغاني (ج ٢١ ص ١٦٢ طبع أوربا) .

(٢) في الأصل : «وبال» .

الترغيب في قضاء الحاجة وأصطناع المعروف

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا داود بن المحبر عن محمد بن الحسن الهمداني عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ تَرَكَ مَعُونَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَالسَّعَى مَعَهُ فِي حَاجَتِهِ قُضِيََتْ أَوْ لَمْ تُقْضَ كُلَّفَ أَنْ يَسْعَى فِي حَاجَةٍ مَنْ لَا يُؤْجِرُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ الْجُلُوحَ لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهُ لَمْ تُقْضَ حَاجَتُهُ حَتَّى يَرَى رِءُوسَ الْمَخْلُوقِينَ " .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا ابن عيينة عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبيه عن جده عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اسْقَعُوا إِلَى وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ مَا شَاءَ " .

بلغني عن جعفر بن أبي جعفر المازني عن ابن أبي السري عن إبراهيم بن أدهم عن منصور بن المعتمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنْ أُحِبِّتَ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ فَأَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ أُحِبِّتَ أَنْ يُحِبَّكَ النَّاسُ فَلَا يَقَعْ فِي يَدِكَ مِنْ حُطَامِهَا شَيْءٌ إِلَّا نَبَذَتْهُ إِلَيْهِمْ " .

حدثني محمد بن داود عن محمد بن جابر قال : قال ابن عيينة : ليس أقول لكم إِلَّا مَا سَمِعْتُ : قِيلَ لِابْنِ الْمُنْكَدِرِ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِدْخَالُ السَّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ . وَقِيلَ : أَيُّ الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْإِفْضَالُ عَلَى الْإِخْوَانِ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثنا زهير العطاردی^(١) قال : صلى بنا أبو رجاء العطاردی العتمة ثم أوى إلى فراشه ، فأنثته امرأة فقالت : أبا رجاء ، إن

(١) ورد هذا الاسم بالأصل هكذا : « زريك » بالكاف وهو تحريف ، فقد جاء في القاموس وشرحه مادة زور : « سلم بن زير يحكي من تابعي التابعين عطاردی بصرى سمع أبا رجاء العطاردی » .

لطارق الليل حقًا، وإن بنى فلان خرجوا إلى سفوان^(١) وتركوا كتبهم وشيئا من متاعهم؛
فانتعل أبو رجاء وأخذ الكتب وأداها وصلى بنا الفجر، وهو مسيرة ليلة للإبل،
والناس يقولون : إنها أربعة فراسخ .

حدثني أحمد بن الحليل عن محمد بن سعيد قال حدثنا ابن المبارك عن حميد
عن الحسن قال : لَأَنْ أَقْضِيَ حَاجَةً لِأَخٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتَكِفَ سَنَةً .

قال ابن عائشة : كان عمرو بن معاوية العُقَيْلِيُّ يقول : اللَّهُمَّ بَلِّغْنِي عَثَرَاتِ
الْمَكْرَامِ .

قال المأمون لمحمد بن عباد المَهَلَّبِيِّ : أَنْتَ مِتْلَافٌ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
مَنْعَ الْمَوْجُودِ سُوءَ ظَنٍّ بِاللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

وكان ابن عباس يقول : صَاحِبُ الْمَعْرُوفِ لَا يَقَعُ، فَإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُشْكَأً. هَذَا
نَحْوُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْمَعْرُوفُ يَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ " .

وكان ابن عباس يقول أيضا : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَوْلَيْتُهُ مَعْرُوفًا إِلَّا أَضَاءَ مَا بَيْنِي
وَبَيْنَهُ، وَلَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَوْلَيْتُهُ سُوءًا إِلَّا أَظْلَمَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ .

قال جعفر بن محمد : إِنْ الْحَاجَةُ تَعْرِضُ لِلرَّجُلِ قَبْلَى فَأَبَادِرْ بِقَضَائِهَا مَخَافَةَ أَنْ
يَسْتَغْنَى عَنْهَا أَوْ تَأْتِيَهُ وَقَدْ اسْتَبْطَأَهَا فَلَا يَكُونُ لَهَا عِنْدَهُ مَوْقِعٌ .

وقال الشاعر :

وَبَادِرْ بِسُلْطَانٍ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا * زَوَالَ اقْتِدَارٍ أَوْ غَنَى عَنْكَ يَعْقِبُ

(١) سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة وبه ماء كثير السافى (التراب) .

وقال آخر في مثله :

بدأ حين أثرى بإخوانه * ففكك^(٢) عنهم شبة^(٣) العدم
وذكره الحزم غب الأمور * فبادر قبل انتقال النعم
وقرأت في كتاب للهند : من صنع المعروف لعاجل الجزاء ، فهو ككفي الحب ليصيد
به الطير لا لينفعه .

قال ابن عباس : ثلاثة لا أكافئهم : رجل بدأني بالسلام ، ورجل وسع لي
في المجلس ، ورجل أخبرني قدماء في المشي إلى إرادة التسليم عليّ ، فأما الرابع فلا
يكافئه عني إلا الله جلّ وعزّ ، قيل : ومن هو؟ قال : رجل نزل به أمر فبات ليلته
يفكر بمن يُنزله ، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي .

وقال سلم بن قتيبة^(٤) : ربّ المعروف أشدّ من ابتدائه^(٥) .

ويقال : الإبتداء بالمعروف نافله ، وربّه فريضة .

قيل لبزرجهر : هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يرزأ شيئاً ؟
قال : نعم ، من أحببت له الخير وبذلت له الودّ ، فقد أصاب نصيباً من معروفك .
قال جعفر بن محمد : ما توسّل إلى أحد بوسيلة هي أقرب به إلى ما يُحبّ من
يد سلفت مني إليه ، أتبعها أختها لأحسن ربّها وحفظها ، لأن منع الأواخر يقطع
شكر الأوائل .

قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القسريّ ، فقال خالد : إني لأبغض هذا
الرجل وماله إلى ذنب^(٦) ، فقال رجل من القوم : أوليه أيّها الأمير معروفاً ففعل ، فما لبث
أن خفّ على قلبه وصار أحد جلسائه .

(١) بدأ بمعنى بدأ بالضم ورسّل ضرورة الشعر . (٢) لعله : « ففكّل » . (٣) الشبة :
طرف الشيف رحمة ، وشبة العقرب : برتها ، والظاهر أن المراد هنا أخذني العدم وشدة وحدته .
(٤) في الأصل « سلم » وما أثبتناه هو الصواب . (٥) ربّ الشيء يربّه ربّاً : تعهده وأتممه .
(٦) في الأصل : « ومالي إليه ذنب » وهي لا تتفق والسياق .

قال ابن عباس : لا يَتَمَّ المعروف إلا بثلاث : تعجيله وتصغيره وستره ، فإنه إذا عجله هنأه ، وإذا صغره عظمه ، وإذا ستره تَمَّمه .

وقال الحرَّيمي في نحو هذا :

زاد معروفك عندي عِظاً * أنه عندك محقورٌ صغيرٌ
تَنَسَّاهُ كأنَّ لم تَأْتِه * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرٌ

وقال الطائي :

جودٌ مشيتَ به الضَّراءُ^(١) تواضعاً * وعَظُمَتَ عن ذكراه وهو عَظُمُ
أخفيتَ^(٢) نَخْفِيته وطويته * فنشِرتُه والشَّخصُ منه عَمِيمُ^(٣)

وكان يقال : سَتَرَ رجلٌ ما أُولَى ، ونَشَرَ رجلٌ ما أُولَى .

وقال رجل لبنيه : إذا آتَخذتم عند رجلٍ يدا فأنسوها . وقالوا : المنة تهديم

الصنعة . قال الشاعر :

أفسدتَ بالمنِّ ما أسديتَ من حَسَنِ * ليس الكريمُ إذا أسدى بِمَنِّانٍ
قال رجل لابن شُبْرمة : فعلتُ بفُلانٍ كذا وفعلتُ به كذا ، فقال : لا خيرَ في المعروف
إذا أُحْصِيَ .

وفي بعض الحديث : ” كُلُّ معروفٍ صَدَقَةٌ وما أنفقَ الرجلُ على أهله
ونفسه وولده صَدَقَةٌ وما وقى المرءُ به عِرْضَه فهو صدقة وكلُّ نفقة أنفقها فعلى الله
خَلْقُها مثلها إلا في معصية أو بَيَانٍ^(٤) . وفي الحديث المرفوع ” فَضْلُ جَاهِك تَعَوُّدُ به

(١) هكذا ورد هذا الشعر في ديوان أبي تمام الطائي (ص ١٥١ طبع مصر) والضراء (بفتح الضاد وتخفيف

الراء) : ما وارك من الشجر وغيره وهو أيضا : الاستخفاء والمشى فيما يواريك عن تكيده وتختله ، يقال :

لا أمشي له الضراء ولا أنراى أجاهره ولا أخاتله . (٢) نخفيته : أظهرته . (٣) العميم :

الطويل التام . (٤) قال العريزي في شرحه لهذا الحديث : إنه البَيَان الذي لم يقصده وجه الله تعالى .

على أخيك صدقة منك عليه وليسأنتك تُعبر به عن أخيك صدقة منك عليه وإما طنتك
الأذى عن الطريق صدقة منك على أهله .
وكان يقال : بذل الجاه زكاة الشرف .

وقال بعض الشعراء :

وليس فتي الفتيان من راح وأغتدى * لشرب صَبُوح^(١) أو لشرب غُبُوقِ
ولكن فتي الفتيان من راح وأغتدى * لِضَرِّ عدوٍّ أو لنفع صديق
قال ابن عباس : لا يُزهدنك في المعروف كفر من كفره ، فإنه يشكرك عليه من
لم تصطنعه إليه .

وقال حماد عجرد :

إن الكريم ليخفي عنك عُسْرَتَه * حتى تراه غنيًا وهو مجهود
إذا تكرمت أن تُعطى القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
وللبخيل على أمواله حالٌ * زرق العيون عليها أوجه سود
أورق بخير تُرجى للنوال فما * تُرجى الثمار إذا لم يُورق العود
بثّ النوال ولا تمنعك قِلَّتُه * فكل ما سدد فقرا فهو محمود
والعرب تقول : ^(٢) « من حقر حرم » .

حدثني عبد الرحمن عن عمه قال : قال سلم بن قتيبة : أحدهم يُحقّر الشيءَ فيأتي
ما هو شر منه ، يعني المنع .

وقال الشاعر :

(١) الصبوح : ما شرب من اللبن بالغداة فما دون القائمة ، والغبوق : ما شرب بالعشي . (٢) هذا
مثل ذكره الميداني وشرحه بقوله : يقال : حقّره واحتقرته إذا عدّته حقيرا أي من حقير يسيرا ما يقدر
عليه ولم يقدر على الكثير ضاعت لديه الحقوق . وفي الحديث : « لا تردوا السائل ولو بظلف محرق » .

وما أبالي إذا ضيِّفَ تضيِّفَنِي * ما كان عندي إذا أعطيتُ مجهودي
جُهدُ المِقْلِ إذا أعطاك مُضْطَرِياً * ومُكثِرٌ من غِنَى سِيَانٍ في الجُودِ
وفي الحديث المرفوع "أفضلُ الصَّدقةِ جُهدُ المِقْلِ" .
وقال البريقُ الهُدليُّ :

أبو مالكٍ قاصِرُ فقره * على نفسه ومُشيعِ غناه

وكان خالد بن عبد الله يقول على المنبر : أيها الناس عليكم بالمعروف ، فإنَّ فاعل
المعروف لا يَعدَمُ جَوَازِيهَ ، وما ضَعَّفَ النَّاسُ عن أدائه قَوِيَ اللهُ على جَوَازِيهَ ، والبيت
المشهور في هذا قول الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعدَمُ جَوَازِيهَ ^(١) * لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

ويقال : إنه في بعض كتب الله عز وجل .

قال وهب بن منبه : إن أحسنَ الناسَ عيشاً من حَسَنَ عيشِ النَّاسِ في عَيْشِهِ ،
وإنَّ مِنَ اللَّذَّةِ الْإِفْضَالِ على الإِخْوَانِ . وفي الحديث المرفوع "إِنَّمَا لَكَ مِنْ
مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ وَمَا سِوَى ذَلِكَ
فَهُوَ مِلْكُ الْوَارِثِ" .

وقال بشار :

أَنْفِقِ الْمَالَ وَلَا تَشْقَ بِهِ * خَيْرُ دِينَارِكَ دِينَارٌ نَفَقَ ^(٢)

قال بُرْزُ جَمْهَرٍ : إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَيْكَ الدُّنْيَا فَأَنْفِقْ فَإِنَّهَا لَا تَفْنَى وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْكَ
فَأَنْفِقْ فَإِنَّهَا لَا تَبْقَى . أَخَذَهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فَقَالَ :

(١) قال ابن جني : ظاهر هذا أن تكون جوازيه جمع جاز أي لا يعدم جزء عليه ، جزء على جواز
لمشابهة اسم الفاعل للصدر ، فكما جمع سبل على سوائل ، كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزء (انظر
اللسان مادة جزي) . (٢) يروى : « ليس لك من مالك إلا ما أكلت الخ » . (٣) نفقت
الدراهم (بفتح عين الفعل وكسرها) : فنتيت وذهبت .

فأنفق إذا أنفقت إن كنت مؤسراً * وأنفق على ما خيلت حين تُعسر^(١)
فلا الجود يُفني المال والجُدُّ مقبِلٌ * ولا البخل يُبقي المال والجُدُّ مُدِيرٌ

وفي "كتاب كيلة" : لا يُعدَّ عائِشاً من لا يُشارك في غناه .

مرَّ الحسنُ برجلٍ يقلب درهماً ، فقال له : أُنحِبْ درهمَكَ هذا؟ قال : نعم ،

قال : أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك .

قال الربيعُ بن خَئِمٍ لأخيه : كن وصيَّ نفسك ولا تجعل أوصياءك الرجال .

وقال بعضُ الشعراء :

سأحبس مالى على حاجتي * وأؤثر نفسي على الوارث
أعاذلُ عاجلُ ما أشتي * أحبُّ من المبطيِّ الرائيث

قال عبيد الله بن عكرَّاش : زَمَنُ خَوْنٍ ، ووارِثُ شَفْوَنٍ^(٢) ، فلا تأمن الخوون

وكن وارِثَ الشَّفْوَنِ .

وقال أبو ذرٍّ : لك في مالك شريكان إذا جاءا أخذاً ولم يؤامراك : الحسدَّان

والقدَرُ ، كلاهما يمز على الغث والسمين ، والورثة ينتظرون متى تموت فيأخذون ماتحت

يديك وأنت لم تقدّم لنفسك ، فإن استطعت ألا تكون أخسَّ الثلاثة نصيباً فافعل .

وقال سعيد بن العاص في خطبة له : من رزقه الله رزقاً حسناً فليكن أسعد^(٣)

الناس به فإنه إنما يترك لأحد رجلين : إما مصلح فلا يقل عليه شيئاً ، وإما مُفسِدٌ

فلا يبقى له شيء . فقال معاوية : جمع أبو عثمان طرفي الكلام .

(١) على ما خيلت أى شبهت ولونت ، ومعناه على أى حال . (٢) الشفون : الذى ينظر

إليك كالنكارة أو المبعوض . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٠٦) والعقد الفريد (ج ١ ص ٨٤) :

« فليبقى منه سرّاً وجهراً حتى يكون أسعد الناس به » .

وقال حطائط بن يعفر :

ذريني أكن للمال رباً ولا يكن * لي المال رباً تَحْمَدِي غِبْه غدا
أريني جوادا مات هزلاً لعلى * أرى ما ترين أو بجيلاً مخلداً
وقلت ولم أغنى الجواب تبني * أكان الهزال حتف زيد وأربدا

قال أعرابي : الدراهم ميسم تسم حمداً أو ذمماً ، فمن حبسها كان لها ، ومن
أنفقها كانت له ، وما كل من أعطى مالا أعطى حمداً ، ولا كل عديم ذميم .

وقال بعض المحدثين :

أنت لئال إذا أمسكتك * فإذا أنفقتك فالمال لك

حدثني يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال : حدثنا النعمان بن هلال عن عبد الله

ابن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تَتَرَلُّ
المعونة على قدر المؤونة " .

قال معاوية لوردان مولى عمرو بن العاص : ما بقي من الدنيا تلذّه ؟ قال :

العريض الطويل ؛ قال : وما هو ؟ قال : الحديث الحسن أو ألقى أخا قد نكبه
الدهر فأجبره ؛ قال : نحن أحقّ بهما منك ؛ قال : إن أحقّ بهما منك من سبقك
اليهما .

وقال أعرابي :

وما هذه الأيام إلا معارة * فما أسطعت من معروفها فتزود
فإنك لا تدري بأية بلدة * تموت ولا ما يحدث الله في غد
يقولون لا تبعد ، ومن يك بعده * ذراعين من قرب الأجابة يبعد

وقال آخر :

إن كنت لا تبذل أو تسأل * أفسدت ما أعطى بما تفعل

قال بعضهم : مضى لنا سلف أهل تواصيل ، اعتقدوا ميتنا ، واتخذوا أيادي ذخيرة لمن بعدهم : كانوا يرون أصطناع المعروف عليهم فرضا ، وإظهار البر حقا واجبا ، ثم حال الزمان بنشء اتخذوا منهم صناعة ، وبرهم مراجعة ، وأيديهم تجارة وأصطناع المعروف مقارضة كنقد السوق خذ مني وهات .

قال العُتبي : وقع ميراث بين ناس من آل أبي سفيان وبني مروان ، فتشاحوا فيه ، فلما أنصرفوا أقبل عمرو بن عُتبة على ولده ، فقال لهم : إن لقريش درجا تزلق عنها أقدام الرجال ، وأفعالا تخشع لها رقاب الأموال ، وألسنا تكمل معها الشفار المشحوذة ، وغايات تقصر عنها الجياد المنسوبة ؛ ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سعة أحلامهم ، ولو احتفلت ما تزيّنت إلا بهم . ثم إن ناسا منهم تخلقوا بأخلاق العوام ، فصار لهم رفق باللؤم وخرق في الحرص ، لو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقها ؛ إن خافوا مكروها تعجلوا له الفقر ، وإن عجلت لهم نعمة أخرّوا عليها الشكر ، أولئك أنضاء فكر الفقر وعجزة حملة الشكر ^(١) .

قال بعض الجحازيين :

فلو كنت تطلب شأ الكرام * فعلت كفعيل أبي البختري
تتبع إخوانه في البلاد * فاعنى المقل عن الكثير

القناعة والاستعفاف

حدثني شيخ لنا عن وكيع عن ابن أبي ذئب عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن ابن يزيد عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(٢) "من يتقبل لي بواحدة

(١) في العقد الفريد : «فكرة الفقر» . (٢) في تهذيب التهذيب للعسقلاني في الكلام على عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، أورد هذا الحديث بالهامش هكذا : "من يتقبل لي بواحدة أتقبل له بالجنة" قلت : ما هي ؟ قال "لا تسأل الناس شيئا" .

وَأَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْحَنَّةِ“ فَقَالَ ثَوْبَانُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : ”لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا“
فَكَانَ ثَوْبَانُ إِذَا سَقَطَ سَوْطُهُ مِنْ يَدِهِ نَزَلَ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَسْأَلِ أَحَدًا أَنْ يُنَاولَهُ إِيَّاهُ .
وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَارِثِيِّ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ رِزْقِهِ حِجَابٌ ، فَإِنْ اقْتَصَدَ أَتَاهُ رِزْقُهُ
وَإِنْ اقْتَضَحَ هَتَكَ الْحِجَابَ وَلَمْ يُزِدْ فِي رِزْقِهِ .

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ وَكِيعٍ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي مَعْنٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيِّ
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”إِنَّ الصِّفَا الزَّلَالَ^(١) الَّذِي لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ
أَقْدَامُ الْعُلَمَاءِ الطَّمْعُ“ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ”إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ
نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ“ .

قال ابن حازم :

لِلنَّاسِ مَالٌ وَلِي مَالَانِ مَا لَهُمَا * إِذَا تَحَارَسَ أَهْلُ الْمَالِ أَحْرَاسُ
مَالِي الرِّضَا بِالَّذِي أَصْبَحَتْ أَمْلِكُهُ * وَمَالِي الْيَأْسُ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ
أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي حَازِمٍ الْمَدَنِيِّ ، وَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمُلُوكِ : مَا مَالُكَ ؟ قَالَ :
الرِّضَا عَنْ اللَّهِ ، وَالْغِنَى عَنِ النَّاسِ .

وقال بشر بن بشر :

وَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ فَسْكَاهَةِ جَارِقِي * وَإِنِّي لَمُشْنُوءٌ إِلَى اغْتِيَابِهَا
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا * زُءُورًا وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَى كَلَابِهَا

(١) الصفا الزلال : الأملس من الحجارة . (٢) في الجامع الصغير « حتى تستكمل

أجلها وتستوعب رزقها » . (٣) كذا في الأصل ولم نجد في كتب الأدب التي بين أيدينا شاعرا

بهذا الاسم ، وقد نسب البيت الأخير من هذه الأبيات « إذا سَدَّ ... الخ » في حماسة البحترى (ص ٢٤٢) ٢٠
طبع أوروبا) لزياد بن منقذ التميمي .

ولم أكنُ طَلَّابًا أَحَادِيثَ سِرِّهَا * وَلَا عَلِيمًا مِنْ أَى حَوْلِكَ ثِيَابَهَا
وإنَّ قِرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْؤُهُ * وَيَكْفِيكَ سُوءَ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
إِذَا سُدَّ بَابُ عَنْكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ * فَذَرَهَا لِأُخْرَى لَيْسَ لَكَ بِأُهَا
وقال ابن أبي حازم ^(١) :

أَوْجَعُ مِنْ وَخْرَةِ السِّنَانِ * لَذَى الْجَمَا وَخْرَةُ اللِّسَانِ
فَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَأَسْتَعْنَهُ * فَإِنَّهُ خَيْرٌ مُسْتَعَانِ
وإن نَبَا مَنَزَلٌ بِحُرٍّ * فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
لَا يَثْبُتُ الْحَرُّ فِي مَكَانٍ * يُنْسَبُ فِيهِ إِلَى الْهَوَانِ
الْحَرُّ حَرٌّ وَإِنْ تَعَدَّتْ * عَلَيْهِ يَوْمًا يَدُ الزَّمَانِ

حدثني محمد بن داود عن جابر بن عثمان الحنفى عن يوسف بن عطية قال حدثني
المعلّى بن زياد القردوسى ^(٢) : أن عامر بن عبد قيس العنبرى كان يقول : أربع آيات
من كتاب الله إذا قرأتهنَّ مساءً لم أبال على ما أمسى ، وإذا تلوتهنَّ صباحاً لم أبال على
ما أصبح : « مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ
مِنْ بَعْدِهِ » . « وَإِنْ يُرْذَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ » . « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا » . « سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ
عُسْرٍ يُسْرًا » .

حدثني عبد الرحمن عن بشر بن مصلح قال قال إبراهيم بن أدهم : لا تجعل بينك
وبين الله مَنَعًا عَلَيْكَ ، وَعَدَّ النِّعَمَ مِنْهُ عَلَيْكَ مَغْرَمًا .

(١) تقدّم هذا الشاعر في الصفحة السابقة باسم «ابن حازم» ولم ندر هل هما لشخصين أم لشخص واحد ، وقد بحثنا عن هذه الأبيات لتحرى عن تحقيق هذا الاسم فلم نجدها . (٢) كذا في الخلاصة في أسماء الرجال للجزرجى بضم القاف . وفي الأصل : « الفردوسى » بالفاء وهو تحريف . (٣) كذا في البيان والتبيين . وفي الأصل : « وأعدد النعم منهم مغنما » .

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال : أبرع بيت قالته العرب بيت أبي ذؤيب الهذلي :

والنفس رغبة إذا رغبته * وإذا تردت إلى قليل تقنع

قال أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو الصقفار عن الحجاج بن الأسود قال : احتاجت عجوز من العجيز القديم ، قال : فخرعت إلى المسألة ، ولو صبرت لكان خيرا لها . ولقد بلغني أن الإنسان يسأل فيمنع ، ويسأل فيمنع ، والصبر منتبذ ناحية يقول : لو صرت إلى لكفيتك .

وكان يقال : أنت أخو العز ما ألتحفت القناعة ، ويقال : اليأس حر والرجاء عبد .

وقال بعض المفسرين في قول الله عز وجل : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ قال :

بالقناعة .

وقال سعد بن أبي وقاص لأبيه عمر : يا بني إذا طلبت الغنى فأطلبه بالقناعة ، فإن لم تكن لك قناعة فليس يغنيك مال .

وقال عمرو بن أذينة :

لقد علمت — وما الإسراف في طمع — * أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنيني تطلبه * ولو قعدت أتاني لا يعنيني

وقال أبو العتاهية :

إن كان لا يغنيك ما يكفيك * فكل ما في الأرض لا يغنيك

(١) ورد هذا البيت في العقد الفريد هكذا :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزقي وإن لم يأت يأتيني

(٢) أورد الجاحظ في البيان والتبيين عبارة منسوبة للحسن تشبه شعر أبي العتاهية وهي : « ان كان يغنيك

من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك » .

وقال بعضهم : الغنى والفقر يجولان فى طلب القناعة فإذا وجداها قطنها .
 حجت أعرابية على ناقة لها ، فقيل لها : أين زائدك ؟ قالت : ما هى إلا
 ما فى ضرعها . وقال الشاعر :

يا رُوحَ مَنْ حَسَمَتْ قَناعَتُهُ * سَبَبَ المطامِعِ مَنْ غَدِ وغَدِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مُتَّبِعًا * لَمْ يُمْسِ مُحْتَاجًا إِلَى أَحَدٍ

وقال أَرْدَشِيرُ : خَيْرُ الشَّيْمِ القَناعَةُ ، ونماء العقل بالتعلم .

وقال التَّمِيمُ بْنُ تَوَلَّبٍ :

وَمَتَى تُصِيبَكَ خَصاصةٌ فَأَرْجُ الغِنَى * وإلى الذى يَهَبُ الرِّغائبَ فَأَرْغَبِ
 لا تَغْضِبَنَّ عَلَى أَمْرِيَّ فى مالِهِ * وعلى كرائمِ صُلْبِ مالِكَ فَأَغْضَبِ

وقال أبو الأسود :

ولا تَطْمَعَنَّ فى مالِ جارٍ لِقُرْبِهِ * فكلُّ قَرِيبٍ لا يُنَالُ بَعِيدُ

وقال كعبُ بن زُهَيْرٍ :

قد يَعُوزُ الحازِمُ المَحْمُودُ نَيْتُهُ * بعدَ الثَّراءِ وَيُثْرِى العاجِزُ الحَقِيقُ
 فلا تَخافِ علينا الفقرَ وَأَنْتَظِرِ * فَضَلَ الذى بالغِنى مِنْ فَضْلِهِ نَثَقُ

وشكا رجلٌ الى قومٍ ضيقًا فقال له بعضهم : شكوتَ مَنْ يَرْحَمُكَ الى مَنْ
 لا يَرْحَمُكَ .

وقال هشامُ بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة : سائى حاجتك ، قال :
 أَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ فى بَيْتِ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ . ورأى رجلاً يسألُ فى المَوْقِفِ فقال : أفى مثل
 هذا الموضع تسألُ غَيْرَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا ! .

وقال ابن المعتدل :

تَكَلَّفَنِي إِذْ لَالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا * وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أَهَانَ لِتَكْرُمَا

تقول سهل المعروف يحيى بن أكرم * فقلت سألته ربه يحيى بن أكرم

وقال ابن عباس : المساكين لا يعودون مريضاً ولا يشهدون جنازةً، وإذا

سأل الناس الله سألوا الناس .

وكان الحسن يطرد السؤال يوم الجمعة، ولا يرى لهم جمعة .

وقال بعض الشعراء :

حب الرئاسة داء لا دواء له * وقيل ما تجد الراضين بالقسم

وقال محمود الوراق :

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * عن كل طالب حاجة أوراغ

غالوا بأبواب الحديد لعزها * وتتوقوا^(١) في قبح وجه الحاجب

وإذا تطفب للدخول اليهم * راج تلقوه بوعد كاذب

فأرغب إلى ملك الملوك ولا تكن * إذا الضراعة طالب من طالب

وجد على ميل في طريق مكة^(٢) :

ألا يا طالب الدنيا * دع الدنيا لشانها

إلى كم تطلب الدنيا * وظل الميل يكفيها^(٣)

قال مطرف بن عبد الله لابن أخيه : إذا كانت لك إلى حاجة فاكْتُبْ بها رُقعة

فإنني أضن بوجهك عن ذل السؤال .

(١) تتوقوا : تأفقوا ، يقال : تتوق في مطعمه وملبسه وأمره إذا تجرد وبالغ فيها .

(٢) الميل : مناريتي للسافر في أنشاز الأرض وأشرافها . (٣) هذان البيتان نسبا في الأغاني

(ج ٣ ص ١٦٧ طبع بولاق) لأبي العنانية . (٤) في الأغاني : * وما تصنع بالدنيا *

وقال أبو الأسود :

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كُنْتَ مَادِحًا * بِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالرَّجْعُ وَإِفْرُ

وكان معاوية يتنزل بهذين البيتين :

وَقَتِّي خَلَا مِنْ مَالِهِ * وَمَنْ الْمَرْوَةُ غَيْرُ خَالِي

أَعْطَاكَ قَبْلَ سَأْأَلِهِ * فَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السَّأْأَلِ

وقال آخر :

أَبَا مَالِكٍ لَا تُسْأَلِ النَّاسَ وَأَتِمِّسْ * بِكَفَيْكَ سَيِّبَ اللَّهِ فَاللَّهُ أَوْسَعُ

فَلَوْ تُسْأَلِ النَّاسَ التَّرَابَ لَا تُشْكُوا * إِذَا قُلْتَ هَاتُوا أَنْ يَمِيلُوا فَيَمْنَعُوا^(١)

والمشهور في هذا قول عبيد :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ * وَسَأَلُ اللَّهِ لَا يَنْجِبُ

قال سليمان لأبي حازم : سَلْ حَوَائِجَكَ ؛ فَقَالَ : قَدْ رَفَعْتُمَا إِلَى مَنْ لَا تُخَذَلُ^(٢)

الحوائج دونه .

قال بعضُ المفسرين في قول الله عز وجل : (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أى المخلوق

يَرْزُقُ فَإِذَا سَخِطَ قَطَعَ رِزْقَهُ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْخِطُ وَلَا يَقْطَعُ .

وقال الشاعر :

لَا تَضُرَّ عَنِّ الْمَخْلُوقِ عَلَى طَمَسِيعِ * فَإِنَّ ذَلِكَ وَهْنٌ مِنْكَ بِالْدِّينِ

وَأَسْتَرْزِقُ اللَّهَ رِزْقًا مِنْ نَحَائِئِهِ * فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنَّوِينِ

(١) روى هذا البيت في لسان العرب مادة «رشك» وشرح الأشموني ج ١ ص ٣١٥ طبع بولاق :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا * إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

(٢) كذا في كتاب الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١٧٢) وفي الأصل : «تخزل» .

وقال الخليل بن أحمد :

أبلغ سليمان أتى عنه في سعة * وفي غنى غير أنى لست ذا مال
شعاً بنفسى ، إني لا أرى أحداً * يموت هزلاً ولا يبقى على حال
فالرزق عن قدر لا الضعف يمنعه * ولا يزيدك فيه حول محتال

وقال المعلوط :

متى ما ير الناس الغنى وجاره * فقير يقبلوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن حظوظ قسمت وجدود

وقال آخر :

يخبى الفتى من حيث يرزق غيره * ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه

وقال أبو الأسود :

ليتك آذنتني بواحدة * تجعلها منك سائر الأبد
تحلف ألا تبرئ أبداً * فإن فيها برداً على كبدى
إن كان رزقي إليك فأرم به * فى ناظرى حية على رصدي

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حرفة يقال فيها خير من مسألة الناس .

١٥ (١) هو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان والى فارس والأهواز ، فكتب الى الخليل بن أحمد يستدعى حضوره ، وكان له راتب على سليمان المذكور ، فكتب الخليل جوابه : أبلغ سليمان ... الأبيات ، فقطع عنه سليمان الراتب ، فقال الخليل :

ان الذى شق فى ضامن * للرزق حتى يتوفانى

حرمنى مالا قليلا فما * زادك فى مالك حرمانى

٢٠ فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب الى الخليل يعتذر اليه وأضعف راتبه . (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٣ طبع بولاق) .

وقال سعيد بن العاص : مَوْطِنَانِ لَا أَسْتَحْيِي مِنْ الْعِيِّ فِيهِمَا : عِنْدَ مُحَادَلَتِي
جَاهِلًا ، وَعِنْدَ مَسْأَلَتِي حَاجَةً لِنَفْسِي .

حدَّثني محمد بن عبيد عن أبي عبد الله عن محمد بن عبد الله بن واصل قال :
جاء رجلٌ إلى شريحٍ يَسْتَقْرِضُ دَرَاهِمَ ، فَقَالَ لَهُ شَرِيحٌ : حَاجَتُكَ عِنْدَنَا فَأَتِ
مَنْزَلَكَ فَإِنَّهَا سِتَاتِيكَ ، إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ يَلْحَقَكَ ذُلُّهَا .

حدَّثني الرِّيَاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ حَكِيمِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ
أَوْصَى بَنِيهِ عِنْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ : إِيَّاكُمْ وَالْمَسَالَةَ ، فَإِنَّهَا آخِرُ كَسْبِ الرَّجُلِ .

وقال بعضُ المحدثين :

عَوَدْتُ نَفْسِي الضَّيِّقَ حَتَّى أَلْفَتْهُ * وَأَخْرَجَنِي حَسَنُ الْعِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ قَلْبِي لِلْأَذَى الْأَنْسُ بِالْأَذَى * وَقَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا يَضِيقُ بِهِ صُدْرِي
وَصَيَّرَنِي يَا سَيِّ مِنْ النَّاسِ رَاجِيًا * لِسُرْعَةِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي

وقال آخر :

حَسْبِيَ بَعْلَمِي لَوْ نَفَعُ * مَا أَلْثُلُ إِلَّا فِي الطَّمَعِ
مَنْ رَاقِبَ اللَّهَ تَزَعُ * عَنْ قُبْحِ مَا كَانَ صَنَعُ
مَا طَارَ شَيْءٌ فَأَرْتَفَعُ * إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعُ

(١) هكذا ورد هذا البيت في الأصل وقد دخله الخرم ، وورد في الأغاني (ج ٣ ص ١٧٢ طبع

بولاقي) :

تعودت من الصبر حتى ألفتة * وأسألتني حسن العزاء إلى الصبر

(٢) في الأغاني : «لحسن صنيع الله ...» .

الحِرْصُ والإِلْحَاحُ

لما قَتَلَ كَسْرَى بُزْرَجِيهْرَ وَجَدَ فِي مِثْقَلِيهِ كِتَابًا : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ
حَقًّا فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْعَدْرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا
كَانَ الْمَوْتُ لِكُلِّ أَحَدٍ رَاصِدًا فَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حَقٌّ .

وقال بعض الشعراء :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ * وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُوءٌ
وَفِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : لَا يُكْثِرُ الرَّجُلُ عَلَى أَخِيهِ الْحَوَائِجَ ، فَإِنَّ الْعِجَلَ إِذَا أَفْرَطَ
فِي مَصِّ أُمِّهِ نَطَحَتْهُ وَنَحَّتْهُ .

وقال عدي بن زيد :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُبِطِيُّ مِنْ حِظِّهِ * وَالرِّزْقُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الْحَرِصِ
وقال ابن المقفع : الْحِرْصُ مُحَرَّمَةٌ ، وَالْحُبْنُ مَقْتَلَةٌ ، فَانْظُرْ فِيمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ
أَمَّنْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ مُقْبِلًا أَكْثَرُ أَمْ مَنْ قُتِلَ مُدِيرًا ، وَانْظُرْ مَنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ
وَالْتَكْرَمِ أَحَقُّ أَنْ تَسْخَوْ نَفْسَكَ لَهُ بِالْعَطِيَّةِ أَمْ مَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ بِالشَّرِّ وَالْحِرْصِ .

وقال الشاعر :

كَمْ مِنْ حَرِيصٍ عَلَى شَيْءٍ لِيُدْرِكَهُ * وَعَلَّ إِدْرَاكَهُ يُدْنِيهِ إِلَى عَظِيئِهِ

وقال آخر :

وَرُبَّ مُلِحٍّ عَلَى بُغْيَةٍ * وَفِيهَا مَنِيَّتُهُ أَوْ شَعَرٌ

والعربُ تقولُ في الرجلِ المُلِحِّ في الحوائجِ الذي لا تنقضي له حاجةٌ إلا سأل

أخسرى :

* لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكًا سَاقًا *

وأصلُ المثل في الحِرْبَاءِ، إذا اشتدَّ عليه حرُّ الشمسِ لجأ إلى شجرةٍ ثم تَوَقَّى في أغصانها،
فلا يُرسلُ عُصْمًا حتَّى يَقْبِضَ على آخرِ .

وقال الشاعر :

أَنى أُتِيحَ له حِرْبَاءٌ تَنْضُبَةٌ * لا يُرسلُ السَّاقَ إلَّا مُمِيسَكًا ساقًا

وفي كتاب كليله : لا فقرَ ولا بلاءَ كالحرصِ والشرِّ، ولا غنى كالرضا والقناعة،
ولا عقلَ كالتيدير، ولا ورعَ كالكفِّ، ولا حسبَ كحسن الخلق .

قال ابن المقفع : الحرصُ والحسدُ يَكْرَا الذنوبَ وأصلُ المهالكِ ؛ أَمَا الحسدُ
فأهلك إبليسَ ، وأما الحرصُ فأخرج آدمَ من الجنة .

وفي كتاب كليله : خمسةُ حُرْصَاءَ، المالُ أحبُّ إليهم من أنفسهم : المُقَاتِلُ
بالأجرة، وحَقَّارُ القِنِيِّ^(٢) والأسرابِ، والتَّاجِرُ يَرْكَبُ البحرَ، والحاوِي يَكْسِعُ يَدَه
الحية، والمُخَاطِرُ على شُرْبِ السمِّ .

دخل مالك بن دينار على رجلٍ محبوسٍ قد أخذَ بمالٍ عليه وقيدٌ، فقال له : يا أبا
يحيى، أَمَا تَرَى ما نحن فيه من هذه القيودِ ! فرفعَ مالكُ رأسه فرأى سَلَّةً، فقال : لمن
هذه ؟ قال : لى، قال : فأمر بها أن تُنْزَلَ، فَأُثْرِلَتْ فوُضِعَتْ بين يديه، فإذا دَجَاجٌ
وأخْبِصَةٌ^(٣)، فقال مالك : هذه وَضِعْتَ القيودَ فى رِجْلِكَ .

كان أشعب يقول : أنا أطمع وأمى تَيَقَّنُ فَقَلَّ ما يَفُوتُنَا .

(١) قاله أبو دؤاد الإيادى . قال ابن برى : هكذا أنشده الجوهري وصواب إنشاده : «أنى أتيج لها» لأنه وصف ظعنًا ساقها وأزعجها سائئ مجتد (انظر اللسان مادة حرب) والتنضبة : واحدة التنضب وهو شجرٌ عيدانه بيض ضخمة وورقه منقبض ولا تراه إلا كأنه يابس مغبر . (٢) جمع قناة وهي الآبار التي تحفر في الأرض . (٣) أخبصة : جمع خبيص، والخبيص : ضرب من الحلواء .

وقال النابغة :

والياسُ عما فات يُعقب راحةً * ولربَّ مطعميةٍ تعود ذباحاً^(٣)

وقال أبو عليّ الضريّر :

فإني قد بلوتكم جميعاً * فما منكم على شكرى حريض

وأرخصتُ الثناءَ فعفتموه * ورُبَّما غلا الشيء الرخيص

فعفتم نوالكم ورغبت عنه * وشَرُّ الزاد ما عاف الخسيس^(٤)

وقال أعرابي :

أيها الدائبُ الحريضُ المعنى * لك رزقٌ وسوف تستوفيه

قبح الله نائلاً ترتجيه * من يدى من تُريد أن تقتضيه

إنما الجودُ والسماحُ لمن يُع * طيك عفواً وماءً وجهك فيه

لا ينالُ الحريضُ شيئاً فيكفيه * وإن كان فوق ما يكفيه

فسَلِّ الله وحده ودع لنا * سَ وأَسْخِطْهُمْ بما يُرضيه

لا ترى مُعطياً لما منع الله * ولا مانعاً لما يُعطيه

(١) كذا في لسان العرب مادة «ذبح» وفي الأصل : «مطعمة» . (٢) في لسان العرب :

«تكون» . (٣) الذباح : القتل . (٤) الظاهر من السياق أن الخسيس هو الفقير ،

اشتقاقاً من الخصاصة وهي الفقر ، ولم نعر عليه في كتب اللغة التي بين أيدينا .

[وجد بالأصل بآخر هذا الجزء ما يأتي] :

آخر كتاب الحوائج ، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الحزري وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة . والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين . ويتلوه الكتاب التاسع وهو كتاب الطعام ، والله الموفق للصواب .

[وفيه كذلك — وهو من زيادات النسخ —] :

في الاستغفار :

عليك باليأس من الناس * إن غنى نفسك في اليأس
كم صاحب قد كان لي وامقاً * إذ كان في حالة إفلاس
أقول لو قد نال هذا الغنى * صيرني منه على الراس
حتى إذا صار فيما آسئته * وعدته الناس من الناس
قطع بالصدد حبال الصفا * مني ولما يرخص بالقاسي

آخر وقد أحسن :

إن للمعروف أهلاً * وقليل فاعلوه
أهنأ المعروف ما لم * تُبذل فيه الوجوه
أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر أخوه
فإذا آتجت إليه * ساعة بجمك فوه

لأنما يَعْرِفُ الفضل * لَمَنْ مِنَ الناس ذُووه
لو رأى الناس نَبِيًّا * ساءَلا ما وَصَلوه

وكتب أبو العيناء إلى أبي القاسم بن عبيد الله بن سليمان رُقعة يقول فيها : أنا
— أعزك الله — وولدي وعيالي زرعٌ من زرعك، إن سَقَيْتَهُ راعٍ وزكا، وإن
جفوتَه ذبلٌ وذوى . وقد مسنى منك جفاءٌ بعد برٍّ وإغفالٌ بعد تعهدٍ، فشِمتَ
عدوَّ، وتكلمَ حاسدٌ، ولعبتَ بى ظنونٌ؛ وأتراجُ العادةَ شديداً. ثم كتب في آخرها:
لا تُهِنِّى بعدَ إكرامك لى * فشديداً عادةً مُتَرَعِّةً

آخر :

مالى معاشٌ سوى ضدِّ المعاشِ فلا * أغدو إلى عملٍ إلا بلا أَمَلٍ
وليس لى شغلٌ يُجِدِّى على إذا * فَكَّرْتُ فيه وما أنفكُ من شُغْلٍ
كُلُّ امرئٍ راضٍ غادٍ إلى عمل * وما أروح ولا أغدو إلى عمل
ولستُ فى الناسِ موجوداً كبعضهم * وإنما أنا بعضُ الناسِ فى المثل

آخر :

المرءُ بعد الموتِ أحوثةٌ * يَفَنِّى وتبقى منه آثاره
يَطْوِيهِ من أيامه ما طوى * لكنَّه تُنَشِّرُ أسرارُه
وأحسنُ الحالاتِ حالُ امرئٍ * تَطِيبُ بعد الموتِ أخبارُه
يَفَنِّى ويبقى ذكرُه بعده * إذا خَلَّتْ من شخصه دارُه

وقال حبيب الطائى :

وما أبْنُ آدمَ إلا ذكرٌ صالحٍ * أودَّ كُرْسِيَّةً يَسْرِى بها الكلامُ
أما سَمِعْتَ بدهيرَ بادِ أُمَّتِه * جاءتْ بأخبارها من بعدها أُمم

في البخل :

طَرَقْتُ أَنَا سَا عَلَى غِرَّةٍ * فَذُقْتُ مِنَ الْعَيْشِ جَهْدَ الْبَلَاءِ
فَأَمَّا الْقَدِيدُ^(١) وَأَشْبَاهُهُ * فَذَاكَ مَفَاتِيحُهُ فِي السَّمَاءِ
وَأَمَّا السَّوِيقُ فَسَفَى عَيْبَةٍ * يَسْمُ وَيُدْعَى لَهُ بِالْبَقَاءِ
وَمَنْ حَاوَلَ الْحَبْزَ قَالُوا لَهُ * أَتَذْكُرُ شَيْئًا خُسْبِي لِلدَّوَاءِ

(١) القديد: اللحم المجفف في الشمس .

كتاب الطعام

صنوف الأطعمة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمه الله عليه : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف : أي الطعام أحب إليك ؟ قال : الزبد والكماة^(١) ؛ فقال عمر : ما هما بأحب الأطعمة إليه ، ولكنه يحب الخصب للمسلمين .

قال الأصمعي : قال رجل في مجلس الأحنف : ليس شيء أبغض إلى من التمر والزبد ؛ فقال الأحنف : رب ملوم لا ذنب له .

عن أبي عمرو بن العلاء قال : قال الحجاج جلسائه : ليكتب كل رجل في رقعة أحب الطعام إليه ويجعلها تحت مصلاي ؛ فإذا في الرقاع كلها الزبد والتمر .

عن الأصمعي قال قال مدني : الكبادات أربع : العصيدة والهريسة والحيسة^(٢) والسميذة^(٤) .

عن الأصمعي عن حزم قال : قال مالك بن حنبل لحسان بن الفريعة : ما تزودت إلينا ؟ قال : الحيس ؛ قال : ثلاثة أسقية في وعاء .

(١) الكماة اسم للجمع وللواحد : نبات يقال له : شحم الأرض ، مستدير كالقلقاس ، لاساق له ولا عرق لونه إلى الغبرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض . (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٢) : « ماشي » . أبغض إلى من الزيت والكماة » . (٣) الحيسة : الأقط يخلط بالتمر والسمن . (٤) السميذة (بالبدال المهملة والذال المعجمة) : الخواري ، وهي لباب الدقيق .

قال الأصمعيّ: قال بعض الأعراب: أشتى ثريدة^(١) دكّاء^(٢) من الفلفل^(٣)، رقطاء^(٤) من الحمص^(٥)، ذات حفافين^(٦) من اللحم^(٧)، لها جناحان من العسراق^(٨)، أضرب فيها ضرب وليّ السوء في مال اليتيم.

وقال ابن الأعرابي: يقال: أطيب اللحم عوده، أي أطيبه ما وليّ العظم، كأنه عاذ به.

عن أبي عبيدة قال: مرّ الفرزدق^(٩) يحمي بن الحصين بن المنذر الرقاشي، فقال له: هل لك يا أبا فراس في جدي سمين وتبيذ زبيب جيد؟ فقال الفرزدق: وهل يأبى هذا إلا ابن المراغة! يعني جريرا.

وقال الأخوص لحرير: ما تحب أن يعدّ لك؟ قال: شواء^(١٠) وطلاء^(١١) وغناء^(١٢)، قال: قد أعدت لك.

وقال مدني لصديق له: والله أشتى كشكية^(١٣)، ومدّ بها صوته فخرجت منه ريح، فقال له: ما أسرع ما لفحتك يابن عم.

(١) ثريدة دكّاء: كثيرة الأباير، والأباير: التابل وهو ما يطيب الطعام. (٢) كذا في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٩٤) وفي الأصل: «ومن». (٣) الرقطاء: السوداء تشوبها نقط بيضاء. (٤) كذا في البخلاء، والحفاف: الجانب. وفي الأصل: «خفافين» بالخاء المعجمة وهو تحريف. (٥) العراق (بضم العين): العظام إذا لم يكن عليها شيء من اللحم. (٦) الطلاء: النحر. (٧) في كتب اللغة الكشكية: ماء الشعير، وفي القواميس الفارسية: الكشك: ضرب من الحساء اللزجة مصنوع من القمح والشعير وزبد لبن الشاء، وربما أضيف إليه شيء من اللحم.

وعن الأصمعيّ قال: قال شيخ من أهل المدينة: أتيت فلانا فأتاني بمِرْقَةٍ كان فيها مُسَقَّى، فلم أر فيها إلا كَبْدًا طافيةً، فغمستُ يدي فوجدت مُضْغَةً، فمددتها فامتدت حتى كأني أزمُر في ناي.

أُدْخِلْ أَعْرَابِيَّ عَلَى كَسْرِي لِيَتَعَجَّبَ مِنْ جَفَائِهِ وَجَهْلِهِ؛ فَقَالَ لَهُ: أَيُّ شَيْءٍ أَطْيَبُ لَحْمًا؟ قَالَ: الْجَمَلُ. قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ أَبْعَدُ صَوْتًا؟ قَالَ: الْجَمَلُ. قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ أَنَهَضُ بِالْجَمَلِ الثَّقِيلِ؟ قَالَ: الْجَمَلُ. قَالَ كَسْرِي: كَيْفَ يَكُونُ لَحْمُ الْجَمَلِ أَطْيَبَ مِنَ الْبَطِّ وَالْدَّجَاجِ وَالْفِرَاحِ وَالْدَّرَاجِ وَالْجِدَاءِ؟ قَالَ: يُطْبَخُ لَحْمُ الْجَمَلِ بِمَاءٍ وَمِلْحٍ، وَيُطْبَخُ مَا ذَكَرْتَ بِمَاءٍ وَمِلْحٍ حَتَّى يُعْرَفَ فَضْلُ مَا بَيْنَ الطَّعْمَيْنِ. قَالَ: كَيْفَ يَكُونُ الْجَمَلُ أَبْعَدَ صَوْتًا وَنَحْنُ نَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنَ الْكُرْكِيِّ مِنْ كَذَا وَكَذَا مِيلًا؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: ضَجَّ الْكُرْكِيُّ فِي مَكَانِ الْجَمَلِ وَضَجَّ الْجَمَلُ فِي مَكَانِ الْكُرْكِيِّ حَتَّى تَعْرِفَ أَيُّهُمَا أَبْعَدُ صَوْتًا. قَالَ كَسْرِي: كَيْفَ تَزْعُمُ أَنَّ الْجَمَلَ أَهْمَلُ لِلْجَمَلِ الثَّقِيلِ وَالْفِيلُ يَحْمِلُ كَذَا وَكَذَا رَطَلًا؟ قَالَ: لِيُبْرِكَ الْفِيلُ وَيُبْرِكَ الْجَمَلُ وَلِيُحْمَلَ عَلَى الْفِيلِ حِمْلُ الْجَمَلِ، فَإِنْ نَهَضَ بِهِ فَهُوَ أَهْمَلُ لِلْإِثْقَالِ.

عن جعفر بن سليمان قال: شيءان لا يزيدهما كثرة النفقة طيبًا: الطيب والقدر، ولكن تطيبهما إصابة القدر.

وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه قال: كان أبو عبد الرحمن الثوري يعجب بالرهوس ويصفها ويسمى الرأس عُرْسًا لما تجتمع فيه من الألوان الطيبة،

(١) المضغة: قطعة اللحم. (٢) الدراج (وزان رمان): طائر يطلق على الذكور والأنثى جميل المنظر ملون الريش. (٣) الكركي: طائر يقرب من الإوز أبرد القنب رمادي اللون في خذه لمعات سود قليلة اللحم صلب العظم يأوى إلى الماء أحيانًا. (٤) قد أورد عمرو بن بحر الجاحظ هذه القصة في كتابه البخلاء (ص ١١٥ طبع أوروبا).

وكان يسميه مرةً الجامع ومرةً الكامل ، ويقول : الرأس شيء واحد وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مختلفة ؛ وكل قدير وكل شواء فإنما هو شيء واحد ، والرأس فيه الدماغ وطعمه مفرد ، والعينان وطعمهما مفرد [وفيه الشحمة التي بين أصل الأذن ومؤخر العين وطعمها على حدة] ، على أن هذه الشحمة [خاصة]^(١) أطيب من المنخ وأنعم من الزبد وأدسم من السلاء ، ثم يعتد أسقاطه كلها ، ويقول : الرأس سيد البدن ، وفيه الدماغ وهو معين العقل ، ومنه يتفرق العصب الذي فيه الحس ، وبه قوام البدن ، وإنما القلب باب العقل ، كما أن النفس هي المدركة والعين هي باب الألوان ، والنفس هي السامعة الذائقة وإنما الأنف والأذن بابان . وأولا أن العقل في الرأس لما ذهب العقل من الضربة تصيبه ؛ وفي الرأس الحواس الخمس ، وكان يُنشد :

هو ضربوا رأسي وفي الرأس أكثرى * وغودر عند الملتقى ثم سائري^(٢) ١٠

وكان لا يشتري الرأس إلا في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرؤوس يوم السبت أكسدت ، للفضلات التي تبق في منازل التجار عن يوم الجمعة . وكان إذا فرغ من غدائه يوم الرأس ، عتمد إلى القحف وإلى اللجين^(٣) فوضعه قرب بيوت النمل والذر ، فإذا اجتمعن عليه أخذه ونفضه في طست فيه ماء ، ولا يزال يعيد ذلك على تلك المواضع حتى يقلع النمل والذر من داره ، فإذا فرغ من ذلك ألقاه مع الحطب فاستوقده في التنور . ١٥

الأصمعي قال : قال أبو صؤارة أو ابن دقة : الأرز الأبيض بالسمن المسلى^(٤) بالسكر الطبرزد ، ليس من طعام أهل الدنيا .

(١) الزيادة عن البخلاء . (٢) في البخلاء : « إذا » . (٣) القحف : العظم الذي فوق الدماغ ، أو هو ما انفلق من الجمجمة فانفصل ، ولا يدعى قحفا حتى ينكسر منه شيء . (٤) اللجين : عظم الحنك وهما اللذان عليهما الأسنان ، وفي البخلاء : « الجلين » . (٥) الطبرزد : السكر الأبيض الصلب ، فارسي . ٢٠

قال : وقال أبو صَوَّارة أو ابن دُقَّة : أطول الليالي ثلاث : ليلةُ العُرب ، وليلةُ الهريسة ، وليلةُ جُدَّة إلى مكة .

الأصمعيّ عن جعفر بن سليمان قال : قال أبو كامل مولى عليّ رضي الله عنه :
أطعموني حَفَنَةً زُبْدٍ ثم اختموا سراويلي ثلاثا .

وقال رجل للثوريّ في الحديث : "إن الله يُبَغِضُ البيتَ اللحميّ" ، فقال : ليس
هو الذي يؤكل فيه اللحم ، وإنما هو الذي يؤكل فيه لحومُ الناس .

عن أبي الصّدِّيق النّاجي عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "خيرُ تمراتكم
البرنيّ يذهب بالداء ولا داءَ فيه" .^(١)

وعن ابن عُمر عن عمر أنه قال : يا غلام أنضج العصيدة تذهب حرارة الزيت .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بيتٌ ليس فيه تمرٌ
جِياعٌ أهله" .^(٢)

شيخٌ من أهل البادية قال : أضافنا فلان فأتانا بحِنطة كأنها مناقيرُ الغربان ، وتمرٌ
كأنه أعناقُ الوز يوحلُ فيه الضرس .^(٣)

الأصمعيّ قال : قال أعرابيّ : تمرنا جردٌ فطسٌ يَغيبُ فيه الضرسُ ، كأن نواه ألسُن
الطير ، تَضَعُ التمرة في فيك فتجدُ حلاوتها في كعبيك .^(٤)^(٥)

١٥

الأصمعيّ عن أبيه قال : أسر رجلٌ رجلين في الجاهلية نخيرهما بمِيعَتَيْهِمَا ،
فأختار أحدهما اللحمَ وأختار الآخرُ التمرَ ، فعشياً وألقيا في الفناء وذلك في شتاءٍ شديدٍ ،
فأصبح صاحبُ اللحمِ خامداً وأصبح صاحبُ التمرِ ترزعيناه .^(٦)

(١) هو بكر بن عمرو أو ابن قيس ، كما في تهذيب التهذيب والخلاصة . (٢) البرنيّ : ضرب من التمر

أصفر مدور ، وهو أجود التمر . (٣) في الأصل هكذا : «الوزلان» والظاهر أنه محزف عما أثبتناه .

(٤) جرد : ناعمة . (٥) فطس : صغار الحب لاطئة الأفاع . (٦) ترزعيناه : توقدان .

وقال غير الأصمعيّ : قيل لأعرابيّ : ما رأيك في أكل الحرثيّ^(١) ؟ قال : ثمرة نرسيانة غراء الطّرف صفراء السائر عليها مثلها زبدًا أحبّ إلى منها ، ثم أدركه الورع فقال : وما أحرمهما .

وقال بعض الأعراب :

ألا ليت لي خبزًا تسربل رأبًا * وخيلًا من البرنيّ فرسانها الزبد^(٢)

قال : ورأى أعرابيّ دقيقًا وتمرًا فأشترى التمر؛ قيل له : كيف وسعر الدقيق والتمر واحد ! قال : إن في التمر أدّمه وزيادة حلاوة .

عن زياد النميريّ قال : قالت عائشة : من أكل التمر وترا لم يضره .

الأصمعيّ قال : حدّثنى شيخ عالم قال : أطيب التمر صيححانية مصلبة^(٣) .

الأصمعيّ قال : حدّثنى رجل من آل حريم قال : كان يقال : من خلا على التمر^(٤) فالعجوة ، ومن أكله على ثقل فالصيححانيّ .

الأصمعيّ قال : قال أعرابيّ يفضّل الرطب على العسل : أتجعل عسلة في أخشاء البقر كعسلة في جوف السماء لها محاريس من حرّيد وذوائب من زمرّد !

وقال الأصمعيّ : قيل لابن القدّاح : أيّ التمر أطيب ؟ فعدا بأنواع التمر، فلما أكلوا قال : أنظروا أيّ النوى أكثر؟ قالوا : نوى الصيححانيّ ، قال : هو أطيب .

(١) الحرثيّ : ضرب من السمك . والتمر النرسيان : نوع من التمر جيد ، واحده نرسيانة ، وفي الأصل « ثمرة برسانية » وهو تحريف . (٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ طبع بولاق) . ورواية الأصل : * ألا ليت خبزًا قد تسربل رأبًا *

(٣) الصيححانيّ : ضرب من التمر أسود صلب المضغفة نسب إلى صيححان وهو كبش كان يربط إلى نخلة بالمدينة فأثمرت تمرًا فنسب إليه ، ويقال : صلبت التمرة إذا بلغت اليبس (انظر اللسان مادة صلب) .

(٤) يقال : خلا على بعض الطعام إذا اقتصر عليه . قال الخبائيّ : تميم تقول : خلا فلان على اللبن وعلى اللحم إذا لم يأكل معه شيئًا ولا خلطه به . قال : وكمانه وقيس يقولون : أخلّى فلان على اللبن واللحم .

وقال الأصمعيّ : العرب تقول للبخیل الأکول : «أَبْرَمًا قَرُونًا» أي لا يُخْرِج مع أصحابه شيئاً ويا كل تَمْرَتَينِ تَمْرَتَينِ .

وقال النابغة یصف تمراً :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرُها * اذا طار قشرُ التمر عنها بطائر

سمع الحسنُ رجلاً یعیبُ الفالوذجَ فقال : فُتَاتُ البرِّ بلعابِ النحلِ بخالِصِ السَّمَنِ ! ما عاب هذا مسلمٌ . وقال لفرقد السَّبَخِيّ : يا أبا یعقوبَ ، بلغني أنك لاتأكلُ الفالوذجَ ، فقال : يا أبا سعیدَ ، أخافُ ألا أُؤدِّيَ شكرَهُ ، فقال : يا لُكْعُ ! وهل تُؤدِّيَ شكرَ المَاءِ الباردِ [في الصَّیْفِ والحارِّ في الشِّتاءِ ! أما سمعتَ قولَ الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾] .

- ١٠ (١) كذا ورد هذا المثل في مجمع الأمثال للبدائي ولسان العرب مادة «برم» والبرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبخله . والقرون : الذي يقرن بين الشيئين أي هو برم ويا كل مع ذلك تمرتين تمرتين . يضرب مثلاً لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين ، وفي الأصل : «أبرما أكلوا قروما» وهو تحريف .
- (٢) الفالوذج : حلواء يسوى من لب الخنطة . فارسيّ معرّب . وفي الصحاح : الفالوذ والفالوذج معرّبة ، قال يعقوب : ولا يقال : الفالوذج . (انظر القاموس وشرحه مادة فلذ) والعرب لا تعرفه حتى حكى أن عبد الله بن جدهان ، وكان سيداً شريفاً في قریش ، وفد على كسرى مرة وأكل عنده الفالوذج فتعجب منه
- ١٥ وسأل عن حقيقةه ، فقيل : هي لباب البرّ يلبك مع العسل ، فابتاع من عنده غلاماً يصنعه ، وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج فوضع موائده بالأبطح الى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر ، فكان ممن حضر أمية بن أبي الصلت ، فقال مادحا :

لكل قبيلة رأس وهادی * وأنت الرأس تقدّم كلّ هادی

له راع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينأدى

الى رذح من الشيزى ملائ * لباب البرّ يلبك بالشهاد

(٣) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨١) .

الأصمعيّ قال : اختصم روميّ وفارسيّ في الطعام ، فحكما بينهما شيئا قد أكل
طعام الخلفاء ، فقال : أما الروميّ فذهب بالحشويّ والأحشاء ، وأما الفارسيّ فذهب
بالبارد والحلواء .

وعن الأصمعيّ قال : كنا عند الرشيد فقدمت إليه فالودجة^(١) ، فقال : يا أصمعيّ
حدّثنا بحديث مُزَرَّدٍ ، فقلت : إن مُزَرَّدًا أخا الشماخ كان غلاما جشعا وكانت أمّه
تؤثّر عيالها بالطعام عليه وكان ذلك يُحفظه^(٢) ، فخرجت أمّه ذات يوم تزور بعض أهلها ،
فدخل مُزَرَّدُ الخيمة وعمد إلى صاعين دقيقين وصاعين من تمر وصاعين من سمن فجمعه
ثم جعل يأكله وهو يقول :

ولما غدت أمي تَمِيرُ بناتها * أغرت على العِمْ الذي كان يُمنعُ^(٣)
لبكتُ بصاعين حنطة صاع عَجْوَةٍ * إلى صاع سمن فوقه يتريع^(٤)
ودبلتُ امثال الأثافي كأنها * رءوس نقادٍ قطعت يوم تُجمَعُ^(٥)
وقلتُ لبطني أبشر اليوم إنه * حمى أمنا مما تَحْزُورُ وترفعُ^(٦)
فإن كنت مصفورا فهذا دواؤه * وإن كنت غرثانا فذا يوم تُسَبِّعُ^(٧)
فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره ، ثم قال : كُلُوا بِأَسْمِ اللَّهِ ، هذا يوم تُسَبِّعُ^(٨)
[يا أصمعيّ] .

- (١) يحفظه : يفضبه . (٢) العِم : النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخفيه متاعها .
(٣) لبكت : خلطت ، واللبكة : أقط ودقيق أو تمر ودقيق يخلط ويصب عليه السمن . (٤) يتريع :
يتبع ها هنا وها هنا لا يستقر له وجه أكثره . وفي الأصل : « يتريع » بالبا الموحدة . (٥) دبكت الشيء :
جمعت بعضه على بعض وعظمته مثل الككلة . وفي الأصل « ودبكت » بالذال المعجمة والياء المثناة وهو
تحريف (انظر اللسان مادة ريع ودبل) . (٦) نقاد : جمع نقدة وهي الصغيرة من الغنم ، الذكر
والأنثى في ذلك سواء . (٧) المصفور : من به الصفر وهو داء في البطن يصفر منه الوجه .
(٨) غرثان : جائع ، وقد وردت هذه الأبيات في الجزء الثالث من العقد الفريد ص ٣٨٥ باختلاف
قليل في بعض ألفاظها عما هو مثبت هنا . (٩) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥) .

قال : وكتب الجحاجُ الى عامله بفارس : ابعث الى عسلًا من عسلٍ خلار^(١)، من النحل الأبقار، من الدستفشار، الذي لم تمسه النار .

وقال الأصمعي^(٢) : كتب بعض الخلفاء الى عامله بالطائف : أن أرسل الى بعسلٍ أخضر في سقاء، أبيض في الإناء ، من عسل النَّدغ^(٣) والسَّحاء^(٤)، من حداب^(٥) بنى شبابة .

والعربُ تصف العسلَ بالبرودة .

وفي حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الشراب قال : «الحلواء البارد» يعني العسل . وقال الأعشى :

كما شيبَ بماءٍ با * رِدٍ من عسلِ النحلِ

- ويقال : أجودُ العسلِ الذهبي^(٥) الذي اذا قَطَرْتُ منه قطرةً على وجه [الأرض] ١٠
استدار كما يستدير الزئبق ولم ينفش ولم يختلط بالأرض والتراب .
والروم تقول : أجوده ما يُلطخ على فتيلة ثم تُشعل فيه النار فيعلق .
وسئل ديمقراطيس العالم عما يزيد في العمر فقال : من أدام أكل العسلِ
ودهن جسمه به زاد الله بذلك في عمره .

- ١٥ (١) خلار كمان : موضع بفارس ينسب اليه العسل الجيد . والدستفشار : كلمة فارسية ومعناها
مما عصرته الأيدي وعالجته . (انظر القاموس وشرحه مادة خلر) . وقال ابن سيده في المخصص (ج ٥
ص ١٨ طبع بولاق) : قال أبو حنيفة : المستفشار والدستفشار : العسل الذي لم تمسه النار . وقال :
ليست واحدة منهما عربية لأن هذا البناء ليس من كلامهم . (٢) كذا في الأصل ، وفي اللسان
مادة «ندغ» أن الذي كتب الجحاج ، والجحاج لم يكن من الخلفاء كما هو مذكور هنا . (٣) الندغ :
الصمغ البري وهو مما ترعاه النحل وتعمل عليه وعسله أطيب العسل ، وفي الأصل «البدع» .
٢٠ (٤) السحاء : ثبت آخر من مراعى النحل يطيب عسله عليه ، وفي الأصل «السماء» . وحداب بنى شبابة :
جبال بالسراة ينزلها بنو شبابة ، قوم من فهم بن مالك كما في اللسان وشرح القاموس مادة (حدب) .
وفي الأصل : «حدب» بدون ألف . (٥) في ما يقول عليه في المضاف والمضاف اليه للحي ،
وفي لطائف المعارف للثعالبي ص ١١٠ طبع أوروبا : «أن خير الأعسال كلها عسل أصهبان» وأن
في أجوده هذه الخاصة وذكر الثعالبي أنه يحمل منه كل سنة الى السلطان ألفا رطل .

وَالْعَسَلُ إِنْ جُعِلَ فِيهِ اللَّحْمُ الطَّرِيُّ بَقِيَ كَهَيْئَتِهِ حَتَّى لَا يَنْثَنَ ، وَيُقَالُ : مَنْ كَانَ بِهِ دَاءٌ قَدِيمٌ فَلْيَأْخُذْ دِرْهَمًا حَلَالًا وَلْيَشْتَرِ بِهِ عَسَلًا ثُمَّ يَشْرِبْهُ بِنَاءٍ سَوَاءٍ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . وَكَانَ الْحَسَنُ يُعْجِبُهُ إِذَا اسْتَمَشَى الرَّجُلُ أَنْ يَشْرِبَ اللَّابَنَ وَالْعَسَلَ .

وَيَزْعَمُ أَصْحَابُ الطَّبَائِعِ أَنَّ الْعَسَلَ إِذَا دِيفَ بِالْمَاءِ وَخُلِطَ مَعَهُ زَيْتٌ أَوْ دُهْنٌ سَمِيمٌ نَافِعٌ لِمَنْ شَرِبَ السُّمُومَ وَالْأَدْوِيَةَ الْقَاتِلَةَ يُتَّقَى بِهِ .

مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ قَالَ — وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ قَالَ : «أَكْرِمُوا الْخَبْزَ فَإِنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» .

الْأَصْحَمِيُّ قَالَ : كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ تَنْزِلُ الطُّفَاوَةَ وَكَانَتْ قَدْ أَدْرَكَتْ بَعْضَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ الْعِبَادُ يَغْسَوْنَهَا فِي مَتَرِهَا ، فَعَابَ عَائِبٌ عَنْدهَا السَّوِيقَ ، فَقَالَتْ : لَا تَفْعَلْ ! إِنَّهُ طَعَامُ الْمَسَافِرِ ، وَطَعَامُ الْعَجْلَانِ ، وَغِذَاءُ الْمُبَكَّرِ ، وَبُلْغَةُ الْمَرِيضِ ، وَيَشُدُّ غَوَادَ الْحَزِينِ ، وَيَرُدُّ مِنْ نَفْسِ الضَّعِيفِ ، وَهُوَ جَيِّدٌ فِي التَّسْمِينِ وَتَقَاوَةِ الْبَالِغِ ، وَمُسَمُونُهُ يَصْفَى الدَّمَ ، إِنْ شِئْتَ كَانَ ثَرِيدًا ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ خَبِيثًا ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ خُبْرًا .

وَكَانَ غَسَّانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ كَاتِبُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ يَقُولُ لِحَارِيتِهِ : خَوْضِي لَنَا سَوِيقًا فَأَخْثِرِيهِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَزْدَادَ مَاءً فَيَرْقِّقَهُ ، وَيَسْتَحْيِ أَنْ يَزْدَادَ سَوِيقًا فَيُخْثِرَهُ بِهِ .

(١) اسْتَمَشَى : اسْمَطَلَقَ بَطْنَهُ . (٢) دِيفَ : خَلَطَ . (٣) فِي الْأَصْلِ : «كَانَ فِي الطُّفَاوَةِ امْرَأَةٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ تَنْزِلُ الطُّفَاوَةَ ... الخ» . (٤) الطُّفَاوَةُ : حَيٍّ مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ ، وَمَوْضِعٌ بِالْبَصْرَةِ سَمِيَ بِالْقَبِيلَةِ الَّتِي تَزَلُّهُ . (٥) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَهَذَا التَّكَرُّارُ لَا يَتَّفِقُ مَعَ بَلَاغَةِ السِّيَاقِ ، وَفِي الْعَقْدِ الْقَرِيدِ : «طَعَامُ الْمَسَافِرِ وَالْعَجْلَانِ» . (٦) سَمِنَ الطَّعَامُ يَسْمُنُ سَمْنًا فَهُوَ مَسْمُونٌ : عَمِلَهُ بِالسَّمَنِ وَلَتَهُ بِهِ . (٧) خَوْضُ الشَّرَابِ وَخَاضَهُ : خَلَطَهُ وَحَزَّكَ . وَالْخُثُورَةُ : ضِدُّ الرِّقَّةِ ، يُقَالُ : أَخْثَرُ الشَّيْءُ وَخَثَرَهُ إِذَا غَلِظَهُ بَعْدَ الرِّقَّةِ .

مرّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن علي وهو في مزرعته
وقد عطش ، فاستسقاءه نخاض له سويق لوز فسقاه إياه ؛ فقال عبد الله :
شربت طبرزدا بغريض^(٢) مزين * ولكن الملاح بكم عذاب^(١)
وما [هو] بالطبرزد طاب لكن * بمسك إنه طاب الشراب
وأنت إذا وطئت تراب أرض * يطيب إذا مشيت به التراب
لأن نذاك ينفي المحل عنها * وتحييها أياديك الرطاب^(٣)

وقال الحسن : لا تسقوا نساءكم السويق ، فإن كنتم لا بد فاعلين فأحفظوهن .
وقال الرقاشي : السمنة للنساء غلّة وهي للرجال غفلة .

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ثلاثة لا تردّ : اللبن^(٤)
والسواك^(٥) والدهن» .

الرياشي قال : سمعت أبا يزيد يقول : رأيت رجلا كأن أسنانه الذهب لشربه
اللبن حاراً .

الأصمعي عن ذي الرمة أنه قال : إذا قلت للرجل : أي اللبن أطيب ؟ فإن^(٦)
قال : قارص^(٥) ، فقل : عبد من أنت ؟ وإن قال : الحليب ، فقل : ابن من أنت ؟
مرّ رجل من قريش بأمرأة من العرب في بادية ، فقال : هل من لبن
يباع ؟ فقالت : إنك لئيم أو قريب عهد بقوم لئام .

(١) الطبرزد : السكر فارسي معرب ، ويقال فيه : طبرزن وطبرزل بالنون واللام (انظر القاموس
وشرحه مادة طبرزد ومفردات ابن البيطار طبع بولاق في اسم الطبرزد) . (٢) الغريض من اللحم
والماء واللبن والتمر : الحديد الطازج . (٣) في الأصل : «وتحييها» بالميم والنون وهو تحريف .
(٤) في الأصل فكذا : «السواك» وهو تحريف . (٥) القارص : الحامض .
(٦) أي هو عبد ، لأنه باستطابته الحامض دل على أنه لم ير خيراً منه ، اذ العبد يأكل ما يفضل من مواليه
فلا يصل إليه الحليب إلا حامضاً .

وكان يقال : اللبنُ أحدُ اللحمين .

وقال بعضُ المدنيين : مَنْ تَصْبَحُ بِسَبْعِ مَوَازٍ ^(١) وَبَقْدِجٍ مِنْ لَبَنٍ إِبِلٍ أَوَّارِكٍ ^(٢) تَجَشَّأَ بِخَوَرِ الكَعْبَةِ .

وقف معاويةُ على امرأةٍ فقال : هل مِنْ قِرَى؟ فقالت : نعم ، قال : وما هو؟ قالت : خُبْزٌ نَحِيرٌ وَلَبَنٌ فَطِيرٌ وَمَاءٌ نَمِيرٌ ، والعرب تقول : «إِنَّ الرِّثِيَّةَ تَفْتَأُ الغَضْبَ» ^(٣) ، والرِّثِيَّةُ : اللبنُ الحامضُ يُحْتَابُ عليه الحليبُ ، وهو أَطْيَبُ اللَّبَنِ . قال بعضُ الأعراب :

وَإِذَا خَشِيتَ عَلَى الْفَوَادِ بِحَاجَةٍ * فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِجَرَّةٍ مِنْ رَائِبٍ

وعن مطر الوراق : أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ شَكَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الضَّعْفَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَنْ أَطْبِخَ اللَّبَنَ بِاللَّحْمِ ، فَإِنَّ الْقُوَّةَ فِيهِمَا .

وصف أعرابيٌ خِصْبَ الْبَادِيَةِ فَقَالَ : كُنْتُ أَشْرَبُ رِثِيَّةً تَجْرُهَا الشَّفْتَانِ جَرًّا ، وَقَارِصًا إِذَا تَجَشَّأْتُ جَدَعَ أَنْفِي ، وَرَأَيْتُ الْكِمَّةَ تَدُوسُهَا الْإِبِلُ بِمَنَاسِمِهَا ، وَخُلَاصَةً يَسْمُهَا الْكَلْبُ فَيَعِطُسُ ^(٤) .

وتقول الأطباء : إِنَّ اللَّبَنَ إِذَا سُخِّنَ بِالنَّارِ وَسِيطَ بِعُودٍ مِنْ عَيْسِدَانِ شَجَرِ التِّينِ رَابٍ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَقَالُوا : وَإِنْ أَرَادَ صَاحِبُهُ إِلَّا يَرْوِبَ وَإِنْ كَانَ فِيهِ رُوبَةٌ جَعَلَ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْحَبَقِ ، وَهُوَ الْفُودَنْجُ ^(٥) النَّهْرِيُّ ، فَإِنَّهُ يَبْقَى كَهَيْئَتِهِ .

(١) تصبح : أكل شيئاً قليلاً يتعلل به . (٢) كذا في الأصل ولعلها «لوزات» أو «تمرات» .
(٣) الإبل الأوارك : التي تأكل الأراك . (٤) الماء النمر : الناجع في الري ، وقيل : الماء النمر : الكثير . واللبن الفطير : الطرى القريب العهد من الحلب . (٥) هذا مثل ذكره الميداني وقال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلوى وتفتأ الغضب أي تكسره وتذهب . وأصله أن رجلاً نزل بقوم وكان ساخطاً عليهم وكان مع سخطه جائعاً فسقوه الرثيئة فسكن غضبه . (٦) الخلاصة : التمر والسويق يلتقي في السمن . (٧) سيط : حرك . (٨) في الأصل : «فإن» .
(٩) الفودنج : نبت ، معرب عن بودينه .

أخبار من أخبار العرب في ما كلهم ومشاربهم

المعلّى الربيعي قال : مكثت ثلاثاً لا أذوق طعاماً ولا أشرب فيهنّ شراباً ،
فدعوت الله تعالى ، وإذا دعا العبد الله بقلب صادق كانت معه من الله عين بصيرة ،
فدفعته إلى ذئبين في جحر^(١) ، فرميتهما فقتلتهما ، ثم أتيت جحرًا فيه ماء فأستقيت ، ثم
أتيتهما وإذا هما على مهيديتي^(٢) ، وإذا لهما نخفة^(٣) — يعني شبه الزفير — فاشتويت^(٤)
وأخذت وأدھنت .

قال ابن قرفة (شيخ من سليم) : أضافني رجل من الأعراب بخاءني بقدر^(٥)
جماع ضخمة ليس فيها شيء من طعام إلا قطع لحم ، فإذا بضعة تئمت في فمي ، وبضعة
كانها يضع ساق ، وبضعة كأنها شحم زخم^(٦) ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : إني رجل صياد ،
جمعت بين ذئب وطبي وضبع .

قال مدني لأعرابي : ما تأكلون وما تدعون ؟ قال : نأكل ما دب ودرج^(٧)
إلا أم حنين ، فقال المدني : ليهني أم حنين العافية^(٨) .

(١) الجحر : البر الواسعة التي لم تطو ، وقيل : هي التي طوى بعضها ولم يطو بعض . (٢) على
مهيديتيما : على حالهما التي كانا عليهما ، يقال : هو على مهيديته ومهيدته ، بالهمز وعدمه ، حكاه ثعلب
وقال : لا مكبر لها . وقد ذكرها صاحب اللسان والقاموس في مادتي (هدى) و(هدأ) . (٣) احتذيت :
أخذت نعلًا . (٤) قدر جماع وجماعة : عظيمة ، وقيل : هي التي تجمع الجزور . (٥) تئمت :
تمتد وتمتط . (٦) زخم : كرية خبيث الرائحة . (٧) بجاء مهملية مضمومة وياء
موحدة مخففة : دويبة قيل : هي ضرب من العطاء ، وقيل : هي أعرض من العطاء ، وقيل :
هي أنثى الحرباء ، وقيل غير ذلك ، وهي منتنة الريح تخامها الأعراب فلا يأكلونها لنتنها ، ويقال لها :
حبيبة معرفة بلا ألف ولا وائما سميت بذلك لكبر بطتها ، من الحبن الذي هو الشق في البطن . تقول :
فلان به حبن فهو أحبن أي مستسقى ، فسميت بذلك لشبهها بالمستسقى . (٨) في الأصل : «ليهني»
قال شارح القاموس في مادة هنا : تقول العرب في الدعاء : إيهنك الفارس بجزم الهمزة وليهنيك الفارس
بياء ساكنة ، ولا يجوز إيهنك كما تقول العامة ، أي لأن الياء بدل من الهمزة ، ثم قال : وقد ورد
في صحيح البخاري في حديث توبة كعب بن مالك : يقولون : ليهنك توبة الله عليك . راجع شرح
القاموس (مادة هنا) .

قعد على مائدة الفضل بن يحيى رجل من بني هلال بن عامر، فذكروا الضب^(١)
ومن يأكله، فأفرط الفضل في ذمته وتابعه القوم، فغاظ الهلال ما سمع منهم،
ولم يكن على المسائدة عريته، ثم لم يلبث أن أتى الفضل بصحفة فيها فراخ^(٢)
الزناير، فلم يشك الأعرابي أنها ذبان البيوت، فقال حين خرج :

وعِلج يعاف الضب^(٣) لؤما وبطننة * وبعض إدام العِلج هَام ذُبَاب
ولو أنت ملكًا في المَلأ ناك أمة * لقالوا لقد أُوتيت فصل خطاب

وقال أبو الهندي^(٤) (رجل من العرب) :

أَكَلْتُ الضَّبَابَ فَمَا عِفَّتْهَا * وَإِنِّي لِأَشْهَى قَدِيدَ الْغَنَمِ^(٥)
وَلَحْمَ الْخُرُوفِ حَنِيدًا وَقَدْ * أُتِيتُ بِهِ فَاتِرًا فِي الشَّسَمِ^(٦)
فَأَمَّا الْبَهْطُ وَحِيتَانُكُمْ * فَمَا زِلْتُ مِنْهَا كَثِيرَ السَّقَمِ^(٧)
وَقَدْ نِلْتُ مِنْهَا كَمَا نِلْتُمْ * فَلَمْ أَرْ فِيهَا كَضَبَ هَرِمٍ

(١) قال الدميري في حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٢) في الكلام على الزنبر : « وفراخ الزناير

تؤخذ من أوكارها وتغلى في الزيت ويطرح عليها سذاب وكراويا وتؤكل » وذكر خاصة لذلك .

(٢) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٨) ، وقد وردت في هذه الحكاية وهي لا تختلف

في المعنى عما ورد في الأصل . وفي الأصل : « وعِلج يعاف الضب واللوم بطنه » . (٣) كذا

ورد في اللسان (مادتي عرب وبهط) منسوبا إليه بعض هذه الأبيات ، وقد عقد له المؤلف ترجمة

في كتابه الشعر والشعراء (ص ٤٢٩) وفي الأصل : « أبو هند » . (٤) القديد : اللحم

الملوح المجفف في الشمس . (٥) حنيد : مشوي . (٦) كذا في الدميري (ج ٢ ص ٩٣)

والحيوان للجاحظ ، وقد فسره الدميري بماء الأسنان وهو غير واضح ، والظاهر أنه بمعنى البرد كما هو معناه

الغوى . وفي الأصل : « السَّم » وهو تحريف . (٧) قال في اللسان : « البهط : كلمة سندية وهي

الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء ، واستعملته العرب بالهاء فقالت : بهطة طيبة » .

ولا في البيوض كبيض الدجاج * وبيض الدجاج شفاء القرم^(٢)
وممكن الضباب طعام العريب^(٣) * ولا تشتهي نفوس العجم^(٤)

وقال بعض الأعراب :

وأنت لو ذقت الكشي^(٥) بالأجاد * لما تركت الضب يعدو بالواد

ونزل رجل من العرب برجل من الأعراب فقدم إليه جرادا، فقال :

لحى الله بيتا ضمني بعد هجعة * إليه دجوجي من الليل مظلم
فأبصرت شيخا قاعدا بفنائيه * هو العز إلا أنه يتكلم
أنا ببرقان الدبي في إنائه * ولم يك برقان الدبي لي مطعم^(٦)
فقلت له غيب إناءك واعتزل^(٧) * فهل ذاق هذا، لا أبالك، مسلم

وقال بعض العباسيين :

ليت شعري متى تحب بي النا * قة نحو العذيب^(٩) فالصنين^(١٠)
محقب زكرة^(١١) وخبز رقاق^(١٢) * وجبيننا وقطعة من نون^(١٣)

- (١) كذا في حياة الحيوان للدميري وكتاب الحيوان للجاحظ . وفي الأصل : « وبيض الجراد » .
(٢) كذا في حياة الحيوان للدميري وكتاب الحيوان للجاحظ . والقرم (بفتح القاف والراء) : شدة الشهوة إلى اللحم . وفي الأصل « الشقم » وهو تحريف . (٣) الممكن (بفتح الميم وإسكان الكاف) وبالنون في آخره : بيض الضبة . (٤) العريب : تصغير العرب ؛ قال في اللسان مادة عرب : صغرهم تعظيما كما قال : أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب . وفي الأصل « الغريب » بالغين المعجمة وهو تحريف . (٥) الكشي : جمع كشية (بضم الكاف وإسكان الشين) وهي أصل ذنب الضب .
(٦) البرقان : جمع برقانة وهي الجراددة المتلونة . والدبي : الجراد ، أي أتاننا بالمتلون من الجراد .
(٧) في الأصل : « فذاك » . (٨) ذكر هذا الشعر بالجزء الثاني من كتاب الأغاني (طبع دار الكتب المصرية ص ٨ ٤ ٣) منسوب إلى حنين بن بلوع الحيري ، ولم يذكر أبو الفرج أنه أدرك الدولة العباسية . (٩) العذيب : ماء لبني تميم ، وهو أول ماء يلقى الإنسان بالبادية إذا سار من قادية الكوفة يريد مكة . (١٠) الصنين : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر وبه نهر ومزارع .
ورواية الأغاني في هذا الشطر : « بين السديروالصنين » وفي اللسان : « بين العذيب فالصنين » بقاء العطف وهو ما اخترناه . وفي الأصل : « في الصنين » . وفي هذا الشعر السناد وهو ، كما فسره ابن سيده ، المخالفة بين الحركات التي تلي الأرداف في الروي . (١١) يقال : أحقب الزكرة واحتقبها إذا احتملها خلفه . (١٢) الزكرة بالزاي : زق يجعل فيه شراب أو خل . (١٣) الجبين تصغير الجبن المأكول . والنون : الحوت .

وقال بعض الأعراب :

أقول له يوماً وقد راح صُحْبِي * تُرَى أبتغي من صَيْدِهِ وَأَخَاتِلُهُ^(١)
 فلما التَقْتُ كَفَى على فَضْلِ ذِيهِ * وشالت^(٢) شمالي زَايِلَ الضَّبِّ باطِلُهُ^(٣)
 فأصبح محنوداً نَضِيْجاً وَأَصْبَحْتُ * تَمْشِي على الْقِيْزَانِ حَوْلًا حَلَائِلُهُ^(٤)
 شديدَ أَصْفَرَارِ الْكُشَيْتَيْنِ كَأَنَّمَا * تَطَلَّى بَوْرِسَ بَطْنِهِ وَشَوَا كَلَهُ^(٥)
 فذلك أَشْهَى عِنْدَنَا مِنْ نِتَاجِكُمْ * لِحَى اللَّهِ شَارِيَهُ وَقُبْحَ آكِلِهِ^(٦)
^(٧)

وبنو أسيد تعير بأكل الكلاب، قال الفرزدق :

إِذَا أَسِيدِي جَاعَ يَوْمًا بِلَدِي * وَكَانَ سَمِينًا كَلَبَهُ فَهُوَ آكِلُهُ

وتعير أيضا بأكل لحوم الناس، كما قال الشاعر :

إِذَا مَا ضِفَّتَ لَيْلًا فَقُعُوسِيَا * فَلَا تَأْكُلْ لَهُ أَبَدًا طَعَامَا
 فَإِنَّ اللَّحْمَ لِنَسَانٍ فَدَعُهُ * وَخَيْرُ الزَّادِ مَا مَنَعَ الْحَرَامَا

(١) في الأصل : « وأخاطره » والقافية في الشعر اللام، وقد ورد هذا الشطر في كتاب الحيوان للجاحظ

(ج ٦ ص ٢٧ طبع مصر) :

* وبالله أبتغي صيده وأخاتله *

(٢) كذا في كتاب الحيوان، وشالت : ارتفعت . وفي الأصل : « نالت » . (٣) الشواء .

المحنود الذي قد ألقيت قوة الحجارة المرصوفة بالنار حتى ينشوى انشواء شديدا فيتهرب تحتها .

(٤) القيزان : جمع قوز (بالفتح) وهو الكشيب الصغير من الرمل تشبه به أرداف النساء . (٥) كذا

في كتاب الحيوان . والكشية : شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه ، وفي الأساس أنها شحمة مستطيلة في جنبه .

وفي الأصل : « الكيتين » . (٦) الورس : صبغ أصفر يصبغ به . (٧) الشواكل :

جمع شاكلة وهي الخاصرة . (٨) كذا في كتاب الحيوان . وفي الأصل : « كذلك » بالكاف .

(٩) في الأصل « نيا حكم » (بالنون والياء والحاء المهملة) وهو تحريف ، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ .

(١٠) نسب هذا الشعر في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٢ طبع أوربا) إلى معروف الديري .

قال رجل : كنت بالبادية فرأيت ناساً حول نارٍ ، فسألتُ عنهم فقالوا : صادوا
حيات فهم يَشْتَوْنَهَا وَيَأْكُلُونَهَا ، فَأَتَيْتُهُمْ فرأيت رجالاً منهم قد أخرج حيةً من الجمرِ
لِأَيِّ كَلِّهَا فامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ ، فجعل يمدّها كما يُمَدُّ عَصِيْبٌ لَمْ يَنْضَجْ ، فَمَا صَرَفْتُ بَصْرِي عَنْهُ
حَتَّى لُبِجَ^(١) بِهِ فَمَاتَ ، فسألت عن شأنه فقيل لى : لَحَلَّ عَلَيْهَا قَيْلٌ أَنْ تَنْضَجَ وَتَعْمَلَ
فِي سَمِّهَا النَّارُ .

قال رجل من الأعراب لولده : اشترُوا لِي لَحْمًا ، فَأَشْتَرَوْهُ فطبخه حتى
تَهَرَّى ، وَأَكَلَ مِنْهُ حَتَّى انْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَشَرَعَتْ إِلَيْهِ عَيُونُ وَلَدِهِ فَقَالَ : مَا أَنَا
بِمُطْعِمِهِ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ أَحْسَنَ وَصَفَ أَكْلِهِ ، فَقَالَ الْكَبِيرُ مِنْهُمْ : أَكَلُهُ يَا أَبْتَ
حَتَّى لَا أَدْعَ لِلذِّةِ فِيهِ مَقِيلًا ، قَالَ : لَسْتَ بِصَاحِبِهِ . فَقَالَ الْآخَرُ : أَكَلَهُ حَتَّى
لَا يُدْرَى أَلِعَامِهِ هُوَ أَمْ لِعَامٍ أَوَّلُ ، قَالَ : لَسْتَ بِصَاحِبِهِ . فَقَالَ الْأَصْغَرُ : أَدَقَّهُ
يَا أَبْتَ دَقًّا وَأَجْعَلْ إِدَامَهُ الْمَخَّ ، قَالَ : أَنْتَ صَاحِبُهُ ، هُوَ لَكَ .

بَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يَسِيرُ وَهُوَ يُوضِعُ بَعِيرَهُ إِذْ سَقَطَ بَعِيرُهُ فَنَحَرَهُ وَأَكَلَهُ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
إِنْ السَّعِيدُ مِنْ يَمُوتَ جَمَلُهُ * يَشْبَعُ لَحْمًا وَيَقِلَّ عَمَلُهُ^(٢)

وَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ سَأُولِ بَغْتِيَانٍ يَشْرَبُونَ فَشَرِبَ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا أَخَذَ مِنْهُ الشَّرَابَ قَامَ
إِلَى بَعِيرِهِ فَنَحَرَهُ ، وَقَالَ :

عَلَّلَانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عِلَالٌ * وَدَعَانِي مِنْ مَلَامٍ وَعَدَلٌ
وَأَنْشَأَ^(٣) مَا أَغْبَرَ مِنْ قَدْرِي كَمَا * وَأَسْقِيَانِي أَبْعَدَ اللَّهِ الْجَمَلُ

(١) يقال : لبيج بالرجل ولبط به اذا صرع . (٢) يوضع بعيره : يعديه ويحمّله على

العدو الحديث . (٣) نسل اللحم (من بابي ضرب ونصر) وأنشله : أخرجه من القدر بيده من

غير المعرفة .

آداب الأكل والطعام

عن أبي هريرة قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الْأَكْلُ فِي السُّوقِ دَنَاءٌ" . وعن عبد الرحمن بن عيرك قال : بلغني أنه من غسل يده قبل الطعام كان في سعة من الرزق حتى يموت .

عن الحسن أنه قال : الوُضوءُ قبل الطعام يَنْفِي الْفَقْرَ وبعده يَنْفِي اللَّيْمَ^(١) .

وعنه قال : قيل لسمرة بن جندب : إن أباك أكل طعاما كاد يقتله ؛ قال : لو مات ما صليت عليه .

وعن شرحبيل بن مسلم قال : قال أبو الدرداء : يئس العونُ على الدين قلبٌ نَحِيبٌ ، وَبَطْنٌ رَغِيبٌ^(٢) ، وَنَعْظٌ شَدِيدٌ^(٣) .

أكل الجارود مع عمر طعاماً ، ثم قال : يا جارية هاتِ الدستورَدَ^(٤) ؛ فقال عمر : امسحِ بِأَسْتِكَ أَوْ ذُرْ .

قال جعفر : كنا نأتي فرقة السَّبَخِيِّ ونحن شَبِيهَةٌ فَيَعْلَمُنَا : إن من ورائكم زماناً شديداً ، فَشُدُّوا الْأَزْرَ عَلَى أَنْصَافِ الْبَطُونِ ، وَصَغَّرُوا اللَّقْمَ ، وَشَدَّدُوا الْمَضْغَ ،

(١) اللَّيْمُ : ما دون الكِبَاءِ مِنَ الذُّنُوبِ ، وفي التنزيل العزيز : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللَّيْمَ) يعني الذنوب الصغائر . (٢) نَحِيبٌ : جبان كأنه منزع الفؤاد .

(٣) بطن رَغِيبٌ : واسع الجوف ، وهو نخاية عن كثرة الأكل وشدة النهم . (٤) هو بشر

ابن عمرو بن حنش بن المعلى من بني عبد القيس العبدي الصحابي ، والجارود لقبه ومعناه المشيوم ، لأنه فر بلبله الجرد (التي أصابها الجرد) إلى أخواله من بني شيان ، ففشا ذلك الداء في أبائهم فأهلكها . وقد

على النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث . وقتل في خلافة عمر بأرض فارس سنة إحدى وعشرين .

(٥) الدستورد : ثوب أحمر يضرب إلى صفرة حسنة . وهو مركب من "دست" بمعنى ثوب ، و"ورد" بمعنى أحمر ضارب إلى الصفرة ، كما في القاموس وشرحه (مادتي دست وورد) ، ولعله يقصد هنا المنشفة .

(٦) شَبِيهَةٌ : جمع شاب .

وَمُصُّوا الْمَاءَ مَصًّا . وَإِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلَا يُحَنَّ إِزَارَهُ فَتَنْسِعَ أَمْعَاؤُهُ . وَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ لِأَيِّ كَلٍّ فَلْيَقْعُدْ عَلَى أَلْيَتَيْهِ ، وَلْيَلْزِقْ بَطْنَهُ بِفَخْذَيْهِ ، وَإِذَا فَرَّغَ فَلَا يَقْعُدْ وَلْيَجِئْ وَلْيَذْهَبْ ، وَاحْتَمُوا فَإِنَّ مِنْ رَائِكُمْ زَمَانًا شَدِيدًا .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شَرْبًا» .

وعن الجارود بن أبي سبرة قال : قال لي بلال بن أبي بردة : أتَحْضِرُ طَعَامَ هَذَا الشَّيْخِ — يَعْنِي عَبْدَ الْأَعْلَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ — ؟ فَقُلْتُ : إِيَّاهُ وَاللَّهِ ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي عَنْهُ . فَقُلْتُ : نَأْتِيهِ وَكَانَ سَكِينًا ، إِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ، وَإِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ الْإِسْتِمَاعِ ، فَإِذَا حَضَرَ الْغَدَاءُ جَاءَ خَبَازُهُ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَيَقُولُ : مَا عِنْدَكَ ؟ فَيَقُولُ : بَطَّةٌ بَكْنًا ، وَدَجَاجَةٌ بَكْنًا وَكَنًْا . قَالَ : وَمَا يُرِيدُ بِذَاكَ ؟ قُلْتُ : كَيْ يَحْبِسُ كُلُّ إِنْسَانٍ نَفْسَهُ إِلَى مَا يَشْتَهِي ، فَإِذَا وَضَعَ الْخَوَانُ خَوْىَ تَخْوِيَةِ الظَّالِمِ فَمَالَهُ إِلَّا مَوْضِعٌ مُتَّكِنُهُ فَيَجِدُّ وَيَهْزِلُ ، حَتَّى إِذَا رَأَوْهُمْ قَدْ فَتَرُوا وَكَلَّوْا أَكَلَ مَعَهُمْ أَكْلَ الْجَائِعِ الْمَقْرُورِ حَتَّى يَنْشَطَّهُمْ بِأَكْلِهِ .

وكان يقال : إِذَا اجْتَمَعَ لِلطَّعَامِ أَرْبَعُ كَلَّلٍ : أَنْ يَكُونَ حَالًا ، وَأَنْ تَكْثُرَ عَلَيْهِ الْأَيْدِي ، وَأَنْ يُفْتَتَحَ بِاسْمِ اللَّهِ ، وَيُخْتَمَ بِحَمْدِ اللَّهِ .

- (١) فِي الْأَصْلِ : «فَتَشَبَعَ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٢) احْتَمُوا : امْتَنَعُوا عَنِ الطَّعَامِ ، وَفِي الْأَصْلِ : «احْتَفُوا» . (٣) إِيَّاهُ (بِالنَّصْبِ) : مَعْنَاهُ الْكَفِّ ، وَقَدْ يَرُدُّ لِلتَّصَدِيقِ وَالرِّضَا كَمَا هُنَا ، وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَمَّا قُبِلَ لَهُ : يَا بْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ ؟ فَقَالَ : إِيَّاهُ وَالْإِلَهَ ، أَيْ صَدَّقْتَ وَرَضِيتَ بِذَلِكَ . (٤) سَكِينًا : كَثِيرُ السَّكُوتِ قَلِيلُ الْكَلَامِ . (٥) فِي الْأَصْلِ «يَخْتَبِي» وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٨٦) . (٦) خَوْىَ الرَّجُلُ : فَرَّجَ مَا بَيْنَ عِضْدَيْهِ وَجَنْبَيْهِ . (٧) كَذَا فِي كِتَابِ التَّاجِ لِلْبَاحِظِ (ص ٢٠ طبع بولاق) وَكِتَابِ الْبَخْلَاءِ لَهُ أَيْضًا (ص ١٩٤ طبع أوربا) . وَالظَّالِمُ : ذَكَرَ النِّعَامُ ، وَفِي الْأَصْلِ : «تَخْوِيَةُ الطَّيْنِ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٨) الْمَقْرُورُ : الَّذِي أَصَابَهُ الْقَرُّ وَهُوَ الْبَرْدُ .

وكان يُقال : سَمُّوا إذا أَكَلْتُمْ وَدَنُوا وَسَمْتُمْ^(١) .

قال أُرْوَيْزُ لِصَاحِبِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ : إِنِّي سَاطُتُكُمْ عَلَى الْمَعِيشَةِ ، وَأَشْرَكْتُكُمْ فِي الْحَيَاةِ ، وَجَعَلْتُكُمْ أَمِينِينَ عَلَى نَفْسِي ، وَوَلَّيْتُكُمْ مِنْ طَعَامِي وَشَرَابِي مَا التَّوَسَّعْتُ فِيهِ مُرُوءَةً وَالتَّضَيِّقُ فِيهِ دَنَاءَةٌ ؛ فَأَجْعَلُهُ فِي فَضْلِهِ عَلَى مَا سِوَاهُ كِفْضِي عَلَى مَنْ سِوَايَ ، وَفِي كَثْرَتِهِ كَثْرَةٌ مَنِّ مَعِي عَلَى مَنْ مَعَ غَيْرِي . وَلَا يَشْهَدَنَّ طَعَامِي الَّذِي آكُلُ عَيْنُ تَرَاهُ وَلَا نَفْسُ يُحْسُهُ وَلَا يَدٌ تَدَاوُلُهُ خِلَا نَفْسًا وَاحِدَةً ؛ وَإِنَّمَا أَفَرَدْتُهُ بِذَلِكَ لِتَسْتَحْكِمَ الْحِجَّةَ فِيهِ عَلَى مَنْ أَضَاعَ ، وَتَنْقَطَعَ الشُّبُهَةُ فِيهِ عَمَّنْ غَفَلَ ، وَلَا أَجْعَلَ صَاحِبَ ذَلِكَ رَهْنًا بِدَمِ نَفْسِهِ إِنْ هُوَ قَصَرَ فِي صُنْعِهِ أَوْ وَقَعَ بِغَائِلَةٍ .

الأصمعيّ قال حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَالِحٍ : أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَأَمٌ مِنْ حَبِّ رُمَانٍ مَدْقُوقٍ يَسْفُفُ مِنْهُ بَيْنَ كُلِّ لَوْنَيْنِ مِلْعَقَةً حَتَّى يَعْرِفَ اخْتِلَافَ الْأَلْوَانِ .

وفِي مَا أَجَازَ لَنَا عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ مِنْ كُتُبِهِ قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّوْرِيُّ يَقْعِدُ^(٢) أَيْدِيَهُ مَعَهُ عَلَى خِوَانِهِ يَوْمَ الرَّأْسِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِيَّاكَ وَنَهْمُ الصَّبِيَّانِ وَأَخْلَاقِ النَّوَائِشِ ، وَ[دَعِ عَنْكَ]^(٣) خَبْطَ الْمَلَّاحِينَ وَالْفَعْلَةِ^(٤) ، وَنَهَشَ الْأَعْرَابِ وَالْمَهْنَةِ ، وَكُلُّ مَنْ بَيْنَ يَدَيْكَ ؛ فَإِنَّ حَظَّكَ الَّذِي وَقَعَ وَصَارَ إِلَيْكَ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الطَّعَامِ شَيْءٌ طَرِيفٌ أَوْ لَقْمَةٌ كَرِيمَةٌ أَوْ بَضْعَةٌ شَبِيهَةٌ^(٥) ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلشَّيْخِ الْمُعْظَمِ وَالصَّبِيِّ الْمَدَالِّ ، وَلَيْسَتْ

(١) دنوا : كلوا مما بين أيديكم وما يليكم وما دنا وقرب منكم . وسمتوا : أمر من التسميت وهو الدعاء بالخير والبركة . (انظر اللسان مادتي سمت ودنا) . (٢) كذا في الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ١١٥) ؛ وفي العقد الفريد « أبو عثمان الثوري » . (٣) ورد في كتاب البخلاء : أن أبا عبد الرحمن هذا كان يعجب بالروس ويحدها ويصفها وكان يسمى الرأس عرسا . فلعل المقصود من قوله « يوم الرأس » . ذلك اليوم الذي يجتمع له فيه هذا النوع من الطعام . (٤) كذا في العقد الفريد ، وفي الأصل « ونهم السلطان » . (٥) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١١٧) (٦) البضعة (بفتح الباء وتكسر) : القطعة من اللحم .

واحدا منهما. وأنت قد تأتي الدعوات، وتُجيب الولايم، وتدخل منازل الإخوان، وعهدك باللحم قريب، وإخوانك أشدَّ قرما^(١) إليه منك، وإنما هو رأس واحد، فلا عليك أن تتجافى عن بعض وتُصيب بعضا. وأنا بعد أكره لك الموالاة بين اللحم، فإن الله يُغضُّ أهل البيت المحميين^(٣).

وكان يقال: مُدْمِنُ اللحم كمدمن الخمر.

ورأى رجل رجلا يأكل لحما، فقال: لحمٌ يأكل لحما، أف لهذا عملا!

وكان عمر يقول: إياكم وهذه المجازر، فإن لها ضراوة^(٤) كضراوة الخمر.

يا بني عود نفسك الأثرة^(٥) ومجاهدة الهوى والشهوة، ولا تنهش نهش السباع،

ولا تخضم خضم البراذين، ولا تُدمن الأكل إدمان النعاج، ولا تلقم لقم الجمال،

فإن الله تعالى جعلك إنسانا وفضلك، فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سبعا. وأحذر سرعة الكيظة وسرف البيطنة^(٦).

قال بعض الحكماء: إذا كنت بطينا فعُدَّ نفسك من الزمنى. وقال الأعشى:

... .. والبيطنة مما تُسفه الأحلاما^(٧)

وأعلم أن الشبع داعية البشم، وأن البشم داعية السقم، وأن السقم داعية الموت،

فمن مات بهذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة، وهو مع هذا قاتل نفسه، وقاتل نفسه الأم من قاتل غيره.

(١) قرم الرجل إلى اللحم قرما: اشتدت شهوته إليه. (٢) كذا في كتاب البخلاء للجاحظ

(ص ١١٧) طبع أوربا، وفي الأصل «بعد» وهو تحريف. (٣) الحسين: جمع لحم ككتف

وهو الأكل للحم القرم إليه. (٤) الضراوة بالشئ: الولع به. (٥) الأثرة (بالضم):

المكرمة لأنها تؤثر أى تذكر ويأثرها قرن عن قرن. (٦) الكيظة: الامتلاء من الطعام.

(٧) هذا بعض بيت أورده اللسان في مادة «بطن» والبيت:

يا بني المنذر بن عبدان والبيطنة مما تُسفه الأحلاما

وفي الأصل «والبيطنة يوما تسفه الأحلاما».

يا بني ، والله ما أدى حقَّ الركوع والسجود ذوَ كِظَّة ، ولا خشع لله ذوَ بَطْنَة ،
والصومُ مَصَحَّة ، والوجبات عيش الصالحين .^(١)

أى بنى ، لأمرٍ ما طالت أعمار الهند ، وصحَّت أبدان الأعراب ، فله در الحارث
ابن كلدة حيث يزعم أن الدواء هو الأزم ، وأن الداء إدخال الطعام إثر الطعام .^(٢)

أى بنى ، لم صَفَّتْ أذهان الأعراب ، وصحَّتْ أبدان الرهبان ، مع طول
الإقامة في الصوامع حتى لم تعرف النَّقِيس ولا وجع المفاصل ولا الأورام ، إلا لقلة^(٣)
الرَّزء وخفة الزاد . وكيف لا ترغب في تدبيرٍ يجمع لك صحَّة البدن ، وذكاء الدهن ،
وصلاح المعى ، وكثرة المال ، والقُرب من عيش الملائكة !^(٤)^(٥)

أى بنى ، لم صار الضرب أطولَ شيء دَمَاءً^(٦) إلا لأنه يتبَّع بالنسيم ؛ ولم قال^(٧)
الرسول صلى الله عليه وسلم إن الصوم وجاء^(٨) إلا ليُجعله حجازاً دون الشهوات . إفهم
تأديب الله ، فإنه لم يقصد به إلا إلى مثلك .

أى بنى ، قد بلغت تسعين عاماً ما نَغَضَ لى سنٌّ ، ولا آنتشر لى عصبٌ ،^(٩)
ولا عرفت ذنين أنف ، ولا سيَّلان عين ، ولا سَلَسَ بول ، ما لذلك علة إلا التخفيف^(١٠)
^(١١)

(١) الوجبات : جمع وجبة وهي الأكلة في اليوم واليلة . (٢) الأزم : ألا تدخل طعاماً على

طعام . (٣) النقريس كزبرج : داء يأخذ في الرجل . (٤) الرزء : ما يصيبه الإنسان من الطعام .

(٥) المعى (بالمد والقصر والقصر أشهر) : المصارين . وفي الأصل « المعاد » وهو تحريف .

(٦) الدماء : بقية النفس والحركة ، والمراد : أطول شيء حياة . وفي العقد الفريد « أطول عمراً » .

(٧) كذا بالعقد الفريد . وفي الأصل : « زعم » . (٨) نص الحديث كما في الجامع

الصغير : « عليكم بالباءة فن لم يستطع فعله بالصوم فانه له وجاء » والوجاء ، كما في النهاية لابن الأثير ، :

أن ترض أنثيا الفحل رضا شديدا يذهب شهوة الجماع ويتزل في قطعه منزلة الخصى . (٩) حجازا :

مانعا وحائلا . وفي العقد الفريد : « حجابا » . (١٠) نغض قلق وتحرك . وانتشر العصب :

انتفخ . (١١) كذا في العقد الفريد ، والذنين والذنان : المخاط الرقيق يسيل من الأنف ،

وفي الأصل : « ذنين أذن » .

من الزاد . فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة ، وإن كنت تريد الموت فلا يبعد الله إلا من ظلم نفسه .

وقال أبو نهشل^(١) : كانت لي ابنة تجلس معي على المائدة فتبرز كفا كائها طلعة ، في ذراع كأنه جمارة ، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خصتني بها ، فزوجتها وصرت أجلس معي على المائدة أنبأ لي فيبرز كفا كائها^(٢) كرفافة ، في ذراع كأنه كربة ، فوالله ما إن تسبق عيني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده اليها .

وقال بعضهم : غلبت بطنتي فطنتي .

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكم الحكان : أكثروا الطعام ، فوالله ما بطن قوم قط إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عزمة رجل بات بطينا .

وكان يقال : أقلل طعاما تجمد منا ما .

الأصمعي قال : كان يقال : ليس لشبعة خير من جوعة تحفزها .

دعا عبد الملك بن مروان إلى الغداء رجلا فقال : ما في فضل ، فقال عبد الملك : ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل ! فقال : يا أمير المؤمنين ، عندي مستراد ، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التي آستقبحها أمير المؤمنين .

وقال لشيخ : ما أحسن أكلك ؟ قال : عملي منذ ستين سنة .

وقال الحسن : إن ابن آدم أسير الجوع ، صريع الشبع .

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة فقال : هل آتخمت قط ؟ قال لا ، قال : وكيف^(٤)

ذاك ؟ قال : لأننا إذا طبخنا أنضجنا ، وإذا مضغنا دققنا ، ولا نكظ المعدة ولا نخاها .

(١) نسب هذه الحكاية ابن خلكان (ج ١ ص ٤٥٦) لأبي الحسن . (٢) الكرافة : واحدة

الكرناف (بالكسر وبضم) وهو أصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) البطنة :

الكظلة وهي امتلاء البطن من الطعام ، ومن أمثالهم : « البطنة تذهب الفطنة » . (٤) كذا في الأصل .

وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « أبا المغور » وقد ورد هذا الاسم في الطبري (ص ٧٩١ ، ٨٣٧

من القسم الثاني طبع أوربا) هكذا : « أبا الزعيرة » وفي ابن الأثير (ج ٤ ص ٢٤٩ طبع أوربا :

« أبا الزعيرة » . (٥) كذا في العقد الفريد ، ولا نكظ المعدة : لا نملؤها . وفي الأصل : « لا نكب » .

وقال الأحنف : جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام ، فإنى أبغض الرجل أن يكون وصافا لبطنه وفرجه ، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيهِ .
 الأصمعي قال : بلغنى أن أقواما لبسوا المطارف العتاق ، والعائم الرقاق ، وأوسعوا دورهم ، وضيقوا قبورهم ، وأسمنوا دوابهم ، وهزلوا دينهم ، طعام أحدهم غصب ، وخادمه سُخْرَةٌ ، يتكئ على شماله ، ويأكل من غير ماله ؛ حتى إذا أدركته اليكظة قال : يا جارية هاتى حاطوما ، ويلك ! وهل تحيطم إلا دينك ! أين مساكينك ! أين يتامك ! أين ما أمرك الله به ! أين أين ! .

قال بعض الحكماء : مدار صلاح الأمور فى أربع : الطعام لا يؤكل إلا على شهوة ، والمرأة لا تنظر إلا الى زوجها ، والملك لا يصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل .
 وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ أَكَلَ مِنْ سَقَطِ الْمَائِدَةِ عَاشَ فِي سَعَةٍ وَعُوفَى فِي وَلَدِهِ وَوَلَدُ وَلَدِهِ مِنَ الْحَقِّ " .

وقيل لأعرابي : أَتُحْسِنُ أَنْ تَأْكَلَ الرَّأْسَ ؟ قال : نعم ، أَتُبْخَصُ عَيْنِيهِ ، وَأَسْحَى ، خَدَّيْهِ ، وَأُفَكَّ لَحْيَيْهِ ، وَأَرْمِي بِالْدِمَاحِ إِلَى مَنْ هُوَ أَحْوَجَ مِنِّي إِلَيْهِ . وكانوا يكرهون أكل الدماغ ؛ ولذلك يقول قائلهم : أَنَا مِنْ قَبِيلَةِ ثُبُقِ الْمَخِّ فِي الْجَاهِمِ .

دُعِيل قال : يَا بُنَى ، لَا تَأْكُلْ أَلْيَةَ الشَّاةِ لِأَنَّهَا طَبِيقُ الْأَسْتِ وَقَرِيبٌ مِنَ الْجَوَاعِرِ .
 قال بعض الشعراء :

إِذَا لَمْ أَرَى إِلَّا لَآ كُلَّ أَكْلَةٍ * فَلَا رَفَعَتْ يَمْنَى يَدَى طَعَامِي
 فَمَا أَكَلْتُ إِنْ نَلْتُمَا بَغْنِيمَةً * وَلَا جَوْعَةٌ إِنْ جُعْتُهَا بَغْرَامِ

(١) الحاطوم : الهاضوم ، وهو كل دراء يهضم الطعام . (٢) بخص عينه : أغارها .
 (٣) يقال : سحيت أسحاه إذا قشرته . (٤) ومنه قول الشاعر :

وَلَا يَسْرِقُ الْكَلْبُ السُّرُوقَ نَعَالَنَا * وَلَا نَنْتَقِي الْمَخَّ الَّذِي بِالْجَاهِمِ
 وفسره صاحب اللسان فقال : إنه يمدح قوما بأنهم لا يلبسون من النعال إلا المدبوغة والكلب لا يأكلها وبأنهم لا يستخرجون ما فى الجاهم لأن العرب تعير بأكل الدماغ كأنه عندهم شره ونهم .
 (٥) الجواعر : جمع جاعرة وهى الدبر .

- عبد الملك بن عمير عن عمه عن الأصمعي قال : لا تخرج يا بني من منزلك حتى تأخذ حُلْمَكَ ^(١) . يعني حتى تُتَغَدَّى . وقال هلال بن جشم ^(٢) :
- وإن قرابَ البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوءات الأمور آجتناؤها
- وقرأت في الآيين ^(٣) : أن رجلا من خدم دار الملكة أوصى ابنه فقال :
- إذا أكلت فضم شفتيك ، ولا تلتفتن يمينا وشمالا . ولا تتخذن خلالك قصبا .
- ولا تلقمن بسكين أبدا ، وإذا كان في يدك سكين وأردت التقاما فضعهما على مائدتك ثم ألتقم . ولا تجلس فوق من هو أسن منك وأرفع منزلة . ولا تتحلل بعود آس . ولا تمسح بثياب بدنك . ولا ترق ماء وأنت قائم . ولا تحفر أرضا بأظفارك .
- ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتب عليهما فتلعن ، ولا تسترح على أسكفة ^(٤) فتجهل ، ولا تستنج بمدر فيورثك البواسير ، ولا تمتخط حيث يُسمع امتخاطك ،
- ولا تبصق في الأماكن المنظفة .
- وأجلس معاوية على مائدته رجلا يؤاكله ، فأبصر في لقمته شعرة ، فقال : خذ الشعرة من لقمته ، فقال له الرجل : وإنك لتراعي مراعاة من يبصر الشعرة في لقمته ! والله لا أكلت معك أبدا ! ثم خرج الأعرابي وهو يقول :
- ولموت خير من زيارة باخل * يلاحظ أطراف الأكل على عميد
- وكان سعيد بن جبير إذا فرغ من طعامه قال : اللهم أشبعت وأرويت فهتئنا ، وأكثرت وأطبت فزدنا .

(١) الحلم : العقل ، وفسر أخذ الحلم بالغذاء لأن الشبع قوام العقل . وفي الأصل : «جلمك بالجيم» .

(٢) تقدم هذا البيت في باب القناعة والاستغفاف (ص ١٨٤ من هذا المجلد) ضمن أبيات منسوبة لبشار بن بشر . وفي كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٦) وكتاب الحيوان له أيضا (ج ١ ص ١٩٣) نسبت هذه الأبيات نفسها إلى هلال بن خنعم . (٣) في تعليقات كتاب التاج للجاحظ (ص ١٩ طبع بولاق) :

الآيين : كلمة فارسية عربية العرب واستعملوها ، ومعناها القانون والعادة . (٤) الأسكفة : عتبة الباب . (٥) المدر : التراب المتبلد . (٦) كذا في الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ٧٤) . وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : «هشام بن عبد الملك» .

الجوع والصوم

قيل لبعض الحكماء : أى الطعام أطيب ؟ قال : الجوع أعلم .

وكان يقال : نعم الإدام الجوع ، ما ألقيت إليه قبلة .

قال لقمان لابنه : يا بني ، كل أطيب الطعام ، ونم على أوطأ الفراش . يقول :

أكثر الصيام ، وأطول بالليل القيام .

اشتاق أعراحي بالبصرة الى البادية فقال :

أقول بالمصير لما ساءني شبيبي * ألا سبيل إلى أرض بها جوع

ألا سبيل إلى أرض بها عرس^(١) * جوع يصدع^(٢) منه الرأس برقوع^(٣)

وقال آخر :

وعادة الجوع فأعلم عصمة^(٤) وغنى * وقد يزيدك جوعاً عادة الشبع

العتبي^(٥) قال : قلت لرجل من أهل البادية : يا أخي ، إني لأعجب من [أن] فقهاءكم

أظرف من فقهاءنا ، وعوامكم أظرف من عوامنا ، ومجانينكم أظرف من مجانيننا ،

قال : وما تدري لم ذاك ؟ قلت لا ، قال : [من] الجوع ، ألا ترى أن العود إنما

صفا صوته لخاؤ جوفه ! .

وقيل لبعض حكماء الروم : أى وقت الطعام فيه أطيب وأفضل ؟ قال : أما

لمن قدر إذا جاع ، وأما لمن لم يقدر فإذا وجد .

(١) كذا بالأصل ، ولعله « غرت » (بالعين المعجمة والياء المثلثة) بمعنى الجوع ليناسب المقام .

(٢) جوع برقوع (بضم الباء وفتحها) : شديد ، ومثل البرقوع البركوع واليرقوع (بفتح الباء الموحدة

وضمها في الأول وفتح الياء المثناة في الثاني) والخثور والخنثار . (٣) في الأصل : « وعنا » .

(٤) رويت هذه الحكاية في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) والزيادات المذكورة هنا عنه .

(٥) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « بزرجهر » وهو من حكماء الفرس .

وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى قَوْمٍ يَلْتَمِسُونَ هَلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أَثَرْتُمُوهُ لَتَمْسُكُنَّ مِنْهُ بَذْنَابِي عَيْشٍ أَغْبَرُ .^(١)

وَقِيلَ لَأَنْحَرُ : أَلَا تَصُومُ الْبَيْضَ مِنْ شَعْبَانَ ! فَقَالَ : بَيْنَ يَدَيْهَا ثَلَاثُونَ كَأَنَّهَا الْقَبَاطِيُّ^(٢) .

وَقِيلَ لِمَدَنِيٌّ : بِمَ تَتَسَحَّرُ اللَّيْلَةَ ؟ فَقَالَ : بِالْيَاسِ مِنْ فُطُورِ الْقَابِلَةِ .

الرَّيَاشِيُّ قَالَ : قِيلَ لَأَعْرَابِيٌّ : اشْرَبْ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْرَبُ عَلَى^(٣) نِيلَةٍ . وَقَالَ :
إِذَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ النَّبِيذِ ثَرِيدَةً * مَبَقَّةً صَفْرَاءُ شَحْمَ جَمِيعِهَا
فَإِنَّ نَبِيذَ الصَّرْفِ إِنْ كَانَ وَحْدَهُ * عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ أَوْجَعَ الْكَبِدَ جُوعُهَا

قَدِمَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى ابْنِ عَمٍّ لَهُ بِالْحَضَرِ ، فَأَدْرَكَهُ شَهْرُ رَمَضَانَ ، فَقِيلَ لَهُ : أَبَا عَمْرٍو
لَقَدْ أَتَاكَ شَهْرُ رَمَضَانَ ، قَالَ : وَمَا شَهْرُ رَمَضَانَ ؟ قَالُوا : الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ ،
قَالَ : أَبِاللَّيْلِ أَمْ بِالنَّهَارِ ؟ قَالُوا : لَا ، بَلْ بِالنَّهَارِ ، قَالَ : أَفَيَرْضَوْنَ بَدَلًا مِنَ الشَّهْرِ ؟
قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ أَصُمْ فَعَلُوا مَاذَا ؟ قَالُوا : تُضْرَبُ وَتُحْبَسُ ، فَصَبَّامُ أَيَّامَا فَلَمْ
يَصْبِرْ ، فَارْتَحَلَ عَنْهُمْ وَجَعَلَ يَقُولُ :

يَقُولُ بَنُو عَمِّي وَقَدْ زُرْتُ مِضْرَهُمْ * تَهَيَّأْ أَبَا عَمْرٍو لِشَهْرِ صِيَامِ
فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا جِرَابِي وَمِزْوَدِي * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَاذْهَبُوا بِسَلَامِ
فَبَادَرْتُ أَرْضًا لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرٌ * عَلَى وَلَا مَنَاعُ أَكْلِ طَعَامِ

(١) قد صححنا هذه الجملة عن الجزء الحادى عشر من كتاب تذكرة ابن حمدون (ص ١٥١) وقد وردت

في الأصل محرقة هكذا : « لَتَمْسُكُنَّ مِنْهُ أَذْنَابِي عَيْشٍ أَغْبَرُ » . (٢) القباطى : ثياب بيض من كتان

كانت تنسج بمصر ، شبه بها أيام رمضان . (٣) النيلة : البقية القليلة من الطعام أو الشراب

وأدرك أعرابياً شهر رمضان فلم يصم ، فعذّله امرأته في الصوم ، فزجرها وأنشأ يقول :

أَتَأْمُرُنِي بِالصَّوْمِ لَا دَرَّ دَرُّهَا * وَفِي الْقَبْرِ صَوْمٌ يَا أُمِّمَ طَوِيلُ
دعاً عبدُ الله بنُ الزبير الحسينَ فحضر وأصحابه ، فأكلوا ولم يأكل ، فقيّل له :
« أَلَا تَأْكُلُ ! » فقال : « إِنِّي صَائِمٌ ، وَلَكِنْ تُخَفِّة الصَّائِمَ » قيل : وما هي ؟ قال : الدَّهْنُ
وَالْمَجْمَرُ .

أخبارٌ من أخبار الأكلة

الأصمعيّ قال : قال رجلٌ : أُحِبُّ أَنْ أَرْزُقَ ضَرْسًا طَحُونًا ، وَمِعْدَةً هَضُومًا ،
وَسِرْمًا تَشُورًا^(١) .

١٠ عن إسحاق بن عبد الله قال : سمعتُ أنسَ بن مالك يقول : رأيتُ عمرَ يُلْقِي
إليه الصَّاعُ من التمرِ فأكله حتى حَشَفَه .

وقال بعضُ الشعراء :

هَمْ الْكَرِيمُ كَرِيمُ الْفِعْلِ يَفْعَلُهُ * وَهَمْ سَعِيدٌ بِمَا يُلْقَى إِلَى الْمَعِدَةِ
وقيل لرجلٍ ربي سميناً : ما أسمنك ؟ قال : أَكَلِي الْحَارَّ ، وَشَرَبِي الْقَارَ ، وَآتَكَلْتُ^(٢)
عَلَى شِمَالِي ، وَأَكَلِي مِنْ غَيْرِ مَالِي . ١٥

وقيل لآخر : ما أسمنك ؟ قال : قَلَّةُ الْفِكْرِ ، وَطَوَّلُ الدَّعَةِ ، وَالنَّوْمُ
عَلَى الْكِظَةِ^(٣) .

(١) كذا في اللسان مادة (سرم) ، والسرم الثور : الكثير القذف للثقل من المعى . وفي الأصل :

«وسرماً مشاقاً» . (٢) في الأصل «وأتكالى» باللام . (٣) الكظة : شيء يعتري الإنسان

قال المجاج للغضبان بن القبعثرى في حبسه : ما أسمىك ؟ قال : القيد والدعة ،
ومن كان في ضيافة الأمير فقد سمين .

وقال آخر لرجل رآه سمينا : أرى عليك قطيفة من تسج أضرارك .

وقيل لآخر : إنك لحسن الشحمة لين البشرة ، فقال : آكل لباب البر بصغار
المعز ، وأدهن بدهن البنفسج ، وألبس الكتان .

قيل لميسرة الأكل وأنا أسمع : كم تأكل في كل يوم ؟ قال : من مالى
أو من مال خيري ؟ قالوا : من مالك ؟ قال : دونان^(١) ، قالوا : فمن مال غيرك ؟ قال :
أخيز وأطرح .

والعرب تقول : « العاشية تسج الآبسة^(٢) » . يريدون أن الذى لا يشهى أن
يأكل ، إذا نظر إلى من يأكل حاجه ذلك على الأكل .

قال جرير :

وبنو الهجيم سخيصة أحلامهم * نط^(٤) اللهى متشاي^(٣) والألوان
لو يسامعون بأكلة أو شربة * بعمان أصبح جمعهم بعمان
متأبطين^(٥) بغيرهم وبناتهم * صعر الأنوف^(٦) لريح كل دخان

- ١٥ (١) دونان : كلمة فارسية ومعناها رغيفان . وفي العقد الفريد : « مكوك » والمكوك : مكبال ذكرت
في مقداره عدة أقوال . (٢) العاشية : التى ترعى بالعشى من المواشى وغيرها . والآبسة : التى
لا تريد العشاء . أى إذا رأت الآبسة الإبل العواشى تبعثها فرعت معها . (٣) فى الأصل :
« وبنو الهجين » بالنون وهو تحريف ، والتصويب من القاموس وديوان جرير (النسخة المخطوطة
المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) . وروى هذا الشطر فى الديوان هكذا :

- ٢٠ * إن الهجيم قبيلة مخسوسة * (٤) نط : جمع أنط ، والأنط : قليل شعر
الحية . (٥) فى الديوان : « متوركين » . (٦) كذا فى الديوان ، وصعر الأنوف :
ميلها ، من الصعر وهو الميل . وفى الأصل : « صعب الأنوف » وهو تحريف .

قَعَدَ رَجُلٌ عَلَى مَائِدَةِ الْمَغِيرَةِ ، وَكَانَ مِنْهُومًا ، وَجَعَلَ يَنْهَشُ وَيَتَعَرَّقُ ؛ فَقَالَ
الْمَغِيرَةُ : نَاوُوهُ سَكِينًا ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ : كُلُّ أَمْرِي سَكِينَةٌ فِي رَأْسِهِ .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا لَكُمْ تَأْكُلُونَ اللَّحْمَ وَتَدْعُونَ الثَّرِيدَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ اللَّحْمَ ظَاعِنٌ
وَالثَّرِيدُ بَاقٍ .

وَقِيلَ لِأَنَرٍ : مَا تُسَمُّونَ الْمَرْقَ ؟ قَالَ : السَّخِينُ ؛ قَالَ : فَإِذَا بَرَدَ ؟ قَالَ :
لَا نَدْعُهُ يَبْرُدُ .

قَالَ أَبُو الْيَقْظَانِ : كَانَ هِلَالُ بْنُ أَسْعَرَ التَّمِيمِيِّ ، مِنْ بَنِي دَارِمِ بْنِ مَازِنٍ ،
شَدِيدًا أَكْوَلًا ؛ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَكَلَ جَمَلًا إِلَّا مَا حَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ مِنْهُ . وَأَكَلَ مَرَّةً
فَصِيْلًا ، وَأَكَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فَصِيْلًا ، فَلَمَّا ضَاجَعَهَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا ؛ فَقَالَتْ : كَيْفَ تَصِلُ
إِلَى وَبَيْنَنَا بَعِيرَانِ !

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : دَعَا عَبَادُ بْنُ أَخْضَرَ هِلَالَ بْنَ أَسْعَرَ إِلَى وَلِيمَةٍ ، فَأَكَلَ مَعَ النَّاسِ
حَتَّى فَرَّغُوا ، ثُمَّ أَكَلَ ثَلَاثَ جِفَانٍ تَصْنَعُ كُلُّ جَفْنَةٍ لِعَشْرَةِ أَنْفُسٍ ؛ فَقَالَ لَهُ :
أَشْبِعْتَ ؟ قَالَ لَا ؛ فَأَتَوْهُ بِكُلِّ خَبْزٍ فِي الْبَيْتِ فَلَمْ يَشْبَعْ ، فَبَعَثُوا إِلَى الْجِيرَانِ ؛ فَلَمَّا
أَخْتَلَفَتْ أَلْوَانُ الْخَبْزِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَضْرَبَهُمْ فَأَمْسَكَ ؛ فَقَالُوا : هَلْ لَكَ فِي تَمْرِ شَهْرِيذٍ^(١)
وَلَبْنٍ ؟ فَأَتَوْهُ بِهِ فَأَكَلَ مِنْهُ قَوَاصِرَ ؛ فَقَالُوا لَهُ : أَشْبِعْتَ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالُوا : فَهَلْ لَكَ
فِي السَّوِيقِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ فَأَتَوْهُ بِجَرَابٍ ضَخِيمٍ مَمْلُوءٍ ؛ فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكُمْ نَبِيدٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛
قَالَ : أَعِنْدَكُمْ تَوْرٌ تَغْتَسِلُونَ فِيهِ مِنَ الْجَنَابَةِ ؟ فَأَتَى بِهِ فَغَسَلَهُ وَصَبَّ السَّوِيقَ فِيهِ^(٢)
وَصَبَّ عَلَيْهِ النَّبِيدَ ، فَمَا زَالَ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى فَنِيَ .

(١) الشَّهْرِيْزُ (بِكسر الشين المعجمة وقد تضم وبالسين المهملة أيضا) : ضرب من التمر ، وفيه وجهان

الاتباع والاضافة . (٢) القواصر : جمع قوصرة (بخفض الفاء وتشديد هاء) : وعاء للتمر من قصب .

(٣) التور : إناء من نحاس أو حجر .

الشَّمْرَدُلُ وَيَكُلُ آلَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قَدِيمُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الطَّائِفِ
 وَقَدْ عُرِفَتْ شَجَاعَتُهُ^(١) ، فَدَخَلَ هُوَ وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ [وَأَيُّوبُ ابْنُهُ بِسْتَانًا لِعَمْرُو^(٢) ؛
 قَالَ : بِخَالٍ فِي الْبِسْتَانِ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ] : نَاهِيكَ بِأَلَيْكُم هَذَا [مَالًا^(٣)] لَوْلَا جَرَّارٌ فِيهِ ! فَقُلْتُ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهَا لَيْسَتْ بِجَرَّارٍ وَلَكِنهَا جُرْبُ الزَّيْبِ ، بِخَاءٍ حَتَّى أَلْقَى صَدْرَهُ
 عَلَى غُصْنٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا شَمْرَدُلُ ! أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ تُطْعِمُنِي ؟ قُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ !
 إِنْ عِنْدِي لِحَذِيًّا تَغْدُو عَلَيْهِ بَقَرَةٌ وَتَرُوحُ أُخْرَى ، قَالَ : آعْجَلْ بِهِ ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ كَأَنَّهُ
 عُكَّةٌ^(٤) ، وَتَشْمَرُ فَأَكُلُ وَلَمْ يَدْعُ ابْنَهُ وَلَا عَمَرَ حَتَّى أَبْقَى نَحْشًا . فَقَالَ : يَا أَبَا حَفِصٍ
 هَلُمَّ ، قَالَ : إِنِّي صَائِمٌ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا شَمْرَدُلُ ! أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ فَقُلْتُ :
 بَلَى وَاللَّهِ ! دَجَاجَاتٌ سِتٌّ كَأَنَّهُنَّ رِثْلَانُ^(٥) النَّعَامِ ، فَأَتَيْتُهُ بِهِنَّ ، فَكَانَ يَأْخُذُ رِجْلَ
 الدَّجَاجَةِ حَتَّى يُعْرِى عَظْمَهَا ثُمَّ يُلْقِيهَا [بِفِيهِ] حَتَّى أَتَى عَلَيْهِنَّ . ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ !
 أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ ! إِنْ عِنْدِي لِحَرِيرَةٌ كَقُرَاضَةِ الذَّهَبِ ، فَقَالَ :
 آعْجَلْ بِهَا ، فَأَتَيْتُهُ بِعَسٍّ^(٦) يَغِيبُ فِيهِ الرَّأْسُ ، بِفَعْلٍ يَتَلَقَّمُهَا بِيَدِهِ وَيَشْرَبُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ
 تَجَشَّأَ كَأَنَّهُ صَاحٍ فِي جُبٍّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامُ ، أَفَرَعْتَ مِنْ غَدَائِنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
 وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : نَيْفٌ وَثَمَانُونَ قِدْرًا ، قَالَ : فَأَتَنِي بِهَا قِدْرًا قِدْرًا ، فَأَتَاهَا بِهَا وَبِقِنَاجٍ عَلَيْهِ^(٧)

- ١٥ (١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَا أَبَا هَا ، وَلَعَلَّهَا مَحْرَقَةٌ عَنْ كَلِمَةٍ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْجَشَعِ وَالنِّهَمِ .
 (٢) التَّكَلُّفُ مِنَ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٣٣٢) . (٣) الْعُكَّةُ : وَعَاءُ السَّمْنِ وَهِيَ أَصْغَرُ
 مِنَ الْقَرْبَةِ . (٤) الرِّثْلَانُ : أَوْلَادُ النَّعَامِ ، وَاحِدُهُمَا رَأْلٌ . (٥) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ،
 وَالْحَرِيرَةُ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّعَامِ يَتَّخِذُ مِنَ الدَّقِيقِ يَطْبِخُ بِلَبَنٍ أَوْ دَسَمٍ ، وَفِي الْأَصْلِ «لَنْبِيذَةٌ» . وَفِي الْمُسْتَطَرَفِ
 وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ (ج ٣ : ص ٣٥٣) «سَوِيقٌ» . (٦) الْعَسُّ (بِالضَّمِّ) : الْقَدَحُ الْكَبِيرُ .
 ٢٠ (٧) يَتَلَقَّمُهَا مِنْ تَلَقُّمِ الشَّيْءِ : أَكَلُهُ بِسُرْعَةٍ . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : «يَقْلَعُهَا بِيَدِهِ» . وَفِي الْأَصْلِ :
 «يَتَلَكَّهُ» وَاللَّكْمُ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ : الضَّرْبُ بِالْيَدِ مَجْمُوعَةٌ ، وَلَعَلَّ مَا أَثْبَتْنَاهُ أَنْسَبُ بِالْمَقَامِ . (٨) الْقِنَاجُ
 (بِالْكَسْرِ) : إِنَاءٌ مِنْ عَسْبِ النَّخْلِ يُوَضَعُ فِيهِ الطَّعَامُ .

رُقَاقٌ ، فَأَكْثَرُ مَا أَكَلَ مِنْ قَدِيرٍ ثَلَاثُ لُقَمٍ وَأَقَلُّ مَا أَكَلَ لُقْمَةً ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَيْهِ وَاسْتَأْذَنَ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَأُذِنَ لِلنَّاسِ وَوُضِعَتْ الْخِوَانَاتُ بِفَعْلٍ بِأَكْلٍ مَعَ النَّاسِ .

الْخَطَّابِيُّ عَنْ الدَّيْرَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي لَأَعْرِفُ الطَّعَامَ الَّذِي يَأْكُلُهُ سُلَيْمَانُ ؛ قَالَ : لَمَّا اسْتَخْلَفَ سُلَيْمَانُ قَالَ لِي : لَا تَقْطَعْ عَنِّي الْطَافَكَ الَّتِي كُنْتَ تُلَطِّفُنِي بِهَا قَبْلَ أَنْ أُسْتَخْلَفَ ، فَأَتَيْتُهُ بِزَيْنَبِيَّيْنِ أَحَدُهُمَا بَيْضٌ وَالْآخَرُ تَيْنٌ ؛ فَقَالَ : لَقَمْنِيهِ ، بِفَعْلٍ أَقِشَرُ الْبَيْضَةِ وَأَقْرِئُهَا بِالتَّيْنَةِ حَتَّى أَكَلَ الزَّيْنَبِيَّيْنِ .

الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَأْكُلُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَ جَرَادِقَ^(٢) أَصْبَهَانِيَّةٍ وَجُبْنًا قَبْلَ غَدَائِهِ .

وَعَنْ سَلَمِ بْنِ قُتَيْبَةَ قَالَ : عَدَدْتُ لِلْحَاجِجِ أَرْبَعًا وَثَمَانِينَ لُقْمَةً فِي كُلِّ لُقْمَةٍ رَغِيفٌ مِنْ خَبْزِ الْمَاءِ فِيهِ مِلٌّ كَفَّهُ سَمَكٌ طَرِيٌّ .

وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ابْنٌ أَكُولٌ ؛ فَقَالَ لَهُ [مَعَاوِيَةَ]^(٤) : مَا فَعَلَ ابْنُكَ التَّلْقَامَةُ؟ قَالَ : أَعْتَلَّ ؛ قَالَ : مِثْلُهُ لَا يَعْدَمُ عِلَّةٌ .

أَكَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِيُّ وَأَقْعَدَ مَعَهُ أَعْرَابِيًّا فَرَأَى لَهُ لَقْمًا مُنْكَرًا ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ؟ قَالَ : لُقْمَانُ ؛ قَالَ : خُذْ أَهْلَكَ ، إِنَّكَ لُقْمَانُ .

وُلِدَ لِابْنِ أَبِي لَيْلَى غُلَامٌ فَعَمِلَ الْأَخْيَصَةَ بِالْجِرَانِ ، فَلَمَّا أَكَلُوا قَامَ مُسَاوِرُ الْوَرَّاقِ فَقَالَ :

مَنْ لَا يَدْسُمُ^(٦) بِالْثَرِيدِ سِبَالَنَا * بَعْدَ الثَّرِيدِ فَلَا هَنَاءُ الْفَارِسُ

(١) كَذَا فِي الْعَقِيدَةِ الْفَرِيدَةِ (ج ٢ ص ٣٣٢) . وَفِي الْأَصْلِ : « فَوَضِعَتْ الْخِوَانُ » .
(٢) الْجَرَادِقُ جَمْعُ جَرْدَقٍ ، وَالْجَرْدَقُ وَالْجَرْدَقَةُ (بِالذَّالِ الْمُهْمَلَةِ) وَالْجَرْدَقُ (بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ) : الرَغِيفُ فَارِسِيَّةٌ مَعْرَبَةٌ . (٣) كَذَا بِالْأَصْلِ . (٤) التَّكْلَةُ عَنْ كِتَابِ الْبَخْلَاءِ لِلْجَاحِظِ (ص ١٦٥) طَبَعَ أَوْ رُبَا) وَقَدْ ذَكَرْتُ فِيهِ هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِأَوْضَحِ بَيِّنَةٍ فِي الْأَصْلِ فَرَاغَهُ . (٥) التَّلْقَامَةُ : الْعَظِيمُ اللَّقْمِ . (٦) وَالسِّبَالُ : جَمْعُ سِبَلَةٍ وَهِيَ مَجْتَمِعُ الشَّارِبِينَ وَمَقْدَمُ الْحَيَّةِ .

وقال العجيف في أمه :

يا ليتما أمنا شالت نعامتها ^(٢) * إما الى جنة إما الى نار
ليست بشي وإن أسكنتها هجرا ^(٣) * ولا بريا ولو حلت بشي قار ^(٤)
تلهم الوسق مشدودا أشظته ^(٥) * كأنما وجهها قد طلى بالقار ^(٦)

نرقاء في الخير لا تهدي لوجهته * وهي صناع الأذى في الأهل والجار ^(٧)

رأى أبو الحارث حمزة سلة بين يدي رجل من الملوك ، فقال له : جعلت فداك ،

أى شيء في تلك السلة ؟ فقال : بظر أمك ، قال : فأعطيني به .

قيل للحارثي : لم لا تؤاكل كل الناس ؟ فقال : لو لم أترك مؤاكلتهم إلا لنزوي

عن الأسوارى لتركها ، ما ظنكم برجل نهش بضعة لحم بقر فأنقلع ضرسه وهو لا يدري . ^(٨)

وكان إذا أكل ذهب عقله وجمحت عيناه وسكر فسدر وتردد وجهه وغضب ولم ^(٩) ^(١٠) ^(١١)

يسمع ولم يبصر ، فلما رأته وما يعتريه ويعتري الطعام منه صرت لا آذن له إلا ونحن

نأكل الجوز والتمر والباقي ، ولم يفجأني قط وأنا آكل تمرا إلا استفقه سقا وزدا به ^(١٢)

(١) نسب هذا الشعر في شرح ديوان الحماسة (طبعة أوروبا ص ٨١٠) الى شخص اسمه «سعد» .

ونسب في شرح شواهد المغنى (٦٧ طبعة مصر) الى من اسمه سعد بن قربن سيار ويلقب بالنعيم الحدرى .

(٢) في ديوان الحماسة واللسان والمغنى : «أيمنا الى جنة أيمنا الى نار» . (٣) هجر : مدينة

البحرين مشهورة بكثرة التمر . (٤) ذرقار : ماء لبكرين وائل قريب من الكوفة .

(٥) كذا في الحماسة ، والأشظة : جمع شظاظ وهو خشبة عفاء تدخل في عروة الجواقي . وفي الأصل

«أسربه» وهو تحريف . (٦) كذا في ديوان الحماسة ، وفي الأصل «مطلو بالقار» .

(٧) كذا في شرح شواهد المغنى (ص ٦٧ طبع مصر) ، وفي الأصل : «وفي اصطناع الأذى» . وهو تحريف .

(٨) في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٢ طبعة أوروبا) : «... لو لم أترك مؤاكلة الناس

وإطعامهم إلا لسوء رعة على الأسوارى لتركته ، وما ظنكم ... الخ ...» . ولعل الصواب : الا لشره

على الأسوارى أو نحو ذلك . وفي الأصل هنا : «إلا لنزوى عن الأسواق» ، والظاهر أن كلمة

«الأسواق» هنا محرفة عن «الأسوارى» وهو الشخص الذى يتحدث عنه في هذا الحديث .

(٩) في كتاب البخلاء : «فهش بضعة لحم تعرفا فبلغ ضرسه» . (١٠) جمحت عينه : عظمت

مقلتها ونشأت . (١١) سدر الرجل : تحير . (١٢) تردد وجهه : تغير .

٢٥

(١٣) زدا به : رمى به . وفي كتاب البخلاء «وذرا به ذروا» .

زُدُّوْا ، وَلَا وَجَدَهُ كَنْزِيْزًا إِلَّا وَتَنَاوَلَ الْقِطْعَةَ مِنْهُ بِكُمُجْمَةٍ الشَّوْر كَدَمَهَا كَدَمًا ، وَنَهَشَهَا
طُولًا وَعَرْضًا ، وَرَفَعًا وَخَفَضًا ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ لَا يَقَعُ عَضُّهُ إِلَّا عَلَى الْأَنْصَافِ
وَالْأَثْلَاثِ ، وَلَا رَمَى بِنَوَاةٍ قَطُّ ، وَلَا نَزَعَ قِهْرًا ، وَلَا نَتَى عَنْهُ قَشْرًا ، وَلَا فَتَشَهُ مَخَافَةً
السُّوسِ وَالْدُّودِ .

وقال بعض الشعراء :

تَبَيَّنَتْ تَدَهْدِيهِ الْقَرَّانُ حَوْلِي * كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عُقْرُبَانُ
فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي حَمَلًا سَمِينًا * شَكَرْتُكَ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانُ

وقال بعض الأعراب :

وَلِإِنَّ طَعَامًا ضَمَّ كَفَى وَكَفَّهَا * لِعَمْرُكَ عِنْدِي فِي الْحَيَاةِ مَبَارَكُ
فَمَنْ أَجْلَهَا أُسْتَوْعِبُ الزَّادَ كُلَّهُ * وَمَنْ أَجْلَهَا أَهْوَى يَدِي فَأَدَارِكُ

وقال آخر :

عَرِيضُ الْبِطَانِ جَدِيدُ الْخَوَانِ * قَرِيبُ الْمَرَاثِ مِنَ الْمَرْتَعِ
فَنِصْفُ النَّهَارِ لِكُرْيَاسِهِ * وَنِصْفُ الْمَاكَلِ أَجْمَعِ

الأصمعي قال : قيل لأعرابي : ما يُعجبك من هذا القند ؟ قال : يُعجبني

خَضْدُهُ وَبَرْدُهُ . قال الأصمعي : الخضد : المضغ والأكل الشديد .

- (١) الكنيز : التمر يجعل في قواصر الشتاء . (٢) كدمه كدما : عضه بأدنى فيه .
(٣) القمع (بكسر ففتح وبالكسر) : ما التصق بأسفل التمرة ونحوها حول علاقتها . (٤) تدهده :
تدحرج . (٥) القران (كشداد) : القارورة . (٦) كذا في البيان والتبيين ، وأصل البطان :
حزام القتب الذي يجعل تحت بطن الدابة ، ولعله يريد به كبر بطنه ، وفي الأصل : « الخوان » .
(٧) المراث بفتح الميم : مكان الروث . (٨) كذا في البيان والتبيين ، وفي الأصل « بترياسه »
وهو تحريف ، والكرياس : الكنيف الذي يكون مشرفا على سطح بقناة إلى الأرض . (٩) القند :
عسل قصب السكر إذا جمد . وقد ورد في اللسان : « قيل لأعرابي - وكانت معجبا بالقناء - :
ما يُعجبك منه ؟ قال : خضده » .

قال خالد بن صفوان يوما لجاريته : يا جارية ، أطعمينا جبيننا ، فإنه يُشهى الطعام ويبيح المعدة ، وهو يُعد من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شيء . قال : لأعلمك إنه والله ، ما علمت ، ليقدح في الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمة .

كان يقال : اذا كثرت المقدرة ، ذهبت الشهوة .

وقال بعض الظرفاء :

زرعنا فلها سلم الله زرعنا * وأوفى عليه منجل بحصاد
بلىنا بكوفى حليف مجاعة * أضرت علينا من دى وجراد^(١)

عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " مَنْ دَخَلَ عَلَى
غَيْرِ دَعْوَةٍ دَخَلَ سَارِقًا وَخَرَجَ مُغِيرًا ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ " .
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ بِخَاءٍ مَعَ
الرَّسُولِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَهُ إِذْنٌ " . وعن مجاهد : أن ابن عمر كان اذا دُعِيَ الى طعام وهو
صائم يجيب ، وكان يهَيءُ اللقمة بيده ثم يقول : كلوا باسم الله فإنى صائم . وعن
أسماء بنت رُفيدة قالت : دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فَأَتَى بِطَعَامٍ فَعَرَضَ عَلَيْنَا
فَقُلْنَا : لَا نَسْتَهِيهِ ، فَقَالَ : " لَا تَجْعُنَّ كَذِبًا وَجُوعًا " .

دعا رجل على بن أبي طالب رضوان الله عليه الى طعام ، فقال : نأتيك على
ألا تتكلف ما ليس عندك ، ولا تدخرنا ما عندك .

وكان يقول : شر الإخوان مَنْ تُكَلِّفُ لَهُ .

دعا رجل رجلا الى الغداء ثم قال له : هذه بكرز يارة ولم نستعدد ، فلعل تقصيرا

فيما أحب بلوغه ، فقال الآخر : حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(١) : أتاني الزبير بن دحمان يوما فسأله أن يقيم عندي ، فقال : قد أرسل إلى الفضل بن الربيع وليس يمكنني التخلُّف عنه ، فقلت له :

أقم يا أبا العوَّام ويحك نشرب * ونله مع اللاهين يوما ونطرب
إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره * نخذه بشكر وأترك الفضل يعضب
وقال بعض المحدثين :

نحن قوم متى دُعينا أجبنا * ومتى نُس يدعنا التطفيل
ونُقِل علنا دُعينا فغيبنا * وأتانا فلم يجهدنا الرسول
كان طفيلُ العرائس الذي يُنسب إليه الطفيلُيون يُوصي أصحابه فيقول لأحدهم :
إذا دخلت عرسا فلا تُتَلِّفْ تُتَلِّفْ المُرِيب ، وتخيِّر المجالس ، وأجد ثيابك ، وأعمل
على أنها العقدة التي تشغل . وإن [كان] العرس كثير الزحام فمر وأنه . ولا تنظر
في عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل ، فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك
من هؤلاء . وإن كان البسواب غليظا وقاحا فأبدأ به ومُرّه وأنه من غير أن تُعَنَّف
عليه ، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال .

عرض رجل على رقبة الغداء ؛ فقال : إن أقسمت علي وإلا فدعني .
ومن أشعار الطفيليين :

دعوت نفسي حين لم تدعني * فالحمدُ لي لا لك في الدعوة
وقلتُ ذا أحسن من موعِد^(٢) * إخاله يدعو إلى جَفْوهِ^(٣)

(١) كذا في الأغاني (ج ٥ ص ٧٨ طبع بولاق) ، وفي الأصل : "يزيد بن دحمان" .

وهو تحريف . (٢) التكلة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٧) . (٣) كذا في نهاية

الأرب . وفي العقد الفريد : « مخلفه » . وفي الأصل : « أخلفه » .

وقال آخر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضيفٌ^(١) * فأودى بما تُقرى الضيوف الضيافُ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(٢) :

نعم الصديق صديق لا يكفني * ذبح الدجاج ولا شئ الفراريج^(٣)

يرضى بلونين من كشك ومن عدس * وإن تشهى فزيتون بطسوج^(٤)

كان سعيد بن أسعد الأنصاري إمام الجامع بالبصرة طفيلياً ، فإذا كانت وليمة سبق
الناس إليها ، فرما بسط معهم البُسْطَ وخدم . فقيل له في ذلك فقال : إني أبادر برده
الماء ، وصفو القدور ، ونشاط الخباز ، وخلاء المكان ، وغفلة الدبان ، وجفاف
المنسديل .

وقيل لبعض الطفيليين : كم أثنان في آئين قال : أربعة أرغفة .

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

عن المقدام أبي كريمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «أَيُّمَا^(٥)
مسلم ضافه قوم فأصبح الضيف محروما كان له على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقرى
ليلته من زرعه وماله» .

- ١٥ (١) الضيفن : الطفيل . (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٤١) : «وقال إبراهيم
الموصلي في طفيلي كان يصحبه» . (٣) في العقد الفريد : «نعم القديم نديم الخ» . (٤) الطسوج :
مقدار من الوزن مقداره حبتان من الدائق ، والدائق أربعة طساسيج . وأراد بالطسوج والدائق نسبتها
من الدرهم لأن الدينار لأن الدرهم ستة دوائيق وثمان وأربعون حبة فيكون طسوج الدرهم حبتين ودائقه
ثمان حبات (راجع شرح القاموس) . (٥) هو المقدام بن معد يكرب وكنيته أبو كريمة . وفي الأصل :
٢٠ «المقدام بن أبي كريمة» وهو خطأ . (٦) رواية الجامع الصغير : «أما رجل ضاف قوما فأصبح
الضيف محروما فان نصره حتى على كل مسلم الخ» .

روى ابن العجلان^(١) عن أبيه قال : قال أبو هريرة : إذا نزلت برجل ولم يقرئك فقاتله . عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «^(٢) الخير أسرع^(٣) إلى مطعم الطعام من الشفرة^(٤) في سنام البعير » .

داود قال : قلت للحسن : إنك شفيق من هذه الأطعمة وتكثر ، قال : ليس في الطعام سرف ، وقال الثوري : ليس في الطعام ولا في النساء سرف .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «^(١) إن من السنة أن يمشي الرجل مع ضيفه إلى باب الدار » .

عن عبد الرحمن بن عباس قال : رأيت ابن عباس في وليمة فأكل وألقى للخباز درهما .

الأصمعي قال : سئل أقرى أهل اليمامة للضيف : كيف ضبظتم القرى ؟ قال : بأنا لا نتكلف ما ليس عندنا .

عن بعض النسك قال : قد أعينني أن أنزل على رجل يعلم أني لست أكل من رزقه شيئاً .

(١) في الأصل : « روبة بن العجاج » وهو تحريف ، اذ أن هذا العلم لم يرد إلا ضمن الشعراء ولم توجد له مناسبة بين رواية الحديث . ولعل ما أثبتناه أنسب ، لأنه ورد في تهذيب التهذيب : أن العجلان روى عنه أبوه وروى هو عن أبي هريرة . (٢) كذا في الجامع الصغير والإنافة فيما جاء في الصدقة والضيافة لابن حجر الهيتمي . وفي الأصل : « انحروا سراع » وهو تحريف .

(٣) في الجامع الصغير : « إلى البيت الذي يغشى » وفي الإنافة : « إلى البيت الذي يؤكل فيه » .

(٤) في الأصل : « السفرة » بالسین المهملة وما أثبتناه عن الجامع الصغير . والشفرة (بالفتح) :

السكين العظيمة العريضة . ٢٠

عن عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : ضَلَّ رَجُلٌ صَائِمٌ فِي عَامِ سَنَةٍ ، فَأَبْتَلَى بِرَجُلٍ عِنْدَ
فَطْرِهِ وَقَدْ أَتَى بِقُرْصَيْنِ فَأَلْقَى إِلَيْهِ أَحَدَهُمَا ، ثُمَّ قَالَ : مَا هَذَا بِمُشِيعِهِ وَلَا بِمُشِيعِي ،
وَلَأَنْ يَشْبَعَ وَاحِدٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجُوعَ اثْنَانِ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ الْآخَرَ . فَلَمَّا أَوَّى إِلَى فِرَاشِهِ أَتَاهُ
أَتٌ فَقَالَ : سَلِّ ، فَقَالَ : أَسْأَلُ الْمَغْفِرَةَ ، قَالَ : قَدْ فَعِلَ ذَلِكَ بِكَ ، قَالَ : فَإِنِّي أَسْأَلُ
أَنْ يُغَاثَ النَّاسُ .

عَنِ الْحَسَنِ : أَنَّ رَجُلًا جَهَدَهُ الْجُوعُ ، فَفَطِنَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْيَانِ ، فَلَمَّا أَمْسَى
أَتَى بِهِ رَحْلَهُ ، فَقَالَ لَأَمْرَأَتِهِ : هَلْ لَكَ أَنْ نَطْوِيَ لَيْلَتَنَا هَذِهِ لَضَيْفِنَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ
قَالَ : فَإِذَا قَدِمَتِ الطَّعَامُ فَادْنِ إِلَى السَّرَاجِ كَأَنَّكَ تُصَلِّحِيهِ فَاطْفِئِيهِ ، فَفَعَلَتْ وَجَاءَتْ
بَثْرِيْدَةٍ كَأَنَّهَا قِطَاةٌ فَوَضَعَتْهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمَا ، ثُمَّ دَنَتْ إِلَى السَّرَاجِ كَأَنَّهَا تُصَلِّحُهُ فَاطْفِئَتِ ،
فَفَعَلَ الْأَنْصَارِيُّ يَضَعُ يَدَهُ فِي الْقَصْعَةِ ثُمَّ يَرْفَعُهَا خَالِيَةً ، فَأُطْلِعَ عَلَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَنْصَارِيُّ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْفَجْرَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ وَقَالَ : «أَنْتَ صَاحِبُ الْكَلَامِ اللَّيْلَةِ» ، فَفَزِعَ
الْأَنْصَارِيُّ وَقَالَ : أَيْ كَلَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا : قَوْلُهُ لَأَمْرَأَتِهِ ، قَالَ :
كَانَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : «فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صُنْعِكُمَا اللَّيْلَةَ» .

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ بَرِيدٌ قَالَ : هَلْ رَأَيْتَ
فِي النَّاسِ الْعُرْسَاتِ ؟ يَعْنِي الْحِصْبَ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَقِيلَ لَأَعْرَابِيٍّ كَانَ فِي مَجْلِسٍ (٣) : فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : كُنَّا فِي قِدْرٍ تَفُورُ ، وَكَأْسٍ تَدُورُ ،
(٤) وَغِنَاءٍ يَصُورُ ، وَحَدِيثٍ لَا يَنْحُورُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : «صَائِمًا» . (٢) رَحْلُهُ : مَنَزَلُهُ . (٣) يَصُورُ : يَصَوْتُ .

(٤) لَا يَنْحُورُ : لَا يَضْعَفُ .

(١) بلغني أن محمد [بن خالد] بن يزيد بن معاوية كان نازلاً بجعلب على الهيثم بن يزيد التنوخي^(٢)،
فبعث إلى ضيف له من عُدرة فقال: حَدَّثَ أبا عبد الله ما رأيت في حاضرة المسلمين
من أعاجيب الأعراس؛ قال: نعم، رأيت أموراً مُعْجِبة: منها أني رأيت قرية عاصم^(٣)
ابن بكر الهلالي، فإذا أنا بدور متباعدة، وإذا أخصاص مُنْظَمٌ بعضها إلى بعض، وإذا
بها ناس كثيرٌ مُقِيلون ومُدِيرون وعاليهم ثياب حَكُوا بها ألوان الزهر، فقلت لنفسي: هذا
أحد العيدين الأضحي أو الفطر؛ ثم رجعت إلى ما عَرَبَ عني من عتلي، فقلت: خرجت من
أهلي في عَقَبِ صَفَرٍ وقد مضى العيدان قبل ذلك؛ فبينما أنا واقفٌ ومُتَعَجِّبٌ أتاني رجل^(٤)
فأخذ بيدي [فأَدْخَلَنِي دَاراً قَوْرَاءَ]^(٥) وأَدْخَلَنِي بَيْتاً قد نُجِدَ في وجهه فُرْشٌ قد مُهِّدَتْ
وعليها شاب ينال فروعُ شعره كَتِفَيْهِ، والناس حوله سِمَاطَانِ^(٦)؛ فقلت في نفسي:
هذا الأمير الذي يُحْكِي لنا جلوسه وجلوس الناس حوله، فقلت وأنا مائلٌ بين يديه:
السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ فَجَذَبَ رجلٌ بيدي وقال: أجلس
فإن هذا ليس بالأمير؛ فقلت: ومن هو؟ قال: عَرُوسٌ؛ قلت: وأَنْكَلُ أماء!
رُبَّ عروسٍ رأيتُ بالبادية أهْوَنُ على أصحابه من هِنِ أمٍّ؛ فلم أَلْبَثْ إذ دخلت
الرجال عليها هَنَاتٌ مَدْقُورَاتٌ من خشب وقُضْبَانٍ، أماءٌ ما خَفَّ فيُحْمَلُ حملاً، وأماءٌ
ما ثَقُلَ فيُدْحَرَجُ، فوُضِعَتْ أمامنا وتَحَلَّقَ القوم حلقاً حلقاً، ثم أُتِينَا بخَرْقٍ بِيضٍ

(١) التكملة عن كتاب الأغاني (ج ١٢ ص ٣٥ طبع بولاق)، وقد ورد فيه هذا الخبر بتوسع عما هنا
وذكر اسم الأعرابي الذي رواه وأفرد له ترجمة خاصة، وهو ناهض بن ثومة بن نصيح وكان شاعراً بدوياً
فصيحا من شعراء الدولة العباسية. وذكر أنه كان بدوياً جافياً كأنه من الوحش طيب الحديث، يقدم البصرة
فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة، روى عنه الرياشي وأبو سراقه ودماذ وغيرهم من رواة البصرة.
وقد وردت في الأصل كلمات محرفة صححناها عن الأغاني ونهينا عليها في مواضعها. (٢) في الأغاني:
«النخعي». وفي العقد الفريد: «الهيثم بن ندي». (٣) في الأغاني: «فررت بقرية يقال
لها قرية بكر بن عبد الله الهلالي». وفي العقد الفريد: «قرية بكر بن عاصم الهلالي». (٤) في الأغاني:
«خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر». (٥) الزيادة عن الأغاني: وقوراء: واسعة.
(٦) سباطان: صفان.

- فَأَلْقَيْتُ بَيْنَ أَيْدِينَا ، فَظَنَنْتَهَا ثِيَابًا وَهَمِمْتُ عِنْدَهَا أَنْ أَسْأَلَ الْقَوْمَ نَحْرًا أَقْطَعُ مِنْهَا قَيْصًا ،^(١)
وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ نَسْجًا مُتَلَا حَكَ لَا تَبِينُ لَهُ سَدَى وَلَا لُحْمَةٌ ، فَلَمَّا بَسَطَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ^(٢)
إِذَا هُوَ يَتَمَرَّقُ سَرِيعًا وَإِذَا هُوَ [فِيَا زَعَمُوا] صِنْفٌ مِنَ الْخُبْزِ لَا أَعْرِفُهُ ، ثُمَّ أُتِينَا بِطَعَامٍ^(٣)
كَثِيرٍ مِنْ حَلْوٍ وَحَامِضٍ وَحَارٍّ وَبَارِدٍ ، فَأَكْثَرْتُ مِنْهُ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ مَا فِي عَقْبِهِ مِنْ
التُّخْمِ وَالْبَشْمِ ، ثُمَّ أُتِينَا بِشَرَابٍ أَحْمَرٍ فِي عَسَاسٍ ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ،^(٤)
أَخَافُ أَنْ يَقْتُلَنِي . وَكَانَ فِي جَانِبِي رَجُلٌ نَاصِحٌ لِي — أَحْسَنَ اللَّهُ بِجَزَاءِهِ — كَانِ
يَنْصَحُ لِي مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ : يَا أَعْرَابِيَّ ، إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مِنَ الطَّعَامِ ،
وَإِنْ شَرِبْتَ الْمَاءَ أَنْتَفَخَ بَطْنُكَ — فَلَمَّا ذَكَرَ الْبَطْنَ تَذَكَّرْتُ شَيْئًا كَانَ أَوْصَانِي بِهِ^(٥)
[أَبِي وَ] الْأَشْيَاخِ [مَنْ أَهْلِي] : قَالُوا : لَا تَزَالُ حَيًّا مَا دَامَ شَدِيدًا (يَعْنِي الْبَطْنَ) فَإِذَا^(٦)
أَخْتَلَفَ فَاوِصٌ — فَلَمْ أَزَلْ أَتَدَاوَى بِهِ وَلَا أَمَلُّ مِنْ شَرْبِهِ ، فَتَدَاخَلَنِي — نَالِكَ الْخَيْرِ —
صَلَفٌ لَا أَعْرِفُهُ [مَنْ نَفْسِي] ، وَبِكَاءٍ لَا أَعْرِفُ سَبَبَهُ وَلَا عَهْدَ لِي بِمَثَلِهِ ، وَأَقْتَدَارُ^(٧)
عَلَى أَمْرٍ أَظُنُّ مَعَهُ أَنِّي لَوْ أَرَدْتُ نَيْلَ السَّقْفِ لِبَلَاغَتِهِ وَلَوْ شَأَوْتُ الْأَسَدَ لَقَتَلْتُهُ ،
وَجَعَلْتُ أَلْتَفْتُ إِلَى الرَّجُلِ النَّاصِحِ لِي فَتَحَدَّثَنِي نَفْسِي [بِهِمْ أَسْنَانَهُ وَهَشَمَ أَنْفَهُ] ، وَأَهْمُ^(٨)
أَحْيَانًا بَانَ أَقُولُ لَهُ : يَا بَنَ الزَّانِيَةِ ، فَيِينَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا شَيَاطِينُ أَرْبَعَةٌ :

- ١٥ (١) كَذَا فِي الْأَغَانِي . وَفِي الْأَصْلِ : « فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهَا فَهَمِمْتُ أَخْ » . (٢) مُتَلَا حَكَ :
مُتَدَاخَلًا بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ تَدَاخُلًا شَدِيدًا . (٣) زِيَادَةٌ عَنْ كِتَابِ الْأَغَانِي . (٤) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ
(ج ٢ ص ١٢٦) ، وَالْعَسَاسُ : جَمْعُ عَسٍ بِالضَّمِّ وَهُوَ الْقَدَحُ الْكَبِيرُ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَسَافٌ » ، وَالْعَسْفُ :
الْقَدَحُ الضَّخِيمُ ، وَلَمْ يَرِدْ هَذَا الْجَمْعُ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ وَالْوَارِدُ فِيهَا عَسُوفٌ . (٥) كَذَا فِي الْأَغَانِي .
وَفِي الْأَصْلِ : « خَلْفٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٦) الْعِبَارَةُ الْمَحْصُورَةُ مَا بَيْنَ الْمَرْبَعَيْنِ وَرَدَتْ
فِي الْأَغَانِي . وَفِي الْأَصْلِ : « لَا أَعْرِفُهُ وَبَقِيَ فِي نَفْسِي لَا عَهْدَ لِي بِهِ رَأْسُكَ عَلَى أَمْرِي » ، وَكَانَ أَلَى
جَانِبِي الرَّجُلِ النَّاصِحِ لِي ، فَجَعَلْتُ نَفْسِي تَحَدَّثَنِي أَخْ » .

أحدهم قد علّق في عنقه جعبة فارسية ^(١) مُشَنّجة الطرفين دقيقة الوسط قد شِيّحت ^(٢) بالخيوط شبحاً منكراً، وقد ألبست قطعة فرو كأنهم يخافون عليها القتر . ثم بدر الثاني فاستخرج من كفه هنة ^(٣) [سوداء] كَفَيْشَلَة الحمار فوضع طرفها في فيه فصرط فيها فاستتم بها أمرهم، ثم ^(٤) حسب على جحرة فيها فاستخرج منها صوتاً ملائماً مشاكلاً بعضه بعضاً [كأنه — علم الله — ينطق] . ثم بدر الثالث عليه قميص وسخ وقد غرق شعره بالدهن معه مرأتان بفعل يمرى إحداهما على الأخرى مرياً . ثم بدر الرابع عليه قميص قصير وسراويل قصير وخفّان أجذمان لاساقين لهما، بفعل يقفز كأنه يذهب على ظهور العقارب ، ثم التبط بالأرض، فقالت : معتوه وربّ الكعبة ! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت الناس يحذفونه بالدراهم حذفاً منكراً . ثم أرسلت إلينا النساء أن أمتعنونا من لهنّ ، فبعثوا بهنّ إليهن وبقيت الأصوات تدور في آذاننا . وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فعلت الأصوات له بالدعاء، فخرج بجاء بنخشة عينها في صدرها فيها خويطات أربعة، فاستخرج من جنبها عوداً فوضعه على أذنه ، ثم زَم الخيوط الظاهرة، فلما أحكمها وعرك آذانها حركها بمجسة في يده، فنطقت وربّ الكعبة ! وأذاهي أحسن قينة رأيتها قط ^(٥)، [وغنى عليها] ^(٣) فاستخفني

- ١٥ (١) التشنج : التقبض ، وفي الأغاني : « مسنجة » بالسین المهملة ، ومعناه : مخططة ، وكلا المعنيين هنا غير واضح ، وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٦) : مفتحة الطرفين . ولعل صواب الكلمة « متفخة الطرفين » لوضوح المعنى بها وإيطاق وصف الوسط بالدقة . والظاهر أن الأعرابي يصف بهذا الوصف الآلة المعروفة عندنا الآن بالكمنجا . (٢) كذا في الأغاني . وشبهت : شدت . وفي الأصل : « قد سبحت بالخيوط سبجاً منكراً » . وفي العقد الفريد : « شبكت » . (٣) زيادة في الأغاني . (٤) يريد : حرك أصابعه على ثقب هذه الهنة ، وهي المزمار ، كما يصنع الحاسب حين يعد بأصابعه . (٥) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « قشة » وهو تحريف .

في مجلسي حتى قمتُ بفلسْتُ بين يديه ، فقلت : بأبي أنت وأُمِّي ! ما هذه الدابة ؟ [فلسْتُ^(١) أعرَفُها] للأعراب وما خالقتُ إلا حديثًا ! فقال : يا أعرابي ، هذا البرَبَط الذي سمعتُ به ، فقلت : بأبي أنت وأُمِّي ! فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : زير ، قلت : فما الذي يليه ؟ قال : مثنى ، قلت : فالثالث ؟ قال : المثلث ، قلت : فالرابع ؟ قال :
الخمسة ، قلت : آمنتُ بالله أولاً وبالهم ثانياً .

وقال الحرَّيمي :

أُضاحِك ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ * وَيُخَصِّبُ عِنْدِي وَالْحَمْلُ جَدِيدُ
وَمَا الْخَصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى * وَلَكِنَّا وَجْهَ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

وقال أرطاة بن سُهَيْة :

وإِنِّي لَقَوَّامٌ إِلَى الضَّيْفِ مَوْهِناً * إِذَا أَغْدَفَ السُّتْرَ الْبَخِيلُ الْمَوَاكِلُ^(٢)
دَعَا فَأَجَابَتْهُ كَلَابٌ كَثِيرَةٌ * عَلَى ثِقَةٍ مِنِّي بِمَا أَنَا فَاعِلُ
وَمَا دُونَ ضَيْفِي مِنْ تِلَادٍ تَحْوِزُهُ * لِي النَّفْسُ إِلَّا أَنْ تُصَانَ الْحَلَائِلُ
آخِرُ :^(٣)

إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذَقُورًا * عَلَى الْأَهْلِ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهُ^(٤)
يَقُولُ : يُسَوِّى خُلُقَهُ حَتَّى يُطْعِمَ أَضْيَافَهُ ، لِإِعْجَالِهِ إِيَّاهُمْ وَلِخَوْفِ تَقْصِيرِ
يَكُونُ مِنْهُمْ .

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل « الداهية » . (٢) زيادة عن كتاب الأغاني .
(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « فما هذه الخيوط السفلى » . (٤) المواكل : العاجز
الذي يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه . (٥) الشعر لزَيْنَب بنت الطَّرِيقَة ترى أخاها يزيد وقيل إنه
لغيرها . (راجع الشعر في الأغاني ج ٧ ص ١٢٣) . (٦) الغدور : السئ الخلق القليل الصبر
فيما يريد ويهم به .

(١)
وقال دَعِيل :

وإني لعبدٌ الضيف من غير ذِلَّةٍ * وما في إلا تلك من شِمة العبد

(٢)
وقال آخر :

لَحَافِي لَحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بِيْتُهُ * ولم يُلْهِني عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقْنَعُ^(٣)
أَحَدُهُ، إِنْ الْحَدِيثُ مِنَ الْقِرَى * وتعلمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ

وقال الفرزدق في العذافر :

أَعْمُرَكَ مَا الْأَرْزَاقُ يَوْمَ اكْتِيَالِهَا^(٤) * بَاكَثَرِ خَيْرًا مِنْ يَخْوَانِ عُدَا فِرِ
ولو ضَافَهُ الدَّجَالُ يَلْتَمِسُ الْقِرَى * وَحَلَّ عَلَى خَبَازِهِ بِالْعَسَاكِرِ
بِعِدَّةٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجَ كُلَّهُمْ * لِأَشْبَعَهُمْ يَوْمًا غَدَاءُ الْعُدَا فِرِ^(٥)

وقال مسكين الدارمي :

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ * وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِدْرُ
مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوِرُهُ * إِلَّا يَكُونُ لِإِيَّاهِ سِتْرُ

ضَافَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ أَبَا الرَّمْكَاءِ الْكَلْبِيَّ، وَمَعَ الرَّجُلِ فَضْلَةٌ مِنْ حِنْطَةٍ،
فَرَأَتْهُ مِعْزَى [أَبِي] الرَّمْكَاءِ، فَحَلَبَ وَشَرِبَ، ثُمَّ حَلَبَ وَسَقَى ابْنَهُ، ثُمَّ حَابَ وَسَقَى

(١) ذكر أبو الفرج في الأغاني هذا البيت ضمن أبيات منسوبة إلى قيس بن عاصم المقرئ (انظر الأغاني
في ترجمته ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق)؛ وكذلك رواه المبرد في الكامل له أيضا (ص ٣٣٤ — ٣٣٥
طبع أوربا) وقد رواه :

وإني لعبد الضيف ما دام ثاوريا * وما من خلالي غيرها شِمة العبد

وفي شرح الحماسة (ص ٥٢٥) أنه للقع الكندي من أبيات مفتوحة الروي . (٢) هو عتبة بن
بجير وقيل مسكين الدارمي، انظر شرح أشعار الحماسة (ص ٧٥٠ طبع أوربا) وص ٢٢٣ من المجلد الثاني
من هذا الكتاب . (٣) يريد بالغزال المقنع امرأته . (٤) كذا في كتاب البخلاء للجاحظ
(ص ٢٤٩ طبع أوربا) . وفي الأصل : « حين اتكلنا » . (٥) في كتاب البخلاء « شمرا » .

أمرأته ؛ فقال الرجل : ألا تسقون ضيفكم ؟ فقال أبو الرمكاء : ما فيها فضل ؛ فاستخرج الرجل ما في عنقه^(١) من طعام وقال : هل من رحي ؟ فأسرعوا بها نحوه ، فطحن وتحن وأوقد خبزته وأخرجها فتمضمها ، فاذا رسول أبي الرمكاء يقول : يقول^(٢) لك أبو الرمكاء : لا عهد لنا بالخبز ؛ فقال الرجل : ما فيها فضل ، ثم أكل وارتحل ، وقال :

بات أبو الرمكاء لم يسقي ضيفه * من المحض ما يطوى عليه فيرقد
فقممت إلى حنّانة فوق أختها * وناير وباتت وهي توري وتوقد
فلما نفضت الخبز بالعود أقبلت * رسائل تشكو الجوع والحى شهد^(٣)
وقال أبو الرمكاء بالخبز عهد * قديم له حول كريب مطرد^(٤)
فقلت ألا لافضل فيها لباخل * ولا مطمع حتى يلوح لنا الغد
فبات أبو الرمكاء من فرط ريحها * يشك كما أن السليم المسهد

ذكر أعرابي قوما فقال : ألغوا من الصلاة الأذان ، مخافة أن تسمعه الأذان ،
فبهل عليهم الضيفان .

وقال بعضهم في ذلك :

أقاموا الديدبان على يفاع * وقالوا لا تنم للديدبان
فإن أبصرت شخصا من بعيد * فصفق بالبنان على البنان
تراهم خشية الأضياف خرسا * يصلون الصلاة بلا أذان

(١) العكم : ما يسط من الثياب ويجعل به المتاع . (٢) في الأصل : « قال » .

(٣) في الأصل : « تشكى » . (٤) كريب : مكروب اشتد عليه الغم .

وقال زياد الأعجم :

وتكتم كلب الحى من خشية القرى * وقدرك كالعدراء من دونها ستر^(١)

وقال آخر :

وإني لأجفو الضيف من غير عسرة * مخافة أن يضرى بنا فيعود^(٢)

وقال آخر :

أعددت للضيفان كلبا ضاريا * عندي وفضل هراوة من أرز^(٣)

ومعاذرا كذبا ووجها باسرا * متشككا عض الزمان الأرن^(٤)

رأى رجل الحطيئة وبيده عصا، فقال : ما هذه ؟ قال : شجرا من سلم ،

قال : إني ضيف ، قال : للضيفان أعددتما .

وقال آخر :

وأبغض الضيف ما بي جل مأكله * إلا تتفخه حولى إذا قعدا^(٥)

ما زال ينفخ جنبه وحبوته^(٦) * حتى أقول لعل الضيف قد ولدا

وقال حميد الأرقط يذكر ضيفا :

إذا ما أتانا وارد المصير مرملا^(٧) * تأوب ناري أصفر العقل قافل^(٨)

فقلت لعبدي أعجلا بعشائه * وخير عشاء الضيف ما هو عاجل^(٩)

(١) كعم الكلب : شدّ فاه بالكام لئلا ينبح فينبه الأضياف . (٢) فى اللسان : «ونارك» .

(٣) يضرى بنا : يولع بنا ويعتاد . (٤) الأرن : شجر صلب تتخذ منه العصي . (٥) الزمان

الأرن : الشديد الكلب . (٦) هو حميد الأرقط كما فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) . (٧) رواء

فى العقد : « لا أبغض » . (٨) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل « ينفخ كنفه » .

(٩) المرملة : الذى فقد زاده . (١٠) تأوب : جاء أول الليل ويقال : تأوبه وتأيبه على المعاقبة

إذا أتاه ليلا . (١١) كذا فى الأصل . (١٢) القافل : اليابس الجلد وقيل : اليابس اليد .

فقال وقد ألقى المراسي للقرى * أين لي ما ألجأج بالناس فاعل
فقلت لعمري ما لهذا طرقتنا * فكل ودع الأخبار ما أنت آكل
تجهز كفاه فيحدر حلقه * إلى الزور ما ضمت عليه الأنامل^(١)
أتانا ولم يعدله سحبان وائل * بيانا وعلما بالذي هو قائل^(٢)
فما زال منه اللقم حتى كانه * من العي لما أن تكلم باقل^(٣)

وقال أيضا في نحو ذلك :

ومريمين على الأفتاب برهم * حقائب وعباء فيه بعيرين^(٤)
مقدمين أنوفا في عصائبهم * هجنا، ألا جدعت تلك العرائين
يسطرون لنا الأخبار إذ نزلوا * وكل ما سطوروا للقم تمكين
باتوا وجلتنا الصهباء بينهم^(٥) * كأن أظفارهم فيها سكاكين
فأصبحوا والنوى على معرضهم^(٦) * وليس كل النوى تلقى المساكين

(١) في الأصل : «إليه» ، وورد هذا البيت في اللسان مادة « بقل » :

تدبل كفاه ويحدر حلقه * إلى البطن ما ضمت عليه الأنامل

وقال : التدييل : تعظيم اللقمة عند الأكل . (٢) سحبان : اسم رجل من ربيعة من بني بكر بن

وائل ، كان لسانا بليغا يضرب به المثل في البيان والفصاحة . (٣) باقل : اسم رجل من ربيعة يضرب

به المثل في العي . قال الليث : بلغ من عي باقل أنه كان اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، ففعل له : بكم

أشريت الظبي ؟ ففتح كفيه وفزق أصابعه وأخرج لسانه — يشير بذلك إلى أحد عشر — فانقلت الظبي

وذهب ؛ فضربوا به المثل في العي . (٤) كذا بالأصل . (٥) كذا في كتاب سيويه

(ج ١ ص ٣٥ طبع بولاق) . والجللة : قفة التمر تتخذ من سعف النخل وليفه ، فلذلك وصفها بالصبة .

وفي الأصل : « باتوا وجلتنا السمرين بينهم » . ولعله محرف عن : * باتوا وجلتنا السمرين بينهم * والسمرين

(بالسين المهملة والشين المعجمة) : ضرب من التمر . (٦) يعني لما أصبحوا ظهر على معرضهم —

وهو موضع نزولهم آخر الليل — نوى التمر وعلاه لكثرة ، على أنهم لحاجتهم لم يلقوا إلا بعضه ؛ وهذا إشارة

إلى كثرة ما قدمه لهم منه وكثرة أكلهم له .

وقال أيضا في نحو ذلك :

وعاوي عوى والليل مُستحسِنُ النَّدى * وقد ضجعت للغور تالية النجم^(١)
فسلم تسليم الصديق ولم يكن * صديقا لنا إلا لئاس^(٢) باللقم
فقلت له والنار تأخذ صدره * لقمتم لسميت أم سريت على علم^(٣)

وقال بعض الرِّجَّاز :

برح بالعينين خطاب^(٤) الكُتْب * يقول إنني خاطب وقد كذب
* وإنما يطلب عسا من حلب *

وقال آخر :

إني لمثلكم من سوء فعلكم * إن زرتكم أبدا إلا معي زادي

وقال حماد عجرد :

حريث أبو الصلت ذو خبرة * بما يصلح المعدة الفاسدة
تخوف ثمة أضيافه * فعودهم أكلة واحدة

عن قتادة قال : قال زياد لغيلان بن خرشة : أحب أن تُحدثني عن العرب
وجُهدِها وضمك عيشها ، لنحمد الله على النعمة التي أصبحناها ، فقال غيلان : حدثني

(١) مستحسِنُ الندى : مترا كبه يعلو بعضه بعضا لكثرة . وضجعت للغور : مالت للغيب . وتالية

النجم : إحدى تاليات النجوم وهي أواخرها . (٢) في الأصل : « التأس » وما أثبتناه هو

المناسب للسياق . (٣) السميت : السير على الطريق بالظن ، وقيل هو السير بالحدس والظن

على غير طريق . (٤) خطاب : كثير التصرف في الخطبة . والكُتْب : جمع كُتْبة (بالضم) ،

والكُتْبة من المساء والليل : القليل منه ؛ يعني أن الرجل يجيء بعلة الخطبة وإنما يريد القرى . قال ابن

الأعرابي : يقال للرجل إذا جاء يطلب القرى بعلة الخطبة : إنه ليخطب كُتْبة . وفي الأصل « خطاب »

بالحاء المهملة وهو تحريف . والعس (بالضم) : القدح الكبير ، وفي الأصل : « وقسا من حلب » وهو

تحريف (انظر اللسان مادتي خطب وكُتْب) .

عمى قال : توالت على العرب سنون تسع في الجاهلية حطمت كل شيء ، فخرجت على بكرى في العرب . فمكثت سبعة لا أطمع شيئا إلا ما ينال منه بعيرى أو من حشرات الأرض ، حتى دفعت في اليوم السابع إلى حواء^(١) عظيم ، فإذا بيت^(٢) بحش عن الحى ، فمات إليه فخرجت إلى امرأة طوالة^(٣) حسانة ، فقالت : من ؟ قلت : طارق ليل يلتمس القرى ، فقالت : لو كان عندنا شيء لآثرناك به ، والدال على الخير كفاعله ، حس هذه البيوت ثم أنظر إلى أعظمها ، فإن يك في شيء منها خير ففيه ، ففعلت حتى دفعت إليه ، فرحب بى صاحبها وقال : من ؟ قالت : طارق ليل يلتمس القرى ، فقال : يا فلان ، فأجابه ، فقال : هل عندك طعام ؟ فقال لا ، فوالله ما وقر فى أذنى شيء كان أشد منه . قال : فهل عندك شراب ؟ قال لا ، ثم تأوه فقال : بلى ! قد بقينا فى ضرع^(٥) الفلانة شيئا اطارق إن طرقتك ، قال : فأت به ، فأتى العطن فابتعتها . فحدثنى عمى أنه شهد فتح أصبهان وتستر ومهرجان وكور الأهواز وفارس وجاهه عند السلطان وكثرة ماله وولده ، قال : فما سمعت شيئا قط كان أشد من شخب تيك الناقة فى تلك العلبة ، حتى إذا ملأها [و] فاضت من جوانبها وأرتفعت عايتها شمكة^(٧) بحمة الشيخ ، أقبل بها يهوى نحوى ، فعثر بعود أو حجر ، فسقطت العلبة من يده ، فحدثنى

- ١٥ (١) الحواء (بالحاء المهملة) : مجتمع البيوت . (٢) بحش : نعى وأبعد عن البيوت .
 (٣) طوالة (بالضم) : طويلة القامة . وحسنة (بالضم وتشديد السين) : حسنة الصورة ، وهما وصفان تملح بهما المرأة . (٤) حس هذه البيوت : تعرّف أحوالها .
 (٥) فلان وفلانة بغير الألف واللام كناية عن أسماء الآدميين ، والفلان والفلانة بالتعريف بهما كناية عن غير الآدميين ، تقول العرب : ركبت الفلان وحلبت الفلانة . وفى الأصل : «الفلائية» بزيادة ياء النسبة . (٦) قال الليث : عطن الإبل ومعطنها : مناخها حول وردها ، فأما فى مكان آخر فراح وماوى . (٧) كذا بالأصل ، ولم نوفق إلى تحقيقها ، وسياق الكلام يقتضى أن يكون هنا ما يدل على الرغبة التى تعلو اللبن وقت حلبه .

أنه أُصِيبَ بأبيه وأمه وولده وأهل بيته فما أُصِيبَ بمصيبةٍ أعظمَ من ذهاب العُلة .
 فلما رأى ذلك ربُّ البيت خرج شاهراً سيفه فبعثَ الإبلَ ثم نظر إلى أعظمها
 سناماً ودفع إليه مُدِيَّةً وقال : يا عبد الله أَصْطَلِ وَاحْتَمِلْ . قال : بفعلت أهوى
 بالبضعة إلى النار فإذا بلغت إناها أكلتها ، ثم مسحْتُ ما في يدي من إهالتها على جلدي
 وقد كان قَلَّ على عظمى حتى كأنه شَنٌّ ، ثم شَرِبْتُ شَرْبَةً ماءً وَنَحَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَى
 فما أَفَقْتُ إلى السَّحَرِ . وقطع زيادُ الحديث وقال : لا عليك ألا تخبرنا بأكثر من
 هذا ، فمن المتروكُ به ؟ قلت : أبو عليٍّ عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ .

قال بعض الشعراء يهجو قوما :

وتراهم قبل الغداء لضييفهم * يتخلَّلون صُبابَةً للزاد

وقال آخر :^(٣)

اسْتَبَقِي وَدَّ أَبِي الْمُقَا * تِلْ حِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ
 سَيَّانٍ كَسْرُ رَغِيفِهِ * أَوْ كَسْرُ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِهِ
 فتراه من خوف التَّزِيدِ * يَلِ بِهِ يَرُوعُ فِي مَنَامِهِ
 فإذا مررت ببيابه * فأحفظ رَغِيفَكَ مِنْ غَلَامِهِ

وقال آخر :^(٤)

صَدَّقَ أَلَيْتَهُ إِنْ قَالَ مَجْتَهِدًا * لَا وَالرَّغِيفِ ، فَذَلِكَ الْبُرْ مِنْ قَسَمِهِ
 قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ * عَلَى جِرَازِقِهِ كَانَتْ عَلَى حُرْمِهِ
 إِنْ رَمَتْ قَتْلَتَهُ فَأَفْتِكَ بِخُبْرَتِهِ * فَإِنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ

- (١) إناها : نضجها . والاهالة : الشحم المذاب وكل ما اؤتدم به من الأدهان . (٢) قَلَّ (كمنع وعلم وعنى) : يَس . (٣) في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣١٨ طبعة أولى) نسب هذا الشعر لدعبل .
 (٤) هو أبو تمام ، (أنظر ديوانه : باب الهجاء ، قافية الميم) . (٥) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٩) . وفي الأصل : « لو كان » . (٦) الجراذق : جمع الجرذق بالفتح والذال المعجمة كالجرذق بالذال المهملة وكلاهما معناه الرغيف فارسيٌّ ، معرَّب « كرده » بالكاف .
 (٧) في الديوان ونهاية الأرب (٢ ج ص ٣١٨ طبعة أولى) : « وإن هممت به فافتك بخبرته » .

قلت لرجل كان يأكل مع أبي دلف : كيف كان طعامه ؟ قال : كان على مائدته رغيفان بينهما نُقْرَةٌ جَوْزِيَّةٌ ، وقال :

أبو دلف يَضِيعُ ألف ألف * وَيَضْرِبُ بالحُسامِ على الرغيفِ

أبو دلف لطيفه قَتَارٌ^(١) * ولكن دونه ضربُ السيوفِ

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ^(٢) :

رأيت الحَبْرَ عَزَّ لديك حتى * حَسِبْتَ الحَبْرَ في جَوِّ السَّحَابِ

وما رَوَّحْنَا لِتَدْبٍ عَنَّا * ولكن خِفْتَ مَرَزِيَّةَ الذُّبَابِ

وقال دَعْبِل :

إِنَّ مَنْ ضَنَّ بالكَنِيفِ على الضِّيفِ * بِفِ بغير الكَنِيفِ كيف يَجُودُ !

ما رأينا ولا سَمِعْنَا بِحَشٍّ^(٣) * قَبْلَ هَذَا لِأَبِي إِقْلِيدٍ

إِنْ يَكُنْ فِي الكَنِيفِ شَيْءٌ تَحَبُّ^(٤) * هُ فَعِنْدِي إِنْ شَدَّتْ فِيهِ مَزِيدُ

ولهذا الشعر قصة قد ذكرتها في باب الشعراء^(٥) .

قال أبو محمد : شَوِيَّ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيُّ دَجَاجٌ فَقُفِّدَ نَحْنُ مِنْ

دَجَاجِيَّةٍ ، فَأَمْرٌ فَنُودِيَ فِي دَارِهِ : مِنْ هَذَا الَّذِي تَعَاطَى فَعَقَرُ ! وَاللَّهِ لَا أَخْزِي فِي هَذَا

التُّورِ شَهْرًا أَوْ يَرَدُّ ! فَقَالَ أَبْنُهُ الْأَكْبَرُ : أَتَوَاخَذُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ! .

(١) انقنار : الدخان . (٢) أبو الشَّمَقْمَقِ هو مروان بن محمد الشاعر ، قال هذا الشعر

يعيب به طعام جعفر بن أبي زهير وكان ضيفا عنده . انظر كتاب البخلاء للجاحظ (طبع أوروبا ص ٧٧) .

(٣) الحش (بتثنية الحاء) : البستان ويكنى به عن بيت الخلاء لما كان من عاداتهم التغوط

في البساتين ، والجمع حشان . والاقليد : المفتاح . (٤) كذا في الأصل والشعر والشعراء

(ص ٤١ طبع أوروبا) ، ولعله : « تحببه » . (٥) ذكر المؤلف هذه القصة في كتابه الشعر والشعراء

وهي أن دعبلا كان ضيفا لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مغلقا فلم يتهأ فتحة حتى أعجله الأمر .

(٦) كذا في غرر الخصاص (ص ٢٩٨ طبع بولاق) وفيما سيأتي قريبا وهو الصواب ، لأنه هو

المعروف بالبخل . وفي الأصل : « أبو جعفر » .

(١)
قال بعض الشعراء :

يا تارك البيت على الضيف * وهارباً منه من الخوف

ضيفك قد جاء بخبز له * فارجع فكن ضيفاً على الضيف^(٢)

(٣)
وقال أبو نواس :

خبر إسماعيلَ كلوش * سي إذا ما شقَّ يرفاً

عجباً من أثر الصند * عة فيه كيف يخفى

إن رقاءك هذا * أحذق الأمة كفاً

فإذا قابل بالنص * ف من الجردق نصفاً

مثل ما جاء من آلت * نور ما غادر حرقاً

أحكم الصنعة حق * لا يرى موضع إشفى^(٣)

وله في الماء أيضاً * عملٌ أبدع ظرفاً

مزججه العذب بماء الـ * ميثر سكي يزدهد ضعفاً

فهو لا يشرب منه * مثل ما يشرب صرفاً^(٤)

(١) قال هذا الشعر رجل من أئمة في مروان بن أبي حفصة الشاعر ، وكان قد نزل عليه ضيفاً ، فأخلى مروان له المنزل وهرب منه مخافة أن يلزمه فراه في هذه الليلة ، فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ثم رجع وكتب إليه بهذا الشعر . انظر المستطرف للإبشيبي (ج ١ ص ٢٠٦) (٢) كذا في العقد والمستطرف ، وفي الأصل "ضيفن" بالنون .

(٣) قال هذا الشعر في إسماعيل بن نوبخت بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارمة (بيت من خشب كالقبة ، معرب) واصطبح فيها أربعين يوماً ومعه جماعة منهم أبو نواس ، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم ؛ ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر . (٤) انظر هذه الأبيات مع التعليق عليها في (ج ٢ ص ٣٧) من هذا الكتاب .

عن عبد العزيز بن عمران قال : نزلت بيبيت [آبن] هزيمة فقلت : أنصروا لنا
بحروراء قالت : والله ما هي عندنا ، قلت : فبقرة ، قالت لا ، قلت : فشاة ، قالت
لا ، قلت : فدجاجة ، قالت لا ، قلت : فأين قول أبيك :

لا أمتنع العوذ^(١) بالفصال ولا * أبتاع إلا فريضة الأجل

قالت : ذلك أفناها . فبلغ آبن هزيمة ما قالت ، قال : أشهد أنها آبتني ، وأشهد
أن دارى لها دون الذكور من أولادى .

قال آبن أبى قنن :

لا أشتم الضيف ولصكتنى * أدعوله بالقرب من طوق

بقرى من إن زاره زائر * مات الى الخبز من الشوق

دخل على آبن لرجل من الأشراف داخل وبين يديه فراريج ، فغطى الطبق بمنديله
وأدخل رأسه فى جيبه وقال للداخل عليه : كن فى الحجرة الأخرى حتى أفرغ من
بحورى .

وفى أجاز لنسا عمرو بن بجر من كتبه قال : دخل رجل على رجل قد تغدى

مع قوم ولم ترفع المائدة^(٢) قال لهم : كلوا وأجهزوا على الجرحى . يريد : كلوا مما كثر
ونيل منه ولا تعرضوا الى الصحيح .

(١) العوذ : الحديثات التاج من الظباء والإبل والحيل ، وأحدثها عائد مثل خائل وحول ، والفصال :

جمع فصيل وهو ولد اللفة إذا فصل عن أمه . يريد أنه لكرمه لا يمتنع العوذ بأولادها بل يذبها لضيوفه
الكثيرين . وفى الأصل وردت هذه الجملة هكذا : « لا أمتنع العوذ بالفصال » وهو تحريف ، والتصحيح عن

أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) فى الأصل : « وأجيرا »

وهو تحريف وما أثبتناه عن المعتمد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) ، وقد وردت هذه الحكاية فيه بأوضح مما هنا .
ونصها « قال : ودخلت عليه (يريد عبد الله بن يحيى بن خاله بن أمية) يوما والمائدة موضوعة والقوم
يأكلون وقد رفع بعضهم يده فددت يدي لآكل فقال أجهز على الجرحى ولا نتعرض للاضحاء »

قال : وقال لقوم يؤاكلونه : يزعمون أن خبزي صغار ! أي ابن زانية يا كل من هذا رغيفين ! . قال : ويقول لزائره إذا أطل عنده المسك : تغذيت اليوم ؟ فإن قال نعم ، قال : لولا أنك تغذيت لغذيتك بطعام طيب . وإن قال لا ، قال : لو كنت تغذيت لسقيتك خمسة أقداح . فلا يكون له على الوجهين لا قليل ولا كثير .

وحكى عن أبي نؤاس أنه قال : قلت لرجل من أهل خراسان^(١) : لِمَ تأكل وحدك ؟ قال : ليس عليّ في هذا الموضع سؤال ، إنما السؤال على من أكل مع الجماعة ، لأن ذاك تكلف وأكلى وحدي هو الأكل الأصلي .

وكذا عند داود بن أبي داود بواسط أيام ولايته كسكر^(٢) ، فأنته من البصرة دمايا ، وكان فيها زقاق دوشاب^(٤) ، فقسمها بيننا ، فكلنا أخذ ما أعطى ، غير الحزامي^(٣) ، فأنكرنا ذلك وقلنا : إنما يجزع الحزامي من الإعطاء وهو عدوه ، فأما الأخذ فهو ضالته وأمنيته ، فإنه لو أعطى أفاعي سجستان^(٥) ، وثعابين مصر ، وجرارات الأهواز لأخذها ، إذ كان اسم الأخذ واقعا عليهما ، فسألناه عن سبب ذلك ، فتعسر قليلا ثم باح بسرّه وقال : وضعته أضعاف^(٦) ربحه ، وأخذته من أسباب الإدبار ، قلت : أول وضائعه احتمال ثقل السكر ؟ قال :

(١) كذا في البخلاء وفي الأصل : « منهم » انظر هذه الحكاية فيه ص ٢٦ . (٢) كذا في البخلاء . (ص ٢٦) . وفي الأصل : « من » . (٣) كسكر : كورة من كور بغداد وقصبتها واسط ، وهي مشهورة بالفراريج العسكرية . (٤) كذا في الأصل ، والدوشاب : نبيذ التمر معرب ، قال ابن المعتز : لا تخلط الدوشاب في قدح * بصفاء ماء طيب البارد

وقال ابن الرومي :

علني أحمد من الدوشاب * شربة بغضت قناع الشباب

وفي كتاب البخلاء أنها زقاق دبس ، والدبس : عسل التمر وعصارته من غير طبخ . وقال السمعاني : إنه الدبس بالعربية (انظر شفاء الغليل للخفاجي) . (٥) جرارات الأهواز : عقاربها القتالة . (٦) وضعته : خسارته وغرمه .

هذا لم يخطر ببال قط، ولكن أول ذاك كراء الحمال، فإذا صار إلى المنزل صار سببا
 لطلب العصيدة والأرزة والسندفود،^(١) فإن بعته فراراً من هذا البلاء صيرتموني شهرة،^(٢)
 وإن أنا حبسته ذهب في العصائد وأشباهها، وجذب ذلك شراء السمن، ثم جذب
 السمن غيره، وصار هذا الدوشاب علينا أضر من العيال؛ وإن أنا جعلته نبذاً
 آتجت إلى كراء القدور وإلى شراء الحب^(٣) وإلى شراء الماء وإلى كراء من يؤقد
 تحته؛ فإن وليت ذلك الخادم أسود ثوبها وغرمتنا ثمن الأشنان^(٤) والصابون،
 وازدادت في الطعم على قدر الزيادة في العمل؛ فإن فسدت ذهبت النفقة باطلا ولم
 نستخلف منها عوضاً بوجه من الوجود،^(٥) لأن خلّ الداذي^(٦) يحضب اللحم ويغير الطعم
 ويسود المرقّة ولا يصلح [إلا] للاصطباغ^(٧)، وإن سلّم - وأعوذ بالله - وجاد وصفا لم نجد
 بداً من شربه ولم تطب أنفسنا بتركه؛ فإن قعدت في البيت أشربه لم يمكن ذلك إلا بترك
 ١٠

(١) كذا في الأصل، وفي البخلاء، (ص ٦٧) : « البستندود » ولم نوفق إلى معرفته .
 (٢) الشهرة : ظهور الشيء في شئ . (٣) الحب بالضم : الخرة . (٤) الأشنان :
 الحمض الذي تنسل به الأيدي . (٥) كذا في البخلاء، وفي الأصل : « ولم يتخلف منها بوجه
 من الوجوه » . (٦) في القاموس وشرحه (مادة « دوذ » بمهملة فعجمة) : الداذي : شراب الفساق
 وهو الخمر ، وهو على صيغة المنسوب وليس بنسب . ثم قال في مادة « ذوذ » بمعجمتين : والداذي :
 ثبت له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل في الفرق (مكيال) فتعقب راحته
 ويجود إسكاره ، قال الشاعر :

شربنا من الداذي حتى كأننا * ملوك لنا بر العراقين والبحر
 فلما انجلت شمس النهار رأيتنا * تولى الغنى عنا وعادونا الفقر

ثم قال شارح القاموس : « ولذا حكم الخذاق باتحاده مع الذي قبله ، وكلاهما غير عربي ولا معروف » .
 واقتصر في اللسان على « الداذي » بمهملة فعجمة وذكر البيت . (٧) التكلة عن البخلاء .
 (٨) كذا في البخلاء . وفي الأصل : « للاصطناع » .

سَلَفُ الْفَارِسِيِّ الْمُعَسَّلِ ، وَاللَّجَاجِ الْمُسَمَّنِ ، وَجِدَاءِ كَسَكْرٍ وَفَاكِهِةِ الْجَبَلِ وَالنَّقْلِ الْهَشِّ
وَالرَّيْحَانِ الْغَضِّ ، عِنْدَ مَنْ لَا يَغِيضُ مَالَهُ ، وَلَا تَنْقِطِعُ مَادَّتُهُ ، وَعِنْدَ مَنْ لَا يُبَالِي عَلَى
أَيِّ قُطْرِيَةٍ سَقَطَ ، مَعَ فُوتِ الْحَدِيثِ الْمُؤَنَسِ وَالسَّيَّاعِ الْحَسَنِ ؛ وَعَلَى أُنَى إِنْ جَلَسْتُ
فِي الْبَيْتِ أَشْرَبَهُ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ الْوَاحِدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ لَحْمٍ بِدَرَاهِمٍ ،
وَنَقْلٍ بِطَسُوجٍ ، وَرِيحَانٍ بِقِيرَاطٍ ، وَمِنْ أَزْوَاجِ الْقِدْرِ وَحَطَبِ الْوَقُودِ ؛ وَهَذَا كُلُّهُ غُرْمٌ
وَشَوْمٌ وَحِرْمَانٌ وَحُرْفَةٌ وَخُرُوجٌ مِنَ الْعَادَةِ الْحَسَنَةِ . فَإِنْ كَانَ النَّدِيمُ غَيْرَ مُوَافِقٍ فَاهْلُ
السَّجْنِ أَحْسَنُ حَالًا مِنِّي ، وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا فَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى مَالِي بِهِ بَابًا مِنْ
التَّلَافِ ، لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَسِيرُ فِي مَالِي كَسِيرِي فِي مَالِ غَيْرِي مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي . فَإِذَا عَلِمَ
الصَّدِيقُ أَنَّ عِنْدِي دَاذِيًا أَوْ نَبِيذًا دَقَّ عَلَى الْبَابِ دَقَّ الْمِدَلِّ ، فَإِنْ حَجَّيْنَاهُ فَبَلَاءٌ ،
وَإِنْ أَدْخَلْنَاهُ فَشَقَاءٌ . وَإِنْ بَدَأَ لِي فِي آسْتَحْسَانِ حَدِيثِ النَّاسِ كَمَا يَسْتَحْسِنُهُ
[مَنِي] مَنْ أَكُونُ عِنْدَهُ ، فَقَدْ شَارَكْتُ الْمُسْرِفِينَ ، وَفَارَقْتُ إِخْوَانِي الصَّالِحِينَ ،
وَصِرْتُ مِنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ ؛ وَاللَّهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ
كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ فَإِذَا صِرْتُ كَذَلِكَ فَقَدْ ذَهَبَ كَسْبِي مِنْ مَالِ غَيْرِي ،
وَصَارَ غَيْرِي يَكْتَسِبُ مِنِّي ؛ وَأَنَا لَوْ آبَتُلَيْتُ بِأَحَدِهِمَا لَمْ أَقُمْ بِهِ فَكَيْفَ إِذَا آبَتُلَيْتُ
بِأَنْ أُعْطِيَ وَلَا أَخُذَ ، وَبِأَنْ أُؤْكَلَ وَلَا أَكُلَ ! أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ بَعْدَ
الْعِصْمَةِ ، وَمِنَ الْخَوَرِ بَعْدَ الْكُورِ ؛ وَلَوْ كَانَ هَذَا فِي الْحَدَاثَةِ كَانَ أَهْوَنَ . هَذَا

(١) كسكر: تقدم في تعريفها في صفحة ٢٥٠ من هذا الجزء ، أنها مشهورة بالفراريج العسكرية ،
ولعلها مشهورة أيضا بجذائها . (٢) القطر: الناحية . (٣) كذا في البخلاء وفي الأصل :
«قرب» . (٤) الطسوج : ربع الذائق . انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ... ص ... من
هذا الجزء . (٥) الحرفة : الحرمان . (٦) كذا في البخلاء . وفي الأصل : «رأسا» .
(٧) التكملة عن البخلاء . (٨) الخور : النقصان . والكور : الزيادة ومنه الحديث :
«نعوذ بالله من الخور بعد الكور» . (٩) كذا في البخلاء . وفي الأصل : «أحسن» .

الدُّشَاب ديسيس من الحُرْفَة ، وكَيْدٌ من الشَّيْطَان ، وَخُدْعَةٌ من الحَسود ، وهو الحلاوة التي تُعقَّب المرارة . ما أخوفني أن يكون أبو سليمان قد ملني فهو يحتمل لي الحيل ! .

وحكى عن الحارثي أنه قال : الوحدة خير من جليس السوء ، وجليس السوء خير من أكل السوء ؛ لأن كل أكل جليس وليس كل جليس أكل ؛ فإن كان لا بد من المؤاكلة ولا بد من المشاركة فمع من لا يستأثر على بالمخ ، ولا ينتهز بيضة البقيلة ؛ ولا يلتقم كبد الدجاج ، ولا يُبادر إلى دماغ السلاءة^(٢) ، ولا يختطف كُليّة الجدى ، ولا يزدرد قانصة الكركي^(٣) ، ولا ينتزع شاكلة الحمل^(٤) ، ولا يتلع سرّة السمك ، ولا يعرض لعيون الرؤوس ، ولا يستولى على صدور الدراج^(٥) ، ولا يسابق إلى أسقاط الفراخ ، ولا يتناول إلا [ما] بين يديه ، ولا يلاحظ ما بين يدي غيره ، ولا يمتحن الإخوان بالأموال الثمينة ، ولا ينتهك أستر الناس بأن يشتهي ما عسى ألا يكون موجودا ؛ فكيف تصلح الدنيا ويطيب العيش بمن إذا رأى جزورية التقط^(٧) الأكبّاد والأسمية^(٨) ، وإذا عين بقرية آستولى على العراق والقطنة^(٩) ، وإن عين بطن

- (١) كذا في البخلاء ، وقد أوردتها المحي في كتابه « ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه » فقال : « بيضة البقيلة تذكر في عيون الأطعمة ولا تستحسن المبادرة إليها » . وفي الأصل : « البيضة المقاية » . (٢) السلاءة : واحدة السلاء وهو ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين . (٣) الكركي : طائر يقرب من الإوز أتر الذنب رمادي اللون في خده لمعات سود يأوى إلى الماء أحيانا . (٤) الشاكلة : الخاصرة . (٥) الدراج كرم : طائر جميل المنظر ملون الريش ، يطلق على الذكر والأنثى . (٦) التكملة عن البخلاء . (٧) كذا في البخلاء ، ويظهر أنها ضرب من الطعام ينسب إلى الجزور وهو واحد الإبل يقع على الذكر والأنثى . وفي الأصل : « جزرية » والجزرة : الشاة السمينة أو ما يذبح من الشاء ، وذكر الأسمية في الكلام ياباها . (٨) العراق : ما دون السرة من الحشا معترضا بالطن . (٩) القطنة : مثل الرمان تكون على الكرش وهي ذات الأطباق ، والعامة تسميها الرمان .

سمكةٍ آخترق كلَّ شيءٍ فيه ، وإن أتوا يجنب شواءٍ آكتسح ما عليه ، ولا يرحم ذا سنٍّ لضعفه ، ولا يرقُّ على حَدِّ لِحْدَةٍ شهوته ، ولا ينظر للعيال ، ولا يبالي كيف دارت الحال . وأشدُّ من كل ما وصفنا أن الطباخ ربما أتى باللون الظريف الطريف ، والعادةُ في مثل ذلك اللون أن يكون لطيف الشخص صغير الحجم ، فيقدمه حارًّا ^(١) ممتنعًا ، وربما كان من جواهر بطنى الفتور ، وأصحابنا في سهولة آذِرَادِ الحارِّ عليهم ^(٢) في طبائع النعام ، وأنا في شدة الحارِّ [على] في طبائع السباع ، فإن نظرت ^(٣) إلى أن يمكن أتوا على آخره ، وإن أنا بادرتُ مخافةَ القوتِ وأردتُ أن أشاركهم في بعضه لم آمن ضرره ، والحارُّ ربما قتل وربما أبال الدم . قال : وعوتب على تركه إطعام الناس معه وهو يتخذ فيكثر ، فقال : أتم لهذا أترك منى ، فإن زعمتم أنى أكثر مالا وأعدَّ عُدَّةً ، فليس بين حالى وحالكم من التفاوت أن أطيِّع أبدا وتأكلا أبدأ ، فإذا أتيتُم من أموالكم من البذل على قدر احتمالكم ، علمتُ أنكم الخير أردتم ، وإلى تزيينى ذهبتم ، وإلا فإنكم إنما تحلبون حلبًا لكم شطره ^(٤) .

قال : كان أبو ثمامة ^(٥) أفطر ناسًا وفتح بابَه ^(٦) فكثُر عليه الناس ، فقال : إن الله لا يستحي من الحق ، وكلُّكم واجبُ الحق ، ولو استطعنا أن نعممكم بالبرِّ كنتم فيه سواءً ولم يكن بعضكم أولى به من بعض ، كذلك أتم إذا عجزنا أو بدا لنا ، فليس بعضكم أحق بالحِرمان والأعتذار إليه من بعض ، ومتى قُرِبْتُ بعضكم وفتحْتُ بابى لهم وباعدتُ الآخرين ، لم يكن فى إدخال البعض عذرًا ، ولا فى منع الآخرين حجةً ، فأنصرفوا ولم يعودوا .

٢٠ : (١) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : « ممتعا » وهو تحريف . (٢) كذا فى البخلاء ، وفى الأصل : « فى » . (٣) التكمة عن البخلاء . (٤) نظرت : انتظرت . (٥) كذا فى البخلاء ، وفى الأصل : « أشاركه » . (٦) كذا فى الأصل ، وفى البخلاء : « وإلى تربيتى » . (٧) فى كتاب البخلاء (ص ٢١٥) : « ثمامة » . (٨) فى الأصل : « ويفتح » .

قال : وكان محمد بن أبي المؤمل يقول : قاتل الله رجلاً كُنا نؤاكلهم ، مارأيتُ
قصة رُفعت من بين أيديهم إلا وفيها فضل ، وكانوا يعلمون أن إحصار الجدي إنما
هو شيء من آيين الموائد الرقيقة ، وإنما جعل كالقافية وكانحاتمة كالعلامة لليسر
والفراغ ، ولم يُحضّر للتفريق والتخريب ، وأن أهله لو أرادوا به سوءاً لقدموه
لتقع الحادثة به ، ولذلك قال أبو الحارث جميز حين رآه لا يمس : هذا المدفوع عنه .

ولقد كانوا يتحامون بيضة البقيلة ، ويدعوها كل واحد لصاحبه ، وأنت اليوم
إذا أردت أن تمتع عينيك بنظرة واحدة منها ومن بيضة السلالة لم تقدر على ذلك .
وكان يقول : الآدام أعداء الخبز ، وأعداها له المسالح ، فلو أن الله أمان عليها
بالماء وطلب آكله له لآتى على الحرث والنسل .

وكان يقول : ما بال الرجل إذا قال : أسقني ماءً أتاه بقلّة على قدر الرى أو أصغر ،
وإذا قال : أطعمني شيئاً أو هات لفلان طعاماً ، أتاه من الخبز بما يفضل عن

(١) كذا في البخلاء ، والآيين : العادة ، وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة ، أعجمى عربيه
المولدون ، قال مهياري في قصيدة له :

يجمع الخريت حولاً أمره * وهو لم يأخذ لها آيينها

(راجع شفاء الغليل) وفي الأصل : « أنس الموائد » . (٢) في البخلاء : « كالعاقبة »
(٣) كذا في البخلاء . وفي الأصل : « كالعلامة للبشر » وهو تحريف . (٤) في الأصل والبخلاء :
« جمين » بالنون في آخره . وورد في القاموس وشرحه في مادة (ج م ن) : « أبو الحارث جمين كة بيط
المديني ، هكذا ضبطه المحدثون بالنون ، وهو صاحب النوادر والمزاح ، والصواب بالزاي المعجمة
في آخره ، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا * قد أوق الحكمة والميزا

وقد أهمله المصنف (مؤلف القاموس) في حرف الزاي ونهينا عليه هناك « اه . ولذا رجحنا ذكره بالزاي
المعجمة في جميع المواضع التي ورد فيها . (٥) تقدم تفسيرها قريباً . (٦) كذا في البخلاء ،
وفي الأصل : « وكان يقال » .

الجماعة، والطعامُ والشرابُ أخوان . أما إنه لولا رخص الماء وغلاء الخبز لما
كَلَبُوا على الخبز وزَهَدُوا في الماء؛ والناسُ أشدُّ شيء تعظيماً^(١) لما كَوَل إذا كثر ثمنه
وكان قليلاً في مَنبته وعُنصره . هذا الحَزَر الصافي والباقلاء^(٢) الأخضر طيب من كَثَرِي
نُحْرَاسَانِ والمَوْز البُسْتَانِي ، وهذا الباذِئُجان طيب من النَكَاة ، ولكنهم ليقصر همتهم
وأذهانهم في التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن .

وكان يقول : لو شرب الناس الماء على طعامهم لما أَثْمَنُوا . وذلك أن الرجل
لا يعرف مقدار ما أكل حتى ينال من الماء شيئاً ، لأنه ربما كان شبعان وهو
لا يدري . وفي قول الناس : ماء دجلة أَمْرأ من ماء الفرات ، وماء مِهْرَانِ أَمْرأ من
ماء [نهر] بَلَخ^(٣) ، وفي قول العرب : هذا ماء تَمِيرٌ يصلح عليه [المال] دليل على أن
الماء يُمَرِّي ؛ حتى قالوا : إن الماء الذي يكون عليه النفاطات أَمْرأ من الماء
الذي تكون عليه القيارات . فعليكم بشرب الماء على الغداء [فإن ذلك أَمْرأ]^(٤) .

قال وكان الثَّوْرِي يقول لعياله : لا تُلْقُوا نوى التمر والرطب وتعودوا آبتلاعة ،
فإن النوى يَعْقِدُ الشحم في البطن ، وَيُدْفِي الكُلَيْتَيْنِ بذلك الشحم ؛ واعتبروا ذلك
بِطَوْنِ الصَّفَايَا وجميع ما يَعْتَلِف النَّوى . والله لو حملتم أنفسكم على قضم الشعير^(٥)
واعتسلاف القَت لوجدتموها سريعة القبول ، وقد يأكل الناس القَت قَدَاحاً ،^(٦)

(١) الباقلاء (بتخفيف اللام ممدودا وتشديد هاء مقصورا) : الفول الواحدة بهاء أو الواحد
والجمع سواء . (٢) مهران : نهر عظيم بقدر دجلة تجري فيه السفن . (٣) النكة عن البخلاء
(ص ١٠٤) . ونهر بلخ هو جيحون . (٤) كذا بالأصل وتجاب البخلاء . (٥) الزيادة
عن تجاب البخلاء . (٦) الصفايا : جمع صفى ، والصفى : الناقة الغزيرة اللبن وكذلك الشاة .
(٧) القَت : حب برى يأكله أهل البرية عام القحط بعد دقه وطبخه . (٨) قداحا : رطباً قبل
أن يجفف .

وَالشَّعِيرَ فَرِيكًا ، وَنَوَى الْبُسْرَ الْأَخْضَرَ ، وَنَوَى الْعَجْوَةَ ؛ وَإِنَّمَا بَقِيَتْ عَلَيْكُمْ الْآنَ عَقَبَةٌ ؛ أَنَا أَقْدِرُ أَنْ أَتْلَعَ النَّوَى وَأُعْلِفَهُ الشَّاءَ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ هَذَا بِالنَّظَرِ لَكُمْ .

وَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ : كُلُوا الْبَاقِلَاءَ بِقَشُورِهِ ، فَإِنَّ الْبَاقِلَاءَ يَقُولُ : مَنْ أَكَلَنِي بِقَشُورِي فَقَدْ أَكَلَنِي ، وَمَنْ لَمْ يَأْكُلْنِي بِقَشُورِي فَأَنَا أَكَلُهُ ؛ فَمَا حَاجَتُكُمْ [إِلَى] أَنْ تَصِيرُوا طَعَامًا لَطْعَامِكُمْ ، وَأَكَلًا لِمَا جُعِلَ أَكَلًا لَكُمْ .

قَالَ : وَحُتْمٌ هُوَ وَعِيَالُهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَكْلِ الْخُبْزِ ، فَرَبِحَ أَقْوَاتَهُمْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ؛ فَفَرِحَ وَقَالَ : لَوْ كَانَ فِي مِثْلِي سَوْقُ الْأَهْوَازِ وَنَطَاطٌ^(٢) خَيْرٌ رَجَوْتُ أَنْ أُسْتَفِضَلَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةً دِينَارًا .

قَالَ : وَدَعَا مُوسَى بْنُ جَنَاحٍ جَمَاعَةً مِنْ حِيرَانِهِ لِيَقُطُّوْا عِنْدَهُ [فِي شَهْرِ رَمَضَانَ]^(٣) ، فَلَمَّا وُضِعَتِ الْمَائِدَةُ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : لَا تَعْجَلُوا ، فَإِنَّ الْعَجَلَةَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ . ثُمَّ وَقَفَ وَقَفَةً ثُمَّ قَالَ : وَكَيْفَ لَا تَعْجَلُونَ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا » . اسْمَعُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ ، فَإِنَّ فِيهِ حَسَنَ الْمُواكَلَةِ وَالتَّبَعْدَ مِنَ الْأَثَرَةِ ، وَالْعَاقِبَةَ الرَّشِيدَةَ ، وَالسَّيْرَةَ الْمَحْمُودَةَ : إِذَا مَدَّ أَحَدُكُمْ يَدَهُ لِيَسْتَقِيَ مَاءً فَأَمْسَكُوا أَيْدِيَكُمْ حَتَّى يَفْرُغَ ، فَإِنَّكُمْ تَجْمَعُونَ عَلَيْهِ خَصِيَالًا : مِنْهَا أَنْتُمْ تَنْغَصُّونَ عَلَيْهِ فِي شَرْبِهِ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الْخَلَّاقُ بِكُمْ فَلَعَلَّهُ يَتَسَرَّعُ إِلَى لُقْمَةٍ حَارَّةٍ فَيَمُوتَ ، وَأَدْنَى ذَلِكَ أَنْ تَبْعَثُوهُ عَلَى الْحِرْصِ

(١) كَذَا فِي الْبُخْلَاءِ . وَفِي الْأَصْلِ : « أَنْ أَقْدِرُ أَنْ أَبِيعَ النَّوَى » . (٢) كَذَا فِي الْبُخْلَاءِ ، وَيُرِيدُ بِسَوْقِ الْأَهْوَازِ : كَوْرَهَا وَهِيَ كَثِيرَةُ الْحَمَى وَوَجْوهُ أَهْلِهَا مَصْفَرَّةٌ مَغْشَرَةٌ . وَنَطَاطٌ خَيْرٌ : قَصَبَتُهَا وَهِيَ مَشْهُورَةٌ بِالْحَمَى أَيْضًا . قَدَّمَ أَعْرَابِيٌّ خَيْرًا فَقَالَ :

قُلْتُ لِحَمَى خَيْرٍ اسْتَعْدَى * هَاكَ عِيَالِي فَاجْهَدِي وَجَدِي

وَبَاكِرِي بِصَالِبٍ وَرَدَ * أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَى ذَا الْجَنْدِ

لَحْمٌ وَمَاتَ وَبَقِيَ عِيَالُهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « مِثْلَةُ خَيْرٍ » . (٣) التَّكْلَةُ عَنْ كِتَابِ الْبُخْلَاءِ .

وعلى عِظَم اللَّقْمِ . ولهذا قال بعضهم وقد قيل له : لم تبدأ بأكل اللحم ؟ قال : لأنَّ
اللَّحْمَ طَاعَنٌ والثريد مقيمٌ . وأنا وإن كان الطعام طعامي فإنى كذلك أفعل ؛ فإذا رأيتم
فعلى يخالف قولى فلا طاعة لى عليكم . قال بعضهم : فربما نسي بعضنا فمدَّ يده
وصاحبه يشرب ، فيقول له : يدك يا ناسي ، ولولا شيء لقلت لك : يا متغافل .
قال : فأتانا بأرزٍ لو شاء أحدنا أن يعدَّ حياتها لعدّها ، لتفرّقها وقيلتها ، وهى مقدار
نصف سُكَّرَجَةٍ ؛ فوقعْتُ فى فمى قطعةً ، وكنتُ الى جنبه ، فسمع صوتا حين
مَضَعْتُهَا ، فقال : أجرش يا أبا كعب .

قال : وكنا نسمع باللّيم الراضع ، وهو الذى يرضع الحلبُ فلا يجلبه فى الإناء
لئلا يُسمع صوتُ الحلب — وقال بعضهم : لئلا يضيع من اللبن شيء — ثم رأيتُ
أبا سعيد المدائنى قد صنع أعظم من ذلك : ارتضع من دَنَ خَلٍّ حتى فني ولم يخرج
منه شيء .

قال : وكان الكِنْدِيُّ لا يزال يقول للساكن من سُكَّاننا — [وربما قال ^(٥)]
للجار — إن فى دارى امرأةً بها حبٌّ ، والوَحَى ربما أسقطت من ريحِ القدر الطيبة ،
فإذا طبختم فردوا شهوتها بغرفة أو بلعقة فإن النفس يردّها اليسير ، وإن لم تفعل
ذلك وأسقطت فعليك غرةٌ ^(٦) : عبدٌ أو أمةٌ .

(١) فى الأصل : «حبّتها» بالإفراد . (٢) السكَّرَجَة : الصحفة .

(٣) فى الأصل : «وكذا نسمع» . (٤) الحلب (بالتحريك) : اللبن . (٥) التكملة عن

كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٣ طبع أوربا) . (٦) الغرة : البياض الذى يكون فى وجه الفرس ،

والمراد بالغرة هنا العبد الأبيض أو الأمة البيضاء . وسُمي غرة لبياضه ، فلا يقبل فى الدية عبد أسود ولا جارية

سوداء ، وليس ذلك شرطا عند الفقهاء . وإنما الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبيد والإماء .

وقال بعضهم : نزلنا داراً بالكراء للكندي على شروط ، فكان في شرطه على السكان أن يكون له روث الدابة ، وبعر الشاة ، ونشوار^(١) العلوفة ، وألا يخرجوا عظماً ولا يخرجوا كئاسة ، وأن يكون له نوى التمر ، وقشور الرمان ، والغرفة من كل قدر تطبخ للخبلى في بيته ، وكان في ذلك يتنزل عليهم^(٢) ، فكانوا لطيبه وإفراط بخله يهتملون ذلك .

وقال دُعيل : أقمنا يوماً عند سهل بن هارون ، فأطلنا الحديث حتى أضطره الجوع إلى أن دعا بغدائه ، فأني بصحفة عذمية فيها مرق لحم ديك عاس^(٤) هيرم ليس قبلها ولا بعدها غيرها ، لا تلخز فيه السكين ، ولا تؤثر فيه الأضراس ، فأطلع في القصعة وقلب بصره فيها ، فأخذ قطعة خبز يابس فقلب بها جميع ما في الصحفة ففقد الرأس ، فبقي مطرقاً ساعة ، ثم رفع رأسه إلى الغلام وقال : أين الرأس ؟ قال : رميت به ، قال : ولم ؟ قال : ما ظننت أنك تأكله [ولا تسأل عنه] ! قال : ولأى شيء ظننت ذلك ؟ فوالله إني لأمقت من يرمى برجله فكيف من يرمى برأسه ! والرأس رئيس ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه عُرْفه الذي يتبرك به ، وفيه عينه التي يضرب بها المثل فيقال : « شراب كعين الديك » ، ودماعه عجب لوجع الكلى ، وإن ترى عظماً قطأهش من عظم رأسه ، فإن كان من نبل أنك لا تأكله فإن عندنا من يأكله . أو ما علمت أنه خير من طريف الجناح ومن الساق ومن العنق ! . انظر أين هو . قال : لا والله لا أدري أين هو ، رميت به ، قال : لكنى أدري أنك رميت به في بطنك ، والله حسبك .

(١) النشوار : ما يتبق من علف الدابة . (٢) يتنزل عليهم : ينزل عليهم ويطرقهم .
(٣) عذمية : قديمة . (٤) العاسى : الذى أسن حتى جف وصلب .
(٥) لا تلخز : لا تقطع . وفى الأصل : « لا تلخز » . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) (٧) تقول العرب فى أمثالها : « أصفى من عين الديك » .

وحكى عن رجل أنه قال : مررت ببعض طُرُقَات الكوفة ، فإذا رجل يُغاصم جَاراً له ، فقلت : ما بالكما تختصمان ؟ فقال [أحدهما ^(١)] : لا والله إلا أن صديقاً لى زارنى فأشتهى على رأسا ، فاشتريته وتغدينا به وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتجمل بها عند جيرانى ، فجاء هذا فأخذها وتركها على باب داره يومهم أنه اشتراه .

قال : وتناول رجل من بين يدي أمير من الأمراء بيضة وهو معه ، فقال : ^(٢) خذها فإنها بيضة العقر ، ولم يأذن له بعد ذلك . ^(٣)

قال : وقدمت مائدة لرجل عليها أرغفة على عدد الرؤوس ورغيف زائد يوضع على الصحاف ، فلما أنفذ القوم خبزهم التفت الى رجل الى جانبه فقال : اكسر هذا الرغيف وفرقه بينهم ، فتغافل ، فأعاد عليه ، فقال : يبتلى على يد غیری .

قال المدائني : كان للمغيرة بن عبد الله الثقفي وهو على الكوفة جدى يوضع على مائدته بعد الطعام لا يمسسه هو ولا غيره ، فقدم أعرابي يوماً فأكَلَ لحمه وتعرق عظامه ، فقال ، يا هذا ، أطلب هذا البأس بذحل ^(٤) ؟ ! هل نطحتك أمه ! قال : وأبيك إنك لشفيق عليه ! هل أرضعتك أمه ! ^(٥)

قال المدائني : كان لزياد بن عبد الله الحارثي جدى لا يمسسه [أحد ^(٦)] ، فعشى في شهر رمضان قوماً فيهم أشعب ، فعرض أشعب يوماً للجدى من بين القوم ،

(١) النكلة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) . (٢) جاءت هذه العبارة في العقد الفريد

(ج ٣ ص ٣٢٥) ضمن الحكاية التي سبورها المدائني بعد عن المغيرة بن عبد الله الثقفي والأعرابي الذي

قدم عليه . (٣) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود ، يضرب مثلاً لمن يصنع

الصنعة ثم لا يعاودها . راجع اللسان مادة « بيض » . (٤) تعرق العظم : أخذ ما عليه من لحم .

(٥) الذحل : النار . (٦) في الأصل : « إنه لشفيق » .

(٧) في الأصل : « قال » وكتب في هامش الأصل الفتوغرافي : « لعله كان » وهو الصواب .

(٨) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١٦٢ طبع أوروبا) .

فقال زياد حين رُفِعت المائدة : أَمَا لأهل السجن إمامٌ يصلي بهم ؟ قالوا : لا ؛
قال : فَلْيُصَلِّ بهم أشعب ؛ قال أشعب : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ أيها الأمير ؟ قال : وما هو ؟
قال : لا آكل لحم جدي أبدا .

قال : وكان المغيرة بن عبيد الله ^(١) يُتَمَنَّى يا كل وأصحابه تمرا فأنطفأ السراج ،
وكانوا يُلقون النوى في طست ، فسمع صوت نواتين ؛ فقال : من ذا يلعب
بالكعبتين ^(٢) ؟

قال الأعشى ^(٣) :

تيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم سغبٌ يبتن نحائصا

وقال آخر ^(٤) :

١٠ وضيف عمرو وعمرو ساهران معا * فذاك من كظة والضيف من جوع

وقال آخر :

وجيرة لا ترى في الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وإفطار

إن يؤقدوا يوسعونا من دُخانهم * وليس يبلغنا ما تُضج النار

وقال سماعة بن أشول :

١٥ نزلنا بسهم السماء تلفنا * لحى الله سهما ما أدق والأما

فلم رأينا أنه عاتم القرى ^(٥) * بخيل ذكرنا ليلة الهضب كودما

(١) الكعبة والكعب : العظم الذي تلعب به الصبيان .

(٢) هو ميمون بن قيس ، قال هذا الشعر بهجو علقمة بن علاثة .

(٣) هو بشار كما في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ طبعة أولى) ، ورواية البيت فيه :

٢٠ وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو ولطنته والضيف للجوع

(٤) في الأصل : « لم تر » (٥) عاتم القرى : بطيته .

فُقمنا وحمّلنا على الآئِن والوَجَى * جَلالاً باوصال الرديفَيْن مِرْجماً^(٢)
 يدقُ خراطيمَ القَنانِ كأنما * يدقُ بصَوانِ الجَلاميدِ حنْماً^(٣)
 بَحْثنا وقد باض الكَرَى في عيوننا * قَتى من عيون المَعْرِقِينَ مسلماً^(٤)
 تَنَاحَ اليه هَجْمَةٌ واتِكِيةٌ^(٥) * رَعَتْ بِالْجَوَاءِ البَقْلَ حَوْلًا مَجْرَماً^(٦)
 كَأَنَّ بِأَحْقِيهَا إِذَا مَا تَتَعَمَّتْ * مَرَاداً سَقَا فِيهِ المَزُودَ مَعْصِماً^(٧)
 فَبَاتَ رَفِيقِي بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنُّهُ * بِمَنْزِلَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُكْرَماً^(٨)
 وَلَوْ أَنَّهَا لَمْ يَدْفَعْ العَيْسَ زَمُّهَا * رَأَى بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِ أَنْسَائِهَا دَمّاً^(٩)

وقال حميد الأرقط :

وَمُسْتَنْبِجٌ بَعْدَ الِهْدُوءِ وَقَدْ جَرَتْ * لَهُ خَرْجَفٌ نَجَاءٌ وَاللَّيْلُ عَاتِمٌ^(١٠)
 رَفَعْتُ لَهُ مَخْلُوطَةً فَاهْتَدَى بِهَا * يَشَبُّ لَهَا ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ جَاحِمٌ^(١١)
 فَاطْعَمْتُهُ حَتَّى غَدَا وَكَأَنَّمَا * تَنَازَعَهُ فِي أَخَذَعِيهِ المَحَاجِمُ^(١٢)

(١) الجلال : الجمل الضخم . (٢) المرجم : المضطرم العدر ، وفي الأصل : «مرحما» .

(٣) في الأصل : «تدق» . (٤) الحنم : الخزف بأنواعه ؛ قال سالم بن دارة :

وقد أوفات في السير حتى كأنما * يكسر قيض بينهن وحنم

والقيض : قشرة البيضة العليا اليابسة . وكتب في الأصل الفتوغراني أمام كلمة الحنم : «الحصيد» ولعله من

معاني الكلمة . (٥) في الأصل : «المغرقين» ، ولعله : «من عيوب المغرقين مسلماً» ، يريد مدحه

بأنه سالم من عيوب المغرقين الذين أفسدوا ما عملوا من صالح بما ارتكبهوه من أثم . (٦) الهجمة من

الابل : أولها الأربعون إلى ما زادت ، وفيها أقوال غير ذلك . (٧) هكذا بالأصل ولعلها «رائية» .

(٨) الجواء : الواسع من الأودية ، وربما أريد به موضع بعينه . (٩) في الأصل : «النقل» .

(١٠) مجرماً : تاماً ، وفي الأصل : «محزماً» . (١١) أحق : جمع حق وهو الخصر .

(١٢) المزداد : جمع مزادة وهي الراوية والقربة التي يستقي فيها . (١٣) معصماً : مشدوداً بالعصام

وهو رباط القربة . (١٤) أنساء : جمع نساء وهو عرق من الورك إلى الكعب . وفي الأصل :

«أنسابها» . (١٥) في الأصل : «ومنتبج» . (١٦) كذا بالأصل ولعلها «مخبوطة»

وهي الشجرة التي تفض عنها ورقها . (١٧) في الأصل «تناء» :

(١) (٢)
كَرْمِهَانَ يَفْطُوا الْمَشَى لَوْ جَعَلْتُ لَهُ * رَعَايَا الْحَمَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَهُوَ قَائِمٌ
حَرِيصٌ عَلَى التَّسْلِيمِ لَوْ يَسْتَطِيعُهُ * فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِمَا غَدَا وَهُوَ عَائِمٌ^(٣)
وَقَالَ الْأَعَشَى :^(٤)

إِذَا حَلَّتْ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو * عَلَى الْأَطْوَاءِ خَنَقَتِ الْكَلَابَا

(٥)
وَقَالَ آخَرُ :

أَيَّابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنَةَ مَالِكِ * وَيَابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا عَمِلْتَ الزَادَ فَالْتَمِسِي لَهُ * أَكِيلاً فَإِنِّي غَيْرُ آكِلِهِ وَحَدِي
بَعِيداً قَصِيّاً أَوْ قَرِيّاً فَإِنِّي * أَخَافُ مَدَمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَكَيْفَ يُسَيِّغُ الْمَرْءُ زَادًا وَجَارَهُ * خَفِيفُ الْمَعَى بَادِي الْخَصَاصَةِ وَالْجَهْدِ
وَلَأَمُوتَ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ * يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدِ

وَقَالَ مُرَّةُ بْنُ مُحَكَّانَ السَّعْدِيُّ :

فَقُلْتُ لِمَا غَدَوَا أُوصِي قَعِيدَتَنَا * غَدَى بَنِيكَ فَلَنْ تَلْفِيهِمْ حَقَبًا^(٨)
أُدْعَى أَبَاهُمْ وَلَمْ أُقْرِفْ بِأُمِّهِمْ * وَقَدْ هَجَعْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبًا

(١) الزمهان : الحران . (٢) فطا الدابة يفظوها : ساقها سوقا شديدا .

(٣) كذا بالأصل ، ولعلها « صائم » كما يقتضيه السياق . (٤) هو أعشى بن تغلب كما في كتاب
الحيوان للجاحظ (ج ١ ص ١٩٤) . (٥) هو حاتم الطائي يخاطب امرأته معاوية بنت عبد الله ،
وعنى بذى البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة . (٦) رواية أشعار الحماسة :
إِذَا مَا صَنَعْتُ ... * ... فَإِنِّي لَسْتُ ...

(٧) روى هذا الشطر في أشعار الحماسة :

* أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتِ فَإِنِّي *

(٨) رواية الشعر والشعراء ، المؤلف (ص ٤٣٢) : « فَلَنْ تَلْفِيهِمْ » .

وقال حماد بن عمار :

زرتُ أمراً في بيته مرة * له حياة وله خير
يكره أن يُتَّخَمَ إخوانه * إن أذى التَّخْمية محذور
ويستهي أن يُؤْجَرُوا عنده * بالصوم والصائم ماجور

وقال بعض المحدثين :

أبوتويج نزلت عليه يوماً * فقداني برائحة الطعام
وجاء بلحم لا شيء سمين * فقدمه على طبق الكلام^(١)
فلما أن رفعت يدي سقاني * مداماً بعد ذلك بلا مدام
فكان كمن سقى الظمان آلاً * وكنت كمن تغذى في المنام

وقال عروة بن الورد :

إني أمرؤ عافٍ إنائي شربة * وأنت أمرؤ عافٍ إنائك واحد
أتهزأ مني أن سميت وأن ترى * بجسمي مس الحق والحق جاهد^(٢)
أقسم جسيمي في جسوم كثيرة * وأحسوقراح الماء والماء بارد

(١) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٨) :

وقسدم بيننا لحماً سميناً * فقدمه على طبق الكلام

فلما أن رفعت يدي سقاني * كؤوساً حشوها ريح المدام

(٢) في أشعار الحماسة (ص ٧٢٣ طبع أوربا) : « بوجهي شحوب الحق » .

باب القُدور والحفان

ذكر الفرزدق عقبة بن جبار المنقري وقدره فقال :

لو أن قدرًا بكت من طول تحببها * على الحفوف بكت قسدر ابن جبار^(١)
ما مسها دسم مذكف مضعدها * ولا رأت بعد نار القيز من نار

وقال :

كأن تطلع الترغيب فيها * عذار يطلعن إلى عذار^(٢)

وقال الكمي :

كأن الغطامط من غلبها * أراجيز أسلم تهجو غفارا^(٣)

وقال آخر :

وقدر بحوف الليل أحشت غلبها * ترى الفيل فيها طافيا لم يفصل^(٤)

وقال ابن الزبير يمدح أسماء بن خارجة :

ترى البازل البختي فوق خوانه * مقطعة أعضاؤه ومفاصله^(٥)

(١) كذا في ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش أدب (ص ٣٩) . والحفوف :

قلة الدسم . وفي الأصل : « الجفون » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح بها أبا السمحاء شحيم بن عامر أحد بني عمرو ، ومطلعها :

سألنا عن أبي السمحاء حتى * أتينا خير مطروق لسارى

(٣) كذا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب . والترغيب : السنام المقطع شطائب مستطيلة .

وفي الأصل : « الترغيب » بالغين المعجمة وهو تحريف . (٤) الغطامط (بضم الغين المعجمة) : صوت

الغليان ، ويقال : تغطمطت القدر إذا اشتد غليانها . وأسلم وغفار : قيلتان كانت بينهما مهاجاة .

(٥) هو ميسرة أبو الدرداء ، كما في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٨ طبع أوربا) . (٦) كذا

في كتاب البخلاء . وفي الأصل : « اجشمت » وهو تحريف . وأحش القدر : أشبع وقودها .

(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدي كما في الأغاني (ج ١٣ ص ٣٥٠ ، ٤٢ طبع بولاق) .

وقال الرقاشي :

لنا من عطاء الله دَهْمَاءُ جَوْنَةٌ ^(١) * تَنَاوَلُ ^(٢) بَعْدَ الْأَقْرَبِينَ الْأَقْاصِيَا
جَعَلْتُ أَلَالًا ^(٣) وَالرَّجَامَ ^(٤) وَطِخْفَةً * لَهَا فَاسْتَقَلَّتْ فَوْقَهُنَّ الْأُثَاثِيَا
مُؤَدِّيَّةٌ ^(٥) عَنَا حَقْوَقَ ^(٦) مُحَمَّدٍ * إِذَا مَا أَنَا يَا بَسَّ الْجَنْبِ طَاوِيَا
أَتَى ^(٧) ابْنَ بَسِيرٍ كِي يُنْفَسَ كَرْبُهُ * إِذَا لَمْ يَرْحُ وَافِيَ ^(٨) مَعَ الصَّبِيحِ غَادِيَا

فأجابه ابن يسير :

وثرَمَاءَ ثَلَمَاءِ ^(٩) النَوَاحِي وَلَا يَرَى * بِهَا أَحَدٌ عَيْبًا سِوَى ذَاكَ بَادِيَا
إِذَا أَنْقَاصٌ ^(١٠) مِنْهَا بَعْضُهَا لَمْ تَجِدْ لَهَا * رَعُوبًا لِمَا قَدْ كَانَ مِنْهَا مُدَانِيَا
وَإِنْ حَاوَلُوا أَنْ يَشْعَبُوهَا فَإِنَّهَا ^(١١) * عَلَى الشَّعْبِ لَا تَرْدَادُ إِلَّا تَدَاعِيَا
مَعْوَذَةُ ^(١٢) الْإِرْجَالِ لَمْ تَوْفِ مَرَقَبًا * وَلَمْ تَمْتَطِ ^(١٣) الْجَوْنُ الثَّلَاثَ الْأُثَاثِيَا

- (١) الدهماء : القدر . وجونة : سوداء . (٢) في الأصل « يناول » بالياء المثناة .
(٣) ألال (وزان حمام ويروي بكسر هـ) : اسم جبل بعرفات . والرجام : جبل طويل أحمر نزل به جيش أبي بكر رضي الله عنه يريدون عمات أيام الردة . وطخفة (بكسر الطاء وفتح) : جبل .
(٤) في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٥٠) : « بائس الحال » . (٥) كذا في كتاب البخلاء .
وقد ورد هذا البيت في الأصل محرفا هكذا :

أنا ابن بشير ان تنفس كربة * إذا لم ترج وافي من الصبح غاديا

- (٦) كذا في كتاب البخلاء وهو محمد بن يسير اليسيري كما في الكامل للبرد (ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ طبع أوربا) وطبقات الشعراء للزواي (ص ٦٠ طبع أوربا) ، وفي الأصل : « ابن بشير » .
(٧) كذا في كتاب البخلاء . وفي الأصل : « سلها » وهو تحريف . والثرماء : من كسرت ثنيتهما ، شسبه بها القدر التي تكسرت أطرافها من كثرة الاستعمال . والثلءاء : المكسورة النواحي . (٨) انقاص : انشق . (٩) في الأصل : « وانها » بالواو . (١٠) معوذة : ممنوعة ، والإرجال : مصدر أرجله إذا جعله يمشي ، ولعله يريد أن هذه القدر لا تنقل لضخامتها . وفي كتاب البخلاء : « معوذة الأرحال » . (١١) في الأصل : « ولم يمتط » .

ولا أَجْتَرَعْتُ^(١) من نحو مكة شُقَّةٌ * إلينا ولا جازت بها العيس وادياً
ولكنها في أصلها مؤصليَّةٌ * مجاورةٌ فيضاً^(٢) من البحر جارياً
أَتْنَا تُرْجِيَهَا^(٣) المجاذيف نحونا * وتُعِيبُ فيما بين ذلك المَزَادِيَا^(٤)
يقول لمن هذى القدور التي أرى * تهيلُ عليها الرِّيحُ تُرباً وسافياً
فقالوا وإن يَخْفَى على كل ناظرٍ * قدورُ رَقَاشٍ إن تأقل دانياً^(٥)
فقلت متى باللحم عهدُ قدوركم * فقالوا إذا ما لم يَكُنَّ عَوَارِيَا
من أَضْحَى إلى أَضْحَى وإلا فإنها * تكون بنسج العنكبوت كماها
فلما آستبان الجهدُ لي في وجوههم * وشكواهم أدخلتهم في عيالِيا
يُنَادِي ببعض بعضهم عند طاعتي * أَلَا أَبْشُرُوا هذا اليسيرَ جَائِيَا

وقال أبو نؤاس :

ودَهْمَاءُ تُثْفِيهَا رَقَاشٌ إذا شَتَّتْ^(٦) * مُرَكَّبَةُ الْأَذَانِ أُمُّ عِيَالِ^(٧)
يَغْصُ بِحِيزُومِ الْبَعُوضَةِ صدرها * وتُنْزِلُهَا عَفْوَاً بغير جِعَالِ^(٨)

(١) اجترعت : قطعت . وفي الأصل : « اجترعت » بالراء .

(٢) في الأصل : « غيضا » بالغين المعجمة . (٣) كذا في كتاب البخلاء .

وفي الأصل : « تجزينا » وهو خطأ . (٤) المزادى : جمع مزداة ، والمزداة : الحفيرة

يرمى الصبيان فيها النوى . (٥) رواية البخلاء : « رائيها » .

(٦) الدهماء : السوداء من القدور . وثفيا : تجعل لها أثافي . وفي ديوانه (ص ١٧٦ طبع مصر) :

« ترسيها » من قولهم : قدر راسية لا تبرح مكانها ولا يطاق تحويلها . (٧) أم عيال : تقوتهم

وتقوم بحاجتهم . (٨) في الأصل : تعض بحيزون « وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر

في ديوانه (ص ١٧٧ طبع مصر هكذا) :

يغص بحيزوم الجرادة صدرها * وينضج ما فيها آنقاد ذبال

وتغلى بذكر النار من غير حرها * وينزلها الطاهى بغير جعال

والجعال بالكسر : خرقعة تنزل بها القادر .

ولو جثتها ملأى عبيطاً مجزلاً^(١) * لأخرجت ما فيها بعود خلال
هي القدر قدّر الشيخ بكر بن وائل * ربيع^(٢) اليتامى عام كل هزال

وقال أيضاً :

رأيت قدور الناس سوداً من الصلّى^(٣) * وقدر الرقاشيين زهراء كالبدري
ولو جثتها ملأى عبيطاً مجزلاً * لأخرجت ما فيها على طرف الظفر
يثبتها^(٤) للعتفى بفنائهم * ثلاث كخط^(٥) الشاء من نقط الخبر
تروح على سحى الرباب وداريم^(٦) * وسعد وتعروها قراضبة الفزير
وللحى^(٧) تغمرو تفتح من سجالها * وتغلب والبيض اللهايم من بكر
إذا ما ينادى بالرحيل سعى بها * أمامهم الحولى من ولد الدر

وقال أبو عبيدة : كان لعبد الله بن جدهان جفنة يأكل منها القائم والراكب .

وذكر غيره أنه وقع فيها صبي فغرق .

(١) العبيط : اللحم الطرى . ومجزل : مقطع .

(٢) كذا في الديوان وكتاب البخلاء . وفي الأصل : « منيع » .

(٣) في البخلاء (ص ٢٥١) : « سودا على الصلّى » . والصلّى : النار . (٤) كذا في البخلاء .

(٥) كذا في كتاب البخلاء . وفي الأصل : « يبينها للعتفى بفنائها » . (٦) الزباب ودارم وسعد والفزير : أسماء قبائل . والقراضبة : اللصوص

والفقراء ، واحد قراضب أو قرضوب . (٧) كذا في كتاب البخلاء . واللهايم من الخيل :

جيادها ، ولهايم الإبل : غزارها ، ولهايم الناس : أشياخهم . وفي الأصل : « اللهايم من فكر »

(١) وقال الأشعر :

(٢) وأنت مَلِيخٌ كلِّمِ الحَوَارِ * فلا أنتَ حُلُوٌّ ولا أنتَ مُرٌّ
وقد عَلِمَ الضَّيْفُ والطَّارِقُونَ * بأنك للضيْفِ جوعٌ وقُرٌّ

(٣) سأل يحيى بن خالد أبا الحارث جُمُيْزاً عن طعام رجلٍ ، فقال : أما مائدتُهُ فمُقَدَّةٌ
وأما صحافُهُ فمُنْقُورَةٌ من حَبِّ الخَشَخَاشِ ، وبين الرغيفِ والرغيفِ نقرة جوزة ، وبين
اللونِ واللونِ قُتْرَةٌ نَبِيَّةٌ . قال : فمن يحضُرُها ؟ قال : الكرامُ الكاتبون . قال : فيأكل
معه أحدٌ ؟ قال : نعم ، الذُّباب . قال : فلهذا ثوبُك مخرقٌ ولا يَكْسُوكَ وأنتَ معه
وبِفَنائِهِ ؟ ! قال أبو الحارث : جُعِلْتُ فِدَاءَكَ ، والله لو مَلَكَ بيتاً من بَغْدَادَ إلى الكوفةِ
مملوءاً لِبَرّاً ، في كلِّ لَبْرَةٍ خيطٌ ، ثم جاءه جبريلٌ وميكائيلٌ معهما يعقوبُ يَضْمَنَانِ
عنه لَبْرَةٍ يَخِيْطُ بها قَمِيصَ يوسفَ الذي قُدَّ من دُبُرٍ ، ما أعْظَاهُم .

وقال بعضهم :

(٥) ولو عليك آتِكالي في الغِذاءِ إذا * لكنتُ أَوَّلَ مَدْفُونٍ من الجوعِ

(١) هو الأشعر الرقبان الشاعر ، واسمه عمرو بن حارثة أسدي جاهلي ، قال هذا الشعر يخاطب به رجلاً
اسمه رضوان (انظر اللسان وشرح القاموس مادة مسخ) وقد ورد هذان البيتان فيهما ضمن شعر له مع اختلاف
في بعض الكلمات وهو :

بحسبك في القوم أن يعلموا * بأنك فيهم غنيٌّ مضرٌّ
وقد علم المعشر الطارقوك * بأنك للضيْفِ جوعٌ وقُرٌّ
إذا ما انتدى القوم لم تأتهم * كأنك قد ولدتك الحر
مسيخٌ مليخٌ كلِّمِ الحَوَارِ * فلا أنتَ حُلُوٌّ ولا أنتَ مُرٌّ

(٢) المَلِيخُ : الذي لا طعم له ، ونخص به بعضهم لحم الحوار (وهو ولد الناقة) حين ينزل من بطن أمه .
(٣) يلاحظ هنا أن صدر كلام جُمُيْزٍ في حاجة إلى الوضوح لغموض عبارته . (٤) لذا بالأصل .
والذي في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) : « أما مائدتُهُ فمُغَيِّبَةٌ » بالغين والياء المثناة من تحت والياء
الموحدة . (٥) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : « مقتول » .

سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره

قال الحجاج لتيادوق متطّبه: ^(١) صِف لي صفةً آخذُ بها [في نفسي] ولا أعُدوها،
قال تياذوق: لا تَتَرَوِّج من النساء إلا شابةً، ولا تأكل من اللحم إلا فتيًا،
ولا تأكله حتى يُنعم طَبْخه، ولا تَشْرَب دواءً إلا من عِلَّةٍ، ولا تأكل من الفاكهة
إلا نَضِيجَها، ولا تأكل طعاماً إلا أجذت مَضْغَه، وكل ما أحببت من الطعام
وأشرب عليه، وإذا شربت فلا تأكل عليه شيئاً، ولا تعيس الغائط والبول،
وإذا أكلت بالنهار فتم، وإذا أكلت بالليل فتمش ولو مائة خطوة ^(٢).

روى عبد العزيز بن عمران عن الحليس بن حيان الأشجعي قال حدثني أبي
عن شيوخ من أشجع قال: سألنا يهود خيبر: هم صَحَّحْتُم بخير؟ قالوا: بشرب
الخمر، وأكل الفوم، وسكون اليفاع، وتجنب بطون الأودية، والخروج من خيبر
عند طلوع الفجر وسقوطه ^(٣).

قال الحجاج للحكم بن المُنْذِر بن الجارود: أخبرني عن صفاء لونك وغلظ
قَصْرَتِكَ، أَشْرَبُ اللبن فهو منه؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأنه مُسْتَنَّةٌ مَسْفُخَةٌ ^(٤).
قال: فما شرباك؟ قال: نبيذ الدَّقِيل في الصيف ونبيذ العسل في الشتاء ^(٥).

- ١٥ (١) كذا في تاريخ الحكماء للقفطي (ص ١٠٥ طبع أوروبا) وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة
(ج ١ ص ١٢١)، وكان طبيباً مشهوراً في صدر الإسلام والدولة الأموية واختص بالحجاج بن يوسف
فكان يثق به ويعتمد عليه في مداراته. وهذا الاسم ذكر مرة في الأصل «بيادوق» ومرة أخرى «بيادوق»،
وفي العقد الفريد «يتنادون». وكله تحريف. (٢) في طبقات الأطباء: «نحسين خطوة».
(٣) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧): «عند طلوع النجم وعند سقوطه». (٤) القصرة:
أصل العنق إذا غلظ. وفي الأصل: «... عن صفاء لونك وقصر غلظ قصرتك». (٥) الدقل
(بالتحريك): أردأ التمر وضرب من النخل تهره صغير الحرم كبير النوى.
- ٢٠

قال عبيد الملك لأعرابي : إنك حسن الكدنة^(١) ، قال : إني أدني رجلي في الشتاء ، وأغفل غاشية الغم ، وآكل كل عند الشهوة .

عن علي رضي الله عنه أنه قال : من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء . ومن أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل داء في بطنه . ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبينة حمراء لم يرف في بدنه شيئاً يكرهه . واللحم ينبت اللحم . والفريد طعام العرب . ولحم البقر داء ، ولبنها شفاء ، وسمها دواء . والشحم يخرج مثلية من داء . ولم يستشف الناس بشيء أفضل من الرطب . والسمك يذيب الجسد ، وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم . ومن أراد البقاء — ولا بقاء — فليأكل الغداء ، وليقل غشيان النساء ، ويخفف الرداء ، وليلبس الحذاء . قيل : وما خفة الرداء في البقاء ؟ قال : قلة الدين .

قيل لرجل : إنك لحسن السخنة ؛ فقال : آكل لباب البر بصغار المعز ، وأدهن بحام البنفسج ، وألبس الكتان^(٣) .

ويقال : ثلاثة أشياء توريث الهزال : شرب الماء على الريق ، والنوم على غير وطاء ، وكثرة الكلام برفع الصوت .

ويقال : أربع خصال يهدم العمرور بها قتلان^(٤) : دخول الحمام على بطنية ، والمجاعة على الأمتلاء^(٥) ، وأكل القديد الجاف ، وشرب الماء البارد على الريق ؛ وقيل : ومجاعة العجوز .

(١) الكدنة (بالكسر وقد يضم) : غلط الجسم وكثرة اللحم . وفي الأصل : «الكدية» بالياء المثناة من تحت ، وهو تحريف . (٢) كذا في الأصل ، والعبارة غير واضحة ، ولعلها محرفة . (٣) كذا بالأصل ، ولعلها «بحم البنفسج» واللحم : ما أذيت إهالته ، والمراد به دهن البنفسج وهو زيت الذي يستخرج منه . (٤) هي من نصائح تياذوق الطبيب للحجاج كما في طبقات الأطباء ، ونسبها صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) لبزرجهر . (٥) القديد : اللحم المجفف ، وقيل ما قطع منه طولاً .

وفي الحديث : «ثلاثة أشياء تورث النسيان أكل التفاح الحامض وسؤر الفأرة ونبت القملة»^(١) . وفي حديث آخر «والجمامة في النقرة والبول في المساء الراكد»^(٢) .

ويقال : أربعة أشياء تقصّد الى العقل بالإفساد : الإكثار من البصل والباقلاء، والجماع، والخمار .

وقال النظام : ثلاثة أشياء تُنْحَق العقل وتُفسد الذهن : طول النظر في المرأة، والاستغراب في الضحك، ودوام النظر الى البحر .
وكان يقال : عشاء الليل يُورث العشا^(٣) .

ويروى في الحديث : «ترك العشاء مهزّمة» . والعرب تقول : ترك العشاء يذهب بلحم الألبتين^(٤) .

باب الحمية

قال الحارث بن كدّة طبيب العرب : الدواء هو الأزم . يعني الحمية .
قال آخر : الحمية إحدى العلتين .

وقيل لحاينوس : إنك تُقِلّ من الطعام ؛ قال : غرضي من الطعام أن آكل لأحيا ، وغرض غيري من الطعام أن يمّحيا ليأكل .^(٥)

١٥ (١) ورد هذا الحديث في كتاب حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٣١١) هكذا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «ست خصال تورث النسيان : أكل سؤر الفأرة وإلقاء القملة وهي حية والبول في الماء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض» . (٢) النقرة : الوهدة في القفا . (٣) العشا : أن يسوء بصر الانسان أو هو العمى ، أو أن يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل . (٤) قال أبو زيد : مثنى الألية ألبان كما تقول هما خصيان وواحدة خصية وقد ورد ألبان في شعر عنتره :

متى ما تلقى فردين ترجف * روانف ألبتيك وتستطارا

٢٠ (٥) ردو هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) منسوبا لأبقراط .

وقال العَمِيُّ : مَنْ آخَتَمَى فَهُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنَ الْمَكْرُوهِ ، وَفِي شَكٍّ مِمَّا يَأْمُلُ مِنَ الْعَافِيَةِ .
وكان يقال : ليس الطبيب من حمى الملك ومنعه الشهوات ، إنما الطبيب من خلّاه وما يريد وساس بدّته .

وقال بعض الشعراء :

وَرُبَّتْ حَزِيمٌ كَانَ لِلشَّقِيمِ عِلَّةٌ • وَعِلَّةُ بُرِّ الدَّاءِ خَبْطُ الْمُغْفَلِ

ويقال : الحمية للصحيح ضارة كما أنها للعليل نافعة .

وفي الحديث : أت رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صهيياً يأكل تمرّاً وبه رمداً ، فقال له : «أنا كل التمر وبك رمداً» ، فقال : يا رسول الله ، إنما أمضغ بهذه .^(٢)

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ» .^(٣)

باب شرب الدواء

قال عبد الله بن بكر السهمي : حدثنا بعض أصحابنا يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ أَسْتَقَلَّ بِدَائِهِ فَلَا يَتَدَاوَى بِهِ فَإِنَّهُ رَبُّ دَوَاءٍ يُورِثُ الدَّاءَ» .

- (١) هو عقبة بن مكرم (بضم أوله وإسكان الكاف وفتح المهملة) أبو عبد الملك البصري الحافظ مات سنة أربعين ومائتين ، (انظر الخلاصة في أسماء الرجال) . (٢) يريد أنه يمضغ بناحية العين التي لا رمدها ، ونص الحديث في الجزء السابع من شرح الزرقاني على المواهب : «وفي سنن ابن ماجه عن صهيب قال : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر ، فقال : «أدن وكل» فأخذت تمراً فأكلت ، فقال : «تأكل تمرّاً وبك رمداً» فقلت : يا رسول الله ، أمضغ من الناحية الأخرى ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي لأنه إن كان يضره أكل التمر لم يفده المضغ من ناحية العين التي لا رمدها .
- (٣) كذا بالأصل ، ولعل هذه الكلمة زيادة من الناسخ ، لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روى عن أبيه ، وجدّه مات مقتولاً في الجاهلية ، كما في كتاب المعارف لابن قتيبة ، فلم تكن له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم .

- وكانت الحكماء تقول : إياك وشرب الدواء ما حَمَلَتْ صِحَّتَكَ داءك .
- وقالوا : مَثَلُ شُرْبِ الدواء مثل الصابون للشوب يُنْقِيهِ ، ولكنه يُخَالِطُهُ وَيُيْلِيهِ .
- عن يزيد بن الأصم قال : لَقِيتُ ^(١) [طبيب] كسرى شَيْخًا ^(١) [كبيرًا] ^(٢) قَدْ أَوْثَقَ ^(٣) حاجبيه بِخِرْقَةٍ ، وسألتُه عن دواء المَشْيِ ، قال : سَهْمٌ يَرْمَى بِهِ فِي جَوْفِكَ أَخْطَأُ أَوْ أَصَابَ .
- قال أَبُقْرَاطُ : الدواءُ من فوق ، والدواءُ من تحت ، والدواءُ لا فوق ولا تحت .
- وفسّرهُ المفسر فقال : من كان دَأْوُهُ فِي بَطْنِهِ فوق سُرَّتِهِ سَقَى الدواء ، ومن كان دَأْوُهُ تَحْتَ سُرَّتِهِ حَقَنَ ، ومن لم يكن به دَأْوٌ لا من فوق ولا من تحت لم يُسَقَ الدواء ، فإن الدواء إذا لم يجد داء يعمل فيه وجد الصِّحَّةُ فَعَمِلَ فيها .
- قال أبو اليَقْظَانِ : كان عبد العزى بن عبد المَطَّابِ يَشْتَكِي عَيْنَهُ وهو مطْرِيقٌ أبداً ، وكان يقول : مَا يَعْنِي بَأْسٌ ، ولكن كان أنْحَى الحارث إذا أَشْتَكَتْ عَيْنُهُ يقول : أَكَلُوا عَيْنَ عبد العزى معي فَيَأْمُرُ من يَكْحَلْنِي معه لِيَرْضِيَهُ بِذَلِكَ فَأَمْرَضَ عَيْنِي .
- قال ابن أحر حِينَ شَفِيَ بَطْنُهُ :
- شَرِبْتُ الشُّكَاغِيَّ ^(٦) وَالتَّدَدْتُ ^(٧) أَلْدَّةً * وَأَقْبَلْتُ ^(٨) أَفْوَاهَ العُرُوقِ المَكَاوِيَا
- شَرِبْنَا وَدَاوَيْنَا وَمَا كَانَ ضَارِنَا * إِذَا اللَّهُ حَمَّ المَرْءَ أَنْ لَا تَدَاوِيَا ^(٩)
- وفي الحديث : « دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَحَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَاسْتَقْبَلُوا أَنْوَاعَ البَلَايَا بِالدَّعَاءِ » .

- (١) التكلة عن أسد الغابة . (٢) المشى : الإسهال ودراثره المَشْيُ وهو المسهل .
- (٣) في الأصل : « أم » . (٤) هو أبو لُحَب . (٥) لعل الفاعل « أبي » أو نحوه ممن له ولاية الأمر عليه . (٦) الشكاغى : من دق النبات وهي دقيقة العيدان صغيرة خضراء يتدارى بها الناس . قال سيبويه : هو واحد وجمع ، وقال غيره : الواحدة منها شكاغة . والتددت ألدّة من قرحهم التدد الرجل إذا ابتلع اللدود وهو ماسق في أحد شقي الفم ، جمعه ألدّة . (٧) أقبل المكواة الداء : جعلها قبائلته . (٨) كذا في الشعر والشعراء ص ٢٠٨ وفي الأصل : « لما » . (٩) في الجامع الصغير : « واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع » .

الحَدَّثُ والحُقْنَةُ والتَّخْمَةُ

عن وَهْبٍ قَالَ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ : إِنْ طَوَّلَ الْجُلُوسُ عَلَى الْخِلَاءِ يَرْفَعُ الْحَرَارَةُ إِلَى الرَّأْسِ ، وَيُورِثُ الْبَاسُورَ وَيَجْمَعُ^(١) لَهُ الْكَبِدَ ، فَأَجْلِسْ هُوَيْنً وَهَوَيْنً . فَمَكَتَبْتُ حِكْمَتَهُ عَلَى بَابِ الْحَشِّ^(٢) .

وكان يقال : إِذَا نَجَرَ الطَّعَامُ قَبْلَ سِتِّ سَاعَاتٍ فَهُوَ مَكْرُوهٌ ، وَإِذَا بَقِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً فَهُوَ مَرَضٌ .

وكان أَبُو ذُفَّافَةَ الْبَاهِلِيُّ أَشْتَكَى ، فَأشار عَلَيْهِ الْأَطْبَاءُ بِالْحُقْنَةِ فَأَمْتَنَعَ ، فَأَنْشَأَ أَعْرَابِيٌّ يَقُولُ :

لَقَدْ سَرَّنِي — وَاللَّهُ وَقَّاكَ شَرَّهَا — * نِفَارُكَ مِنْهَا إِذْ أَتَاكَ يَقْوَدُهَا
كَفَى سَوْءَةً أَلَّا تَزَالَ مُجَبِّيًا^(٣) * عَلَى شَكْوَةٍ^(٤) وَقَرَاءَ فِي آسِتِكَ عُوْدُهَا^(٥)

وَأشارُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِالْحُقْنَةِ فَتَفَحَّشَهَا ، فَقَالُوا : إِنَّمَا يَتَوَلَّاهَا مِنْكَ الطَّيِّبُ ، فَقَالَ : أَنَا بِالصَّاحِبِ آئِسٌ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : سَأَلَ الْحَجَّاجُ جَلَسَاءَهُ : مَا أَذْهَبَ الْأَشْيَاءَ لِلْإِعْيَاءِ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَكَلَ التَّمْرَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْحَمَامُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : التَّمْرِيخُ^(٥) .

وَقَالَ قَيْرُوزٌ : أَذْهَبَ الْأَشْيَاءَ لِلْإِعْيَاءِ قَضَاءُ الْحَاجَةِ .

(١) تَجْمَعُ مِنْ وَجَعٍ يُوْجَعُ (بِقَلْبِ الرَّوَايَةِ) إِذَا مَرَضَ وَتَأَلَّمَ . (٢) الْحَشِّ : الْبَسْتَانُ

وَقِيلَ : النَّخْلُ الْمُجْتَمِعُ ، وَيَكْنَى بِهِ عَنْ بَيْتِ الْخِلَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمُ التَّغَوُّطُ فِي الْبَسَاتِينِ .

(٣) مُجَبِّيًا : مُنْكَأً عَلَى وَجْهِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ : « مُجَبِّيًا » . (٤) الشَّكْوَةُ : وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ .

وَوَفْرَاءُ : مَلَايَ . (٥) التَّمْرِيخُ : التَّدْهِينُ .

وحدثني بعض الأطباء أن رجلاً شرب خبث الحديد المعجون فبقي في جوفه ،
فأشتد عليه وجعه ؛ فسيحقت له قطعة من المغناطيس وسقي إياه ، فتعلق بالخبث
ونخرج مع الغائط .

قال : وقال تياذوق طيب الحجاج للحجاج : إن اللحم على اللحم يقتل السباع^(١)
في البرية . ثم قال لي جعفر : قالت جارية لنا : كان لي ظبي فمربعين قد هيئ^٥
للشكخان^(٢) ، فأكل منه فحفس — والحفس : الحبط وانتفاخ البطن — فسليخ^(٣)
فوجد قد شرق بالدم . وقال يونس (طيب لنا) : هكذا يصاب الإنسان
إذا لبس .

الأصمعي : قال بعض الأعراب : اللهم إني أسألك ميتة كميتة أبي خارجة ، أكل^(٤)
بدجاً^(٥) ، وشرب معسلاً^(٥) ، ونام في الشمس ، فلقى الله شبعان ريان دفان . ١٠
وقال آخر من الأعراب : اللهم أجعل التخممة دائي وداء عيالي .
قال ابن شهاب مولى بني أسد : من بال ولم يضطر كئبت أسته من الكاظمين
الغيظ .

(١) في الأصل « دياذوق » وقد صححناه فيما مر . أنظر صفحة ٢٧٠ حاشية رقم ١

(٢) الشكخان كلمة فارسية ؛ ومعناها : الخبز الجاف ؛ أروى ضرب من الحلوى . ١٥

(٣) في الأصل : « يصيب » . (٤) البدج : الحمل . (٥) المعسل :

شراب معمول بالعسل ، ومنه قول الشاعر :

إذا أخذت مسواكها منحت به * رضاها كطعم الزنجبيل المعسل

باب القيء

عن جعفر بن سليمان أنه قال لإنسان أكل يقيء إذا أكل : لا تفعل ، فإن المعدة تضيق إلى القيء كما تضيق الدابة إلى العلف ، فلا ينضج الطعام .

وأخذ مزبد شاربا فاستنكهه ، فأثني به الوالي فاستنكهوه ، فقالوا نكتهه لا تنبي عنه ، قال مزبد : إن لم أقيء نبيذا فمن يضمن لي عشاء .

رأى الجمال يأكل فليل له : ما تأكل ؟ قال : قيء كلب في خنزير .

النكهة

سئل تياذوق عن البخر فقال : دواءه الزبيب يعجن بسعتر ثم يؤكل أسبوعين أو ثلاثة . بخرب فذهب .

وتقول الروم في الكرفس : إنه يطيب الفم ويذهب البخر ، ويحتاج إلى أكله من يشاهد السلطان ومحافل الناس وكان أكثر كلامه السرار .

قالت الأطباء : الجوز المشوي والخبز المقلوب بالزيت أو بالسمن إذا مضغ ورعى بثقله قاطع لرائحة البصل من الفم . والفوم إن أكله آكل فأحب أن يقطع رائحته مضغ ورق الزيتون الطري وتمضمض بعده بالخل .

(١) في الأصل : « ليق » . (٢) تضفر : تثب . (٣) استنكهه : شم ريح

فه ، وأمره أن ينكه ليعلم أشارب هو أم غير شارب . (٤) في الأصل : « قالوا » .

(٥) القحف : ما انفلق من الجمجمة فبان أي انفصل ، ولا يدعى خفا حتى يبين أو ينكسر منه شيء .

(٦) السعتر : نبت طيب الرائحة حريف زهره أبيض إلى الغيرة . (٧) السرار : المسارة .

(٨) الثفل : ما سفل من كل شيء وهو خثارة . (٩) الفوم : الثوم .

(١) والسعد قاطع لرائحة النبيذ من الفم . وحَبَّ الأثرَج مطيب للنكهة . والبخر لا يكاد يكون في الملاحين لأكلهم الملاح .

وقرأت في الآيين : أن رئيس الحرم أمر جوارى الملك ألا يأكلن الثوم والبصل والكراث واللفاح^(٢) والحمص الرطب والمشمش ؛ فإنه يؤرث البخر .

باب المياه والأشربة

قالت الأطباء : معرفة خفة الماء بأن يكون سريع الغليان ويكون سريع البرد . وأحمد المياه ما كان قبالة المشرق ومجره مجرى الشمال ومروءه على الطين الأحمر وعلى الرمل . قالوا : ومما يصفى من الماء الكدر فيصفو سريعاً أن يلقي فيه قطع من خشب الساج^(٤) أو قطع من أجرجديد .

قال بعض المحدثين :

يمنع أمه بالشمال * وماؤها البارد الزلال

(٥) يصيح فيها وقايتونا * يجري به الثلج في مثال

(١) السعد نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة . وفي الأصل : «السعد» .

(٢) في الأصل : « لأكلهم الملاحين » ولم نجد له معنى مناسباً ، فلعلها محزنة عما أثبتناه . والملاح :

ضرب من نبات الحمض أو حمضة مثل القلام فيه حمرة . (٣) اللفاح : نبات يقطيني

أصفر شبيه بالبادنجان . (٤) الساج : شجرة عظم جداً لا ينبت إلا ببلاد الهند ، وخشبها أسود

رزين لا تكاد الأرض تبليه . (٥) كذا بالأصل ، ولم نعر على هذين البيتين ولم نوفق

إلى تصويريهما .

وقال صاحب الفلاحة : من أراد أن يعذب له الماء الزعاق^(١) جعله في قدر جديدة من نحرف وغطى فاها بأسحال^(٢) ثم أوقد تحتها حتى تغلي ويحصل فيها نصف ذلك الماء ثم صفاه وتركه ، فانه يجده شروباً^(٣) .

وقالوا : ماء دجلة يقطع شهوة الرجال ويذهب بصهيل الخيل ونشاطها ، ومن لم يأكل اللحم عليه أنحل عظمه وييس جلدّه ، وهو مع هذا أهضم للطعام من غيره من المياه وأسرعها برداً .

قال : والنيل يستقبل الشمال وينضب في وقت زيادة الأودية ويزيد في وقت نقصانها . وزيادة أوله وآخره معها ، ولا تكون التماسيح إلا فيه ، قال الشاعر :

أضمرت للنيل هجراناً ومقلية * إذ قيل لي إنما التماسيح في النيل
فمن رأى النيل رأى العين من كسب * فما أرى النيل إلا في البواقيـل^(٤)
والسنة تنقور أيضاً لا يخرج إلا منه^(٥) .

- (١) الزعاق : المر الغليظ . (٢) أسحال : جمع سحل وهو الخرقعة البيضاء . وفي الأصل : «سحال» ولم يرد هذا في جمع سحل وإنما جمعه أسحال وسحول وسحل . (٣) الشروب : الماء دون العذب يصلح للشرب مع بعض كراهة . (٤) البواقيـل — كما في معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوروبا) — : كيزان يشرب منها أهل مصر . وقد روى في شفاء الغليل وزهر الآداب (ج ٢ ص ١٨٠ طبع المطبعة الرحمانية) : «البراقيل» بالراء وفسره الخفاجي بأنه جمع برقال وقال إنه كوز من الزجاج . ولم نجد هذين البيتين في ديوان أبي نواس وهو الذي نسب له البيتان . (٥) السنة تنقور كما في خطط المقرئ (ج ١ ص ٦٦) : صنف يتوالد من السمك والتمساح فلا يشأ كل السمك لأن له يدين ورجلين ، ولا يشأ كل التماسيح لأن ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس ، وذنب التماسيح سخيف مضرس . وذكره ابن البيطار فقال : هو شديد الشبه بالورل يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها وهو مما يسعى في البر ويدخل في الماء — يعني النيل — ولهذا قيل له الورل المسائي لشبهه به ولدخوله في الماء .

وروى في الحديث عن الضحاك بن مزاحم أنه قال قَذَفَ الْفُرَاتُ فِي الْمَدِّ رُمَانَهُ^(١)
كَأَنَّهَا الْبَعِيرُ الْبَارِكُ ، وَتَحَدَّثَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهَا مِنَ الْجَنَّةِ .

وقال ابن ما سويه : يَنْبَغِي لِلنَّاسِ الْغَلِيظِ الَّذِي لَيْسَ يَعْذِبُ أَنْ يُطْبَخَ حَتَّى
يَذْهَبَ مِنْهُ نِصْفُهُ ، ثُمَّ يُطْرَحَ فِيهِ السَّيُوقُ أَوْ الطِّينُ الْأَحْمَرُ فَإِنَّهُ يَلْطَفُهُ وَيُذْهِبُ غَائِلَتَهُ
وَيُعْذِبُهُ وَيَمْنَعُ كَدْرَهُ . ٥

قالت الأطباء : الْفُقَّاعُ^(٢) الْمَتَّخَذُ مِنْ دَقِيقِ الشَّعِيرِ نَافِعٌ مِنَ الْجُدَامِ . وَالْجَلَّابُ^(٣)
قَاطِعٌ لِكَثْرَةِ دَمِ الْحَيْضِ ، . وَالسَّكَنْجَبِينَ^(٤) نَافِعٌ مِنَ الذُّبْحَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ حَرَارَةٍ ،
يُشْرَبُ وَيَتَغَرَّغَرُّ بِهِ .

باب اللَّحْمِ وَمَا شَا كُلُّهَا

قالت الأطباء : لَحْمُ الْمَاعِزِ يُورِثُ الْهَمَّ ، وَيُجَزِّقُ السُّودَاءَ ، وَيُورِثُ النِّسيَانَ ،
وَيُجَبِّلُ الْأَوْلَادَ ، وَيُفْسِدُ الدَّمَ ، وَهُوَ ضَارٌّ لِمَنْ سَكَنَ الْبِلَادَ الْبَارِدَةَ . وَأَحْمَدُ اللَّحْمَانِ
مَا خِصِيَ مِنَ الْمَعَزِ . وَالضَّأْنُ نَافِعٌ مِنَ الْمِرَّةِ^(٥) السُّودَاءِ ، إِلَّا أَنْ الْمُرُورِينَ الَّذِينَ يُصْرَعُونَ ،
إِذَا أَكَلُوا لَحْمَ الضَّأْنِ أَشْتَدَّ بِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى يُصْرَعُوا فِي غَيْرِ أَوَانِ الصَّرْعِ . وَأَوَانُ الصَّرْعِ
الْأَهْلَةُ وَأَنْصَافُ الشُّهُورِ .

(١) في معجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٨٦١) : « وما يروى عن السدي ، والله أعلم بحقه من باطله ،
قال : مدَّ الفرات في زمن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فألقى رمانة قطعت الجسر من عظمها ، فأخذت
فكان فيها كرم حب ، فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وكانوا يرونها من الجنة . وهذا باطل لأن فواكه الجنة
لم توجد في الدنيا . ولولم أر هذا الخبر في عدة مواضع من كتب العلماء ما استجزت كتابته » اهـ .

(٢) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير ، سمي بذلك لما يعلوه من الزبد . (٣) الجلاب : باللام
مشددة ومخففة : الغسل أو السكر ، عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد . (٤) السكنجبين : شراب من
خل وعسل ، ويراد به كل حلوى حامض . (٥) المِرَّةُ السوداء : خلط من أخلاط البدن . ٢٠

(١) قال الشاعر :

كَانَ الْقَوْمَ عَشُّوا لَحْمَ ضِيَانٍ * فَهُمْ نَعْمَجُونَ قَدْ مَالَتْ طُلَاهِمُ
قَالُوا : وَاللَّهِ أَقَلَّ الطَّعَامَ تَجْجُوا . وَلَحْمَ الدَّجَاجِ الْهَرِمِ شَرُّ اللَّحْمَانِ وَأَغْلَظُهَا .
وَالْبَيْضُ إِنْ سَاقَ بِالنَّحْلِ ثُمَّ أَكِلَ بِالسَّاقِ وَحَبُّ الرَّمَانِ الْمُفَلَّقِ وَالْمَلْحُ وَالْمُرِّيُّ
عَقْلُ الطَّبِيعَةِ .

وَالزُّبْدُ إِنْ طُبِيَ عَلَى مَنَابِتِ أَسْنَانِ الْبَطْلِ كَانَ مُعِينًا عَلَى نَبَاتِهَا وَطَلُوعِهَا ، وَالْمَخُ
وَالدَّمَاعُ يَفْعَلَانِ ذَلِكَ .

مَضَارُّ الْأَطْعَمَةِ وَمَنَافِعُهَا

الْكَمَاةُ وَالْفُطْرُ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ
وَهُمْ يَذْكُرُونَ الْكَمَاةَ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ جُدْرِي الْأَرْضِ ، فَقَالَ : « الْكَمَاةُ مِنَ الْمَنِّ
وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ وَالْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السَّقَمِ » .

- (١) هو غيلان بن عقبة العدوي المعروف بذي الرمة . (٢) كذا في اللسان (مادة نعيم) ،
ونعجون : ثقل أكل لحم الضأن على قلوبهم ، يريد أنهم قد اتخموا من كثرة أكلهم الدسم فالت طلاهم
(أعناقهم) ، وفي الأصل « بعجون » بالياء الموحدة وهو تحريف . (٣) النجو : ما يخرج
من البطن من ريج أو غائط . (٤) الساق : (بالتشديد) من شجر القفاف والجبال وله ثمرة حامض
عناقيد فيها حب صغار يطبخ ، وهو شديد الحرارة . (٥) المرى : يعمل عمل الملح إلا أنه أقوى منه
وأطف . وفي مفردات ابن البيطار : « وليس يوافق البيض وخاصة المسلوق منه أصحاب المعدة الضعيفة
فإن اضطر إلى إدمان أكله فليؤكل بالملح والغفل والمرى » . وفي الأصل : « والملح المشوي » وهو تحريف .
(٦) الكم : نبات مستدير كالقنقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه إلى الغبرة والسواد ، يوجد في الربيع
تحت الأرض . وهو عديم الطعم وأنواعه كثيرة يؤكل نيئاً ومطبوخاً . (٧) الفطر : ضرب من
الكمأة قتال . (٨) شبهت الكمأة بالجدري ، وهو الحب الذي يظهر في جسد الصبي ، لظهورها
من بطن الأرض كما يظهر الجدري من باطن الجلد ، ويراد بذلك ذمها (انظر النهاية لابن الأثير) .
(٩) معنى الحديث أن الكمأة شيء أباه الله من غير سعي ولا مؤونة من أحد ، وهو بمنزلة المني الذي كان
ينزل على بني إسرائيل .

الأصمعي عن بعض مشايخه قال : ثلاثة أشياء رُبَّمَا صرَّعت أهل البيت عن
آحرهم : الجرادُ ، ولحوم الإبل ، والفُطْر .

وتقول الأطباء : إنَّ أَرْدَا الفُطْرِ ما نَبَت تحت ظلال الشجر ، وأردأه كَلَّه ما كان
في ظل شجر الزيتون فإنه قتال .

قالوا : والكُكَّرَى إذا طُبِّخ مع الفُطْر أذهب ضرره .

قالوا : والفُطْر يُورث الذُّبْحَةَ^(١) .

قدم أعرابيُّ المِصْرَ فأكل فُطْرًا ، فأصابته ذُبْحَةٌ ، فقليل له : إن الطبيب بعث
أن يُحَلَّب في فيك ، فقال : ما زلت أسمع بالثَّيم الرَّاضِع ولا والله لا أكونه ، قالوا :
فتموت إذا ، قال : وإن متُّ .

وتقول الأطباء : إنَّ أكل آكل الفُطْر فأضرَّ به ، سَقَى الكُرْبَ المعصورَ وسَقَى
من نُحْر الدَّجَاج وزن درهمين مع خَلٍّ وعسلٍ مطبوخٍ وقِيَّ به .

قالوا : والكَمَّاءُ تُورث وجع القُولنج والسَّكَنَةِ والفَالِجَ ووجع المِعْدَةِ .

قالوا : والذباب لا يَقْرَب قَدْرًا فيه كَمَاءٌ .

ومن أراد اتَّخَذَ الكَمَاءَ اليَابِسَةَ جِوَاهَا في الطين الحُرَّ يومًا وليلةً ثم غسلها
وَأَسْتَعْمَلَهَا .

بلغني عن فَيٍّ من أهل الكتاب أنه قال : كنا في طريق مَكَّةَ بالْحَزِيمِيَّةِ^(٤) ، فَأَتَانَا
أَعْرَابِيٌّ بِكَمَاءٍ فِي كِسَاءٍ قَدْرَ مَا أَطَاقَ ، فَقُلْنَا : بِكَمْ الكَمَاءُ ؟ قال : بِدَرَاهِمِينَ ،

(١) الذبحة : داء يأخذ في الحلق وربما قتل . (٢) سيد كرام المؤلف أنه الذي يرضع الحلب

فلا يحلبه في الأثناء لئلا يسمع صوت الحلب ، وقال بعضهم : لئلا يضيع من اللبن شيء .

(٣) القولنج : مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الفضل والريح ، والقالج : الشلل .

(٤) الحزيمية : منزل من منازل الحاج بمد الثعلبية بالكوفة وقبل الأجر ، وقال قوم : بينه وبين الثعلبية

أثنان وثلاثون ميلاً ، وقيل : إنه : " الحزيمية " بالخاء المهملة .

فأشتريناها منه وودعنا الثمن إليه ، فلما نهض قال له بعضنا : « في أسيت المغبون ^(١) عود » يا قال : بل عودان ، وضرب الأرض برجله ، فاذا نحن على الكفاة .

قال بعض الشعراء :

جَنَّتْهَا تَمَلًّا كَفَّ الْخَانِي * سَوْدَاءَ تَمَّا قَدْ سَقَى السَّوَانِي ^(٢)
* كَانَهَا مَدَهُونَةً بِالْبَانِ ^(٣) *

وهذه صفة أجود الكفاة وأقلها أذى .

البصل والثوم

دخل داخل على نصر بن سيار وحوله بنون له صغار ، فقال : هل تدرون ما ولدى هؤلاء ؟ هؤلاء بنو البصل ، وكان يأكله نيئاً ومشوياً ومطبوخاً .

والأطباء تقول في البصل : إنه يشهى الى الطعام إن أُكِلَ مشوياً أو نيئاً ، ويشهى الى الجماع . وإن دُقَّ وشُمَّ عطس وشهى الطعام . وإن أكتحل بمائه مع العسل جلا البصر . وإن وُضِعَ مع الملح والسذاب ^(٤) على عضة الكلب الذى ليس بكليب نفع . والإكثار منه يفسد العقل . والمسبوق منه يدر البول والدمعة .

- (١) مثل يضرب لمن غبن . (٢) السواني : جمع سانية وهى ما يسقى عليه الزرع والحيوان من بعير وغيره . (٣) البان : شجر يسمو ويطول فى استواء مثل نبات الأثل ، ورقه هذب كهذب الأثل ، وخشبه خوار رخو خفيف ، وقضبانة سمجة خضرة ، وهذبه ينبت فى القصب ، وهو طويل أخضر شديد الخضرة ، وثمرته تشبه قرون اللوبيا إلا أن خضرتها شديدة وفيها حبسه ، وإذا انتهى انفتح وانتثر ، حبه أبيض أغبر مثل الفستق ومنه يستخرج دهن البان . (راجع مفردات ابن البيطار) . (٤) السذاب : بقل يفرع فروعا تطلع من ساق له قصيرة تتشعب عليه شعب مثل الأغصان ، ويحمل فى أطراف أغصانه رؤسا تتفتح عن ورد صغار الورق أصفر ، وإذا انتثر سقط منه الحب ، وله طبائع وخواص منه كورة فى كتب الطب .

العصافير إن أكلت بالزنجبيل والبصل هيّجت شهوة الجماع وأكثر
المنى .

عن طارق بن شهاب قال : بعث سليمان النبي عليه السلام بعض عفاريتيه
وبعث معه رجلاً وقال : رُدّه إلىّ وأنظر إلى صنيعة . فمَرَّ على أهل بيت يكون
فضحك ؛ ودخل إلى السوق ونظر إلى الناس فرفع رأسه إلى السماء وهَزَّه ، ونظر
إلى الثوم وهو يُكَال [كِلا] والفلفل [وهو] يُوزَن وزناً ، فضحك . فلما رَدّه إلى
سليمان عليه السلام وأخبره بما جرى منه ، قال : لِمَ ضَحِكْتَ من أهل البيت ؟
ولِمَ هَزَزْتَ رأسك حين نظرت إلى السوق ؟ ولمَ ضَحِكْتَ من الثوم والفلفل ؟
قال : أمّا أهل البيت فإن الله أدخل ميثم الجنة وهم يكون عليه ؛ ونظرت إلى
الناس في السوق والملائكة من فوق رؤوسهم ، والناس يُملُّون والملائكة سُرَاعاً يكتبون ،
فهَزَزْتُ رأسي ؛ ونظرت إلى الثوم وهو شِفَاء يُكَال كِلا ، وإلى الفلفل وهو داء يُوزَن
وزناً . وعن وهب : أن سليمان عليه السلام قال : مِم كُنْتَ تَضْحَك ؟ قال إني مررت
برجل يشتري خُفَّين ويقول لصاحبهما : شَرِطِي عليك أن ألبسهما عشر سنين
لا يتخرقان ؛ فَعَجِبْتُ كيف شَرَطَ أمله ونسي أجله . ومررت بعجوز دُهرية ^(٢) تتكهن
وتُخبر الناس بما لا يعلمون ، والذي سَخَّرَ لك الريح وأذل لك الحنّ وعبدك الشياطين ،
إني لأعلم في بيتها تحت فراشها مطمورة ^(٣) فيها قناطير من ذهب وفضة وهي لا تدرى
ما تحتها ، وقد ماتت هزلاً وجوعاً وحاجة . ومررت بأخرى دُهرية ^(٤) تتطبَّب وكان بها

(١) في قصص الأنبياء (ص ٢٤٣ طبع بولاق) : «أن سليمان عليه السلام دعا صخرًا الجنّي لنحت
الجواهر من غير تصويت ، فأقبل مسرعاً مع الرسل حتى دخل على سليمان ، فسأل سليمان رساله عما أحدث
صخر في طريقه ، فقالوا : يا نبي الله إنه كان يضحك في بعض الأحيان من الناس ، فقال له سليمان ... الخ»
وقد ورد في الحكاية تقديم وتأخير مع اختلاف في بعض الألفاظ . (٢) الدهرية (بضم الدال) : هي التي
أتى عليها الدهر وطال عمرها . (٣) المطمورة : الحفيرة تحت الأرض . (٤) الهزل : الضعف .

مرة داء، فأكلت البصل فمما دفت منه برءاً، فظننت أنه حسم داءها وشفأها، فهي تصفه للناس من كل داء، وقد كانت في ظهرها ريح حبست^(١) منذ زمان فأكلت الثوم أحداً وعشرين يوماً فشفيت منه؛ فعجبت لها كيف تدع أن تصفه. ومررت برجل على شاطئ نهر يستقي منه في قلة له ومعه بغلة، فلما سقى البغلة ملأ القلة وربط البغلة بأذن القلة وذهب لبعض حاجته، فنفرت البغلة وكسرت القلة؛ بفعل يلعن الشيطان، وبرأ عقله ونسي فعله. ومررت بقوم يذكرون الله فاجتمعوا ونصبوا وآتاهوا، فلما أظلت الرحمة مل رجل منهم فقام، وجاء آخر لم ينصب معهم فجلس بجاسه، فزات الرحمة فدخل فيها معهم وحرمتها الأول؛ فعجبت من سعادة هذا وشقاوة هذا.

وتقول الأطباء: إن الثوم إذا شوي بالنار ووضع على الضرس المأكول ودلكت به الأسنان التي يعرض فيها^(٢) الوجع من الرطوبة والريح، أذهب ما فيها بإذن الله من الوجع.

قال: وهو ينفع من العطش الحادث من البلغم، ويقوم مقام الترياق في أسع الهوام، والأمراض الباردة.

وتقول الروم في الثوم: إنه دواء لمن أصابه وجع السقي^(٣) في بطنه. وإن أكله من ظهر^(٤) فيه حرة من شرى^(٥) أو غيره أبرأه. وإن دق الثوم يابساً فأغلى بسمن وابن ثم جعله من يشتكى ضرسه في فيه سخناً فأمسكه ساعة، ذهب وجع ضرسه؛ وهو نافع لمن آجتوى^(٦).

(١) وردت هذه الجملة في الأصل مخترقة هكذا: «جهازمان».

(٢) يعرض: يظهر.

(٣) السقي: ماء أصفر يقع في البطن وهو المعروف في الطب بالاستسقاء أو الصفار. وفي الأصل: «السقيا».

(٤) زيادة يقتضيا السياق.

(٥) الشرى: بثور بعضها صفار وبعضها كجار حكاكة مكربة مائلة إلى الحرة مائية.

(٦) آجتوى بالجيم: من الجوى وهو داء السل أو داء يأخذ في الصدر أو هو كل داء يأخذ في الباطن لا يستمر معه الطعام.

الكراث

قالت الأطباء : الكُرَّاث النَّبَطِيُّ إذا أُدْمِنَ كانت فيه أحلامٌ رديئةٌ ، وولدٌ بُخَّارًا في الرأس رديئًا . وإن صُبَّ في مائه خلٌّ ودُقَّاقٌ كُنْدَرٌ^(١) وأسْتَعِطَ به سَكَنَ الصَّدَاعَ . وإن سُلِقَ أو طُحِنَ وأُكِلَ أو صُمِدَ به البواسيرُ العارضةُ من الرطوبة نفع منها .

وماء الكُرَّاث إذا خُلِطَ بمثله من ألبان النساء ودُهْنِ الوردِ والكُنْدَرِ وتُحَلَّ به عينٌ من أصابته غشاوةٌ في عينه فلم يُبْصِرْ ليلاً نفعه . وأكل البصل نافعٌ لذلك أيضا .

الكُرْبُ والقَنْبِيط

قالوا : الكُرْبُ مُعِينٌ على الإِكْثَارِ من النَبِيذِ إذا أُكِلَ ، وهو مُدِرٌّ للبول . وقالت الروم : بين الكُرْبِ والكَرْمِ عداوةٌ^(٢) ، ولا يكاد يَصْلُحُ الكَرْمُ والكُرْبُ إذا تجاوزا . قالت الأطباء : إن آحتملت [المرأة]^(٣) يَزُرُّ الكُرْبُ بعد الحيض أسهلَ المَنِيِّ وأفسده ولم يكن معه حملٌ ، وشربُ مائه مع الشَّيْبِ الأَرْمَنِ غير المطبوخ أو ماء التُّرْمُسِ المُنْقَعِ مُخْرِجٌ لِحَبِّ القَرَعِ^(٤) من البطن . والقُسْطُ أيضا خاصَّةٌ يَزُرُّه يَفْسِدُ المَنِيُّ إذا آحتملته المرأة بعد طُهرِها ، ومقدار ما يُحْتَمَلُ وزنُ درهمين .

وتقول الروم : الكُرْبُ إن طُبِخَ وخُلِطَ مائه بالْحَنْدَقُوقِ^(٥) وسُقِيَ المرأة التي تأخر حيضها حاضت حينها .

(١) الكندر : ضرب من العلك وهو اللبان الذكر .

(٢) زيادة يقتضيهما السياق . (٣) حب القرع : اسم دود يكون في البطن .

(٤) ابن البيطار ج ١ ص ١٥١ . (٥) القسط : عود هندي يتداوى به . (٥) الحندقوق :

بقلة وحشيشة كالفت الرطب (شجر ينبت في السمول والآكام وله حب كالحمص) وقيل هو الهبيد ، والهبيد :

الحنظل ، نبطي معرب ويقال لها بالعربية : الذرق .

قالوا : وإذا خلط ماء الكُرْب بالبنج^(١) كان نافعا للسعال .

قال أبو محمد : شكوت إلى حنين الطيب علة كنت أجدّها في حلق لا أكاد أبتلع معها ريق ؛ فقال : هي بيّنة في عينك . فتغرّغر بعقيد العنب مع خمير ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث مرات ؛ ففعلت ذلك يوما واحدا فذهب .

قالوا : وإذا دقّ الكُرْب وخالط به شيء من زاج الأسا كفة وشيء من خل ، فأوجف ذلك بالخطمي^(٣) ، ثم طلى به برص أو جرب نفع باذن الله تعالى .^(٤)

السلمج^(٥) والفجل

تقول الأطباء في الفجل : إنه مهيج للجماع زائد في المني ، ويزرّه نافع من السموم قالوا : والفجل هاضم للطعام ، فإن أكل زرّه بعسل كان دواء من السعال والفواق ؛ وإذا شديخت قطعة بخل فطرحت على عقرب ماتت ؛ وماؤه ويزرّه للسموم بمنزلة الترياق . وإذا طلى أحد يده بهائه ثم قبض على حية أو غيرها من الهوام لم يضار ذلك

(١) البنج : هو الشكران بالعربية ، وهو نبت له قضبان غلاظ وورق عراض صالحة الطول مشققة الأطراف إلى السواد ، عليها زغب وعلى القضبان ثمريه بالجللار ملوّه بزر شبيه بزر الخشخاش (ابن البيطار ج ١ ص ١١٧) .

(٢) الزاج : الشب اليماني ، وجاء في مفردات ابن البيطار أن الزاج العراقي هو المعروف بزاج الأسا كفة . (٣) أوجف : حرك . (٤) في الأصل كالخطمي . والخطمي نبات ينفع الأمراض الصدرية . (٥) السلمج : يلاحظ هنا أنه لم يتكلم عنه في هذا الباب من هذا الكتاب ، وربما كان ذلك عن نقص في النسخ . ونحن ننقل هنا باختصار ما قيل عنه في كتاب الجامع لابن البيطار إتماما للفائدة قال : السلمج ، وقد تعجم سيته ، هو اللفت . ويزر هذا النبات مهيج شهوة الجماع لأنه يولد رياحا نافعة ، وأصله نانغ عسر الانهضام ويزيد في المني ، وقلوب ورقه تؤكل مطبوخة فتدبر البول ، ويزرّه يستعمل في أخلاط بعض الأدوية المعجونة النافعة من لسع ذوات السموم ، وإذا عمل السلمج بالماء والملح كان أقل لغذائه إذا أكل ، غير أنه يحرك شهوة الطعام . (٦) كذا في مفردات ابن البيطار . وفي الأصل « وإذا شدح والرطب فطرح » وهو تحريف .

الموضع . قالوا : وإن دُقَّ بزُرهِ مع الكُنْدُرِ وطلي به البَهَقُ الأسودُ في الحمامِ أذهبهُ .
وإن شُرِبَ ماءٌ ورَّقِه نَفَعَ من الأَرْقَانِ ^(١) الحَادِثِ من الطَّحَالِ .

البَاذِنْجَان

قالوا : والبَاذِنْجَانُ مِكْلَفٌ ^(٢) للوجه يُورِثُ دَاءَ السَّرَطَانِ والأورَامِ الصُّلْبَةِ . وحدثني
أبي عن أبي الحَارِثِ جُحَيَّرٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ فِي البَاذِنْجَانِ : لَا تَأْكُلْهُ ، لَوْنُ العَقْرَبِ
وَشَبَهُ المِحْجَمَةِ ^(٣) . قِيلَ لَهُ : فَقَدْ رَأَيْتُكَ تَأْكُلُهُ عَلَى يَخْوَانِ فَلَايَ ! قَالَ : كَانَ مَيْتَةً وَأَنَا
مُضْطَّرٌّ .

الخِيَارُ والقِثَاءُ

قالوا : شَمَّ الخِيَارِ نَافِعٌ لِمَنْ أَصَابَهُ الغَشْيُ ^(٤) من الحَرَارَةِ . وَيَزُرُّ القِثَاءُ إِذَا شَرِبَهُ
مَنْ بِهِ حُمَّى الأَسَى ^(٥) نَفَعَهُ . وَإِنْ أَصَابَتْ رَضِيْعًا حُمَّى فَأَلْزَقَتْ بِهِ خِيَارَتَيْنِ تَمَسَّانِ جِلْدَهُ
إِحْدَاهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْأُخْرَى عَنْ شِمَالِهِ ، أَقْلَعَتِ الحُمَّى عَنْهُ .

السَّلَقُ

قالوا : والسَّلَقُ إِنْ دُقَّ مَعَ أَصْلِهِ وَعُصِرَ مَائُهُ وَغُسِلَ بِهِ الرَّأْسُ ذَهَبَ بِالأَثَرَةِ
وَأَطَالَ الشَّعْرَ .

١٥ (١) الأَرْقَانُ : لَفْظٌ فِي الْيَرْقَانِ وَهُوَ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ وَشَرْحِهِ ، دَاءٌ يَصِيبُ النَّاسَ يَصْفُرُّ مِنْهُ
الجَسَدُ ، وَفِي الْأَصْلِ « الْأَرْقَالُ » بِاللَّامِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٢) مِكْلَفٌ : مُغِيرٌ لِلْوَجْهِ بِحُمْرَةِ كَدْرَةِ
تَعْلُوهُ تَسْمَى الْكَلْفُ وَتَعْرِفُ بِالنَّمَشِ . (٣) المِحْجَمَةُ : قَارُورَةُ الْحِجَامِ .
(٤) الغَشْيُ بِالْفَتْحِ وَيُضَمُّ : تَعَطُّلُ أَكْثَرِ الْقُوَى الْمُحَرَّكَةِ وَالْحَسَاسَةِ لضعف القلب من الجوع أو الوبس .
(٥) كَذَا بِالْأَصْلِ . وَلَعَلَّهُ « الْأَسْرُ » وَهُوَ احْتِبَاسُ الْبُولِ .

(١) الهليون

قالوا : والهليون مُدِرٌّ للبول ، نافع من القولنج .

القرع

قالوا : إذا شوى القرع بالنار ثم عَصِرَ بِخُفْلٍ من مائه في أُذُنٍ من آسْتَكَى أَذُنُهُ نفعه . وإن دُهِنَتْ منابت شعر اللحية بدهن القرع المُرِّ ، وقِثَاءِ الحِمَارِ مُذَابًا فِيهِ شَيْخٌ أَرْمَنِيٌّ أَسْرَعَ فِيهَا نَبَاتُ الشَّعْرِ .

البقول

قالوا : والجرجير زائد في الباه والإنعاض مُدِرٌّ للبول . وتذكر الروم أن من أكل الجرجير ثم ضُرِبَ بالسيّاط هَوَّنَ عَلَيْهِ بعض ذلك الجَلْدِ . قالوا : وهو ينفع من ذَفَرِ الإِبْطَيْنِ إِذَا أُكِّلَ عَلَى الرِّيقِ وَطَلِيَ الإِبْطَانِ بِمائه . وتزعم الروم أن ماءه ينفع من عَضَةِ ابْنِ عَرِيسٍ .

وقال بعض الأطباء : إن ذُرَّ بَزْرُ الجرجير مدقوقًا في البيض وحشي كان ذلك زائدًا في الباه والإنعاض زيادةً بَيِّنَةً . قال أبو حاتم عن القَحْذَمِيِّ قال : أكله أعرابي فأنعط شهرًا ، فقال الفرزدق يَفْخَرُ بِهِ :

١٥ (١) الهليون : نبت ورقه كورق الشبث ولاشوك له البتة وله بزر مدقور أخضر ثم يسود ويحمّر (مفردات ابن البيطار، ج ٤ ص ١٩٥) . (٢) قثاء الحمار : نوع برى من أنواع القثاء . وفي الأصل «قثاء الخیار» وهو تحريف . (٣) الذفر : رائحة الإبطين الكريهة . (٤) كذا في نهاية الأرب للنويري في باب الخضراوات والبقول ومفردات ابن البيطار في اسم الجرجير . وفي الأصل وردت هذه اللفظة هكذا «عضة ابن مقرر» وهو تحريف .

ومنا التيمى الذى قام أيره * ثلاثين يوماً ثم زادهم عَشْرًا^(١)

قالوا : والسذاب قاطع لشهوة الجماع . وقالت الروم : إن أكلت امرأة حامل^(٣) أربعة مثاقيل كل يوم بماء سُخْنٍ أو نبيذ خمسة عشر يوماً أسقطت ولدها .

وقال بعض الشعراء :

كم نعمة للسذاب * جليلة في الرقاب
الناس عنها غفول * إلا ذوى الألباب
فالحمد لله شكرًا * لولا مكان السذاب
لغيب^(٤) الأرض نسل الـ * مُغْنِيَاتِ القحاب

قالوا : والبقلة الحماة إذا مضغت أذهبت الطرش ، وإذا أكلت أذهبت شهوة الجماع . والروم تقول : إن نظر ناظر عند رؤية الهلال إلى الهندباء^(٦) خلف بيله القمر ألا يأكل هندباء ولا لحم فرس ، سلم في كل شهر يحلف فيه من وجع الضرس .

قالت الأطباء : الخس إذا أكل على الريق نافع لتغيير الماء ومن يتأذى باحتلام . وإذا شرب بزره بماء بارد [قطع شهوة الجماع]^(٧) .

(١) كذا بالأصل ولم نجد هذا البيت في ديوان الفرزدق ، ولعله أجرى الأيام مجرى العاقل أو لعلها « ثم قد زادها عشرا » أو « ثم أتبعها عشرا » أو نحو ذلك . (٢) تقدم شرح هذه الكلمة

في ص ٢٨٣ من هذا المجلد . (٣) تمام الكلام يحتاج إلى أن يكون بعد كلمة « مثاقيل » من « السذاب » أو « من بز السذاب » . (٤) في الأصل : « تغيب الأرض » . (٥) يقال :

بقلة الحماة بالاضافة على تأويل بقلة الحبة الحماة ، والبقلة الحماة بالنعت . قال ابن سيده : هي التي تسميها العامة الرجلة . (٦) الهندباء : صنفان برى وبستاني والأول أعرض ورقا من الشانى ، والبستاني

صنفان : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق والآخر أدق ورقا منه وفي طعمه مرارة (مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ١٩٨) . (٧) النجفة عن ابن البيطار في كلامه على الخس .

قالوا : والخردل إن أكثر من أكله أورت ضعفا في البصر ، وهو مكثر
للبن مدر للبول ، وهو نافع من الصرع . وإن آكثحل بمائه بعد أن يغلى عليه
ويصفى جلا البصر الضعيف من الرطوبة . وتزعم الروم أن ماءه يصلح للأطفال
من الحمى إذا أصابتهم . وهو يفسد الدهن ويورث النسيان ويضعف البصر .

قالت الأطباء : النعناع يسكن القيء ، وينفع من الفواق الحادث من البلغم
إذا شرب مع النعناع^(١) .

وتقول الروم : الحبق^(٢) الذي على شطوط الأنهار نافع للرمم إذا دق ونخل
وأكثحل به ، وإن مضغه ماضغ ووضع على عينه نفعه .

وأما الفوذنج^(٣) النهري - [فإنه] يدر الطمث^(٤) . وإن أخذ من الفوذنج الجبلي
أوقية وطبخ بنصف رطل من ماء حتى يبقى الثلث ويشرب ، سهل السوداء .

وقالت الأطباء : الحندقوق^(٥) يورث وجع الحلق ، ويذهب بضره من
ياكل بعده الكزبرة الرطبة والبقلة الحمقاء والهندباء .

والطرخون^(٦) يؤكل مع الكرفس .

قالوا : والراسن^(٧) ينفع من قطار البول إذا كان من برد ، ويقوى المثانة .

(١) النعناع : نبت ورقه كالسذاب ، له بزر كالريحان ، عطرى قوى الرائحة ، سمي بذلك لسطوع

رائحته . (٢) الحبق : نبات طيب الرائحة . (٣) الفوذنج : نبت ، معرب عن

بودينه ، ويقال فيه : فوذنج (باهمال الدال وضم الأول والرابع) . وأجناسه ثلاثة : برى ونهرى وجبلى

ولكل منها أوصاف وخواص تجدها مفصلة في مفردات ابن البيطار . (٤) الطمث : دم الحيض .

(٥) تقدم شرح هذه الكلمة في ص ٢٨٦ من هذا المجلد . (٦) قال ابن البيطار : الطرخون :

بقلة معروفة عند أهل الشام وهى قليلة الوجود بمصر . وقال أبو حنيفة : ورقه طوال دقاق .

(٧) الراسن : نبات يشبه الزنجبيل .

قالوا : ^(١)والْكُشُوثُ يَذْهَبُ بِالْأَرْقَانِ .

قالوا : وَعِزْبُ الثَّعْلَبِ قَاطِعٌ لَدَمِ الْحَيْضِ إِنْ شُرِبَ أَوْ أُحْتِمِلَ .

وقالوا : ^(٢)الْكَرْفَسُ إِذَا طُبِخَ وَشُرِبَ كَانَ دَوَاءً مِنْ وَجَعِ الْكُلَيْتَيْنِ وَمِنْ الْأَسِيرِ ^(٣).

باب الحبوب والبزور

تقول الأطباء في حَبِّ الْفِيلْفُلِ : إِذَا خُلِطَ بِالسَّمْسِمِ وَنُجِّنَ بِعَسَلِ الطَّبْرَزْدِ ^(٤)

يَزِيدُ فِي الْجَمَاعِ .

والعرب تزعم أن الحبة الخضراء وشرب ألبان الإبل عليها تبعث الشهوة .

قال جرير :

أَجْعَثُنْ ^(٥) قَدْ لَاقَيْتِ عِمْرَانَ شَارِبًا * عَلَى الْحَبَّةِ الْخَضْرَاءِ أَلْبَانَ إِبِلٍ ^(٦)

وَالْحَمِصَ زَائِدًا فِي الْجَمَاعِ ، مُكَثِّرًا لِلنَّيِّ ، مُحَسِّنًا لِلَّوْنِ ، زَائِدًا فِي لَبَنِ الْمُرْضِعِ ، يُدِرُّ

دَمَ الْحَيْضِ ، وَإِنْ خُلِطَ بِالْبَاقِلَاءِ أَسْمَنَ .

(١) الكشوث (بالفتح وهي أفصح لغاته) قال ابن البيطار : هو شئ يتعلق بالنبات مثل الخيوط يشرب من ماء النبات الذي يتعلق به ولا أصل له في الأرض ولا ورق ، لكن في أطراف فروعه ثمر لطاف وهو يسمو في الشجر وتشتبك فروعه ، ويكثر في المكروم الرطاب ، وكثيرا ما يفسد النبات ... الخ .

(٢) الكرفس : (بفتح أوله وثانيه وسكون ثالثه) : نبت معروف وهو من أحر البقول عظيم المنافع . ١٥

(٣) الأسر : احتباس البول . (٤) الطبرزد : السكر الأبيض . (٥) جعثن : اسم

امرأة وهي أخت الفرزدق . (٦) كذا في لسان العرب مادة « أول » وفي الأصل : « ساريا »

بالسين والياء وهو تحريف . (٧) الإبل (بكسر الهمزة وفتح الياء المشددة) : جمع أيل (بفتح

الألف وكسر الياء المشددة) (وهو الذكر من الأوعال) . واختير الجمع هاهنا على الأفراد مع أن بكليهما يترن

الشعر ، « لجمع ألبان » ، إذ لو كان واحدا لقال ابن أيل (انظر اللسان مادة أول) . ٢٠

الأصمعيّ قال : قلت لأبن أبي عطار : بلغني أنّ أباك كان ذا منزلة من
أبن سيرين ، فما حفظت عنه ؟ قال قال أبي : قال لي ابن سيرين : يا أبا عطار ،
إن سويق العَدَس بارد وهو يدفع الدَّم .

قالت الأطباء : إنّ الخردل نافع من حمى الربيع ^(١) والحميات المتقدمة ووجع
الأرحام ويخفف ... من البلغم ، ويُنزل الرطوبة من الرأس ، وإن أُكل مع السلق
المسلوق نفع من الصَّرع ، وإن طلي البرص به زال .

وقالت الأطباء : الحُرْفُ يُخرج حبَّ القرع من البطن ، وينفع من عرق النسا
ووجع الورك . وإن سُخِّنَ بالماء الحار وشرب منه وزن أربعة دراهم أو خمسة
أسهل الطبيعة ونفع من القولنج .

وقال رجل من قدماء الأطباء في الباقلاء ^(٤) : إنه إذا أُدْمِنَ أَكَلَ البَصْرَ ، وأحال
الأحلام أضغاثاً لا يُنتفعُ بها ولا يجد عابرُ الرؤيا إلى تأويلها سبيلاً .

ودهن الشَّاهِدَانِجِ نافع لوجع الأذن العارض من البرد والعلل المتقدمة منها .

- (١) حمى الربيع هي التي تأتي في اليوم الرابع ، وذلك أن يحتم يوماً ويترك يومين لا يحتم ويحتم
في اليوم الرابع . (٢) لم نتبين مكان هذه النقطة في الأصل فقد وقعت في أول الصفحة ولم تظهر
بالصورة . وفي مفردات ابن البيطار في الكلام على خواص الخردل أنه « يخفف اللسان الثقيل من
البلغم » . (٣) الحرف (بالضم) : حب الرشاد . (٤) أنظر شرحه في ص ٢٥٦
من هذا الجزء . (٥) الشاهدانج (ويقال فيه شاهدانك وشاهدانق وشهوانج بغير ألف بعد
الشين) : القنب (بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة) وهو نبات ذرقضبان طويلة فارغة متن الراحة
وله حب مستدير يؤكل ويتخذ منه حبال قوية .

باب الفاكهة

عن معمر بن خُثَم عن جدته قالت : سمعت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : اذا أكلتم الرُمَات فكلوه بشحمه فإنه دِباغ للعدة ، وذلك يوم الجمعة على المنبر .

الأصمعيّ : قيل لأعرابي : لِم تُبغِض الرُمَات ؟ قال : لأنه مَبْخَرَةٌ ^(١) مَجْفَرَةٌ .

قال : وقال يحيى بن خالد : شيثان يورثان القمل : الثين اليابس اذا أُكِل ، وبخار اللبان اذا يُبجَر به .

وقالت الأطباء : ورق الخوخ وأقماعه إن دُق وعُصِر وشُرب أسهل حبّ القرع والديدان والحيات المتولدة في البطن ، وإن صُبَّ ماء ورقه في الأذن أَمَات الديدان فيها ، وإن تُدَلَّك بورقه بعد النورة ^(٢) قطع ريحها .

وحماض الأترج ^(٣) إن أُطِخ به الككف والقوب أذهب . وحب الأترج ^(٤) نافع من السموم .

(١) مبخرة : مظنة للبخر وهو تغير ريح الفم . ومجفرة أى أنه يذهب شهوة الجماع . ومجعة : يريد ليس الطبيعة أى أنه مظنة لذلك ، ومنه حديث عمر رضي الله عنه : « وإياكم ونومة الغداة فانها مبخرة مجفرة مجعة » . (انظر اللسان والقاموس مواد بخر وجفر وجعر) . (٢) النورة (بضم النون) : حجر الكلس ، ثم غلبت على أخلاط تضاف الى الكلس من زرينخ وغيره ، وتستعمل لإزالة الشعر . قيل عربية وقيل معربة ، قال الشاعر :

فابعث عليهم سنة قاشوره * تحتلق المال كحلق النوره

وسنة قاشورة : مجدية تقشر كل شيء (انظر المصباح المنير مادة نور) . (٣) حماض الأترج : ما في جوفه ، قال ابن البيطار في مفرداته نقلا عن أبي حنيفة الدينوري : الأترج كثير بأرض العرب وهو مما يغرس غرسا ولا يكون بر يا ، وأخبرني بعض الأعراب أن شجرته تبقى عشرين سنة تحمل وحملها مرة واحدة في السنة ، وورقها مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة ، فقاحه شبيه بنور النرجس إلا أنه ألطف منه .

وورق التفاح الغض إن دُق بالرفق أياماً خمسة أو ستة ثم ضُمد به الوشم^(١)
قلعه من غير أن يقرَح موضعه .

عن الزهري قال : حدثني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : " من بات وفي بطنه جَزْرَةٌ أو جَزْرَتَانِ أو ثلاثٌ أَمِنَ القَوْلَنَج والدَّيْلَةَ^(٢) " .

والفُسْتُقُ : إن دُق وشُرب بالمطبوخ الشديد نفع من تسع الهَوَامِّ .

واللَّفَّاحُ^(٣) : سمٌّ ، وربما قتل آكله . وتُدفع مضرته بالقيء بالشراب والعسل
والإسهال وشُم الفُلفُل والخردل والجندبادستر^(٤) والسذاب والتعطس .

قال وحدثني شيخ من الدهاقين عالمٌ بأيام العجم : أن بُرز جِهر قال لأهل
الحبس : سلوا الملك أن يرزقكم مكان الأدم الأترج ، ليكون القشر لطيبكم ، ولحمته
لفاكهتكم ، والحمض لصباغكم ، والحب لدهنكم . فكان ذلك أول ما عرفت به
حكيمه .

(١) الديبيلة (وزان جهيئة) : خراج ودمل كبير ، تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً .
(٢) اللفاح (وزان رمان) : ثمر اليبروح ، وهو أصفر طيب الرائحة فيه حب شبيه بحب الكمثرى . واليبروح
صنفان : أحدهما يعرف بالأنثى ولونه إلى السواد ويقال له ريوفس أي الخس لأن في ورقه مشاكلة لورق
الخس إلا أنه أدق من ورقه وأصغر ، وهو زهم ثقيل الرائحة ينسبط على وجه الأرض وليس له ساق . والآخر
يعرف بالذكور له ورق بيض ملس كبار عراض شبيهة بورق السلق ولونه كالزعفران ، طيب الرائحة مع ثقل ،
وتأكله الرعاة فيعرض لها يسير سبات وليس له ساق أيضاً ، واللفاح أيضاً : نوع من البطيخ صغير جسمه
مخطط ورائحته طيبة الشم . (٣) في ابن البيطار في الكلام على اليبروح أن ضرر اللفاح يعالج بأكل
الفلفل وشرب الجندبادستر والسذاب والخردل . (٤) كذا في مفردات ابن البيطار . وفي الأصل :

وخير البيّض بيّض الشّواب من الدّجاج، ولا خير في بيّض الهريمة . وأخفّ
البيّض الرقيق، وأثقله البيّض الصلب .

ولا يُعرّض من الرأس للدماغ ولا للسان، ولا الغلصمة^(١) ولا الحرايطيم .
ولحم العنق خفيف سريع الانهضام . وفي الحديث المرفوع : "العنق هادية^(٢)
الشاة وهي أبعدّها من الأذى" .

والفقاع : يُشرب قبل الطّعام ولا يُشرب بعده .

واللبن : لا يؤكل ولا يشرب إلا بعد وضع الشاة بشهر ونحوه .

والباقل : يؤكل بعده الفوذنج فإنه يذهب بنفخته .

اللوبيا : يؤكل بعده الخردل الرطب ، ويشرب بعده ماء الرمان .

والسكنجبين المعمول بالسكر .

الهريسة : تؤكل بالقلقل الكثير والمرى^(٧) ولا يجعل فيها السمن .

والمضيرة^(٨) : تُطبخ بالفوذنج والسذاب والكرفس .

(١) الغلصمة : رأس الخلقوم بشواربه (عروق في الحلق) وحرقته (عقدة الحلق) . (٢) الهادية

من كل شيء : أوّله . (٣) تقدّم تفسيره في صفحة ٢٨٠ من هذا المجلد . (٤) اللوبيا (بالمد

والقصر، ويقال أيضا اللوباء، وهو مذكر) نبات معروف . (٥) السكنجبين : شراب من خل وعسل ،

ويراد به كل حلو وحامض ، وهو معرب . (٦) الهريسة : طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم .

(٧) المرى : الذي يؤتدّم به ، والعامّة تخففه نسبة الى المرارة ، ويسمى الكاخ ، وهو عند الأطباء من

الأدوية القديمة ، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير . وقد ذكر خواصه ابن البيطار في مفرداته وداود

في تذكرته ، فراجعهما . (٨) المضيرة : اللحم المطبوخ باللبن الماضر أي الحامض . كان أبو هريرة

تعجبه المضيرة فيأكلها مع معاوية ، فإذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه ، فإذا قيل له في ذلك

قال : مضيرة معاوية أدمم والصلاة خلف على أفضل يا فقيلاً له شيخ المضيرة . (راجع مطالع البدر) .

الزَّيْتُ الرَّكَابِيُّ : اِذَا خُلِطَ بِالْحَلِّ أَوْ أُغْلِيَ عَلَى النَّارِ ثُمَّ رُفِعَتْ رُغْوَتُهُ عَادَ كَالْمَغْسُولِ . وَفِي الْحَدِيثِ : أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : عَلَيْكُمْ بِالزَّيْتِ ، فَإِنْ خِفْتُمْ ضَرَرَهُ فَأُخْنُوهُ بِالْمَاءِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ كَالسَّمْنِ .

عَنْ عَقَبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «^(١) عَلَيْكُمْ بِالشَّجَرَةِ الَّتِي نَادَى اللَّهُ مِنْهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ زَيْتُ الزَّيْتُونِ آدِهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ مِنَ الْبَاسُورِ » .

الْحَرْدَلُ : يُعْجَنُ بِالْحَلِّ وَيُغْسَلُ بِالْمَاءِ وَرَمَادِ الْبَلُّوطِ أَوْ رَمَادِ الْكَرْمِ مَرَارًا بَعْدَ أَنْ يُنْعَمَ دَقُّهُ وَيُخْلَلَهُ ، ثُمَّ يُغْسَلُ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ وَيُرَشَّ بِالْمَاءِ حَتَّى تَخْرُجَ رَغْوَتُهُ وَيَكْثُرُ خُلُّهُ ، وَيُخَلَطُ مَعَهُ اللَّوْزُ الْحُلُوُّ أَوْ مَاءُ الرَّمَّانِ الْحَامِضِ وَمَاءُ الزَّيْبِ .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل
الفتوغرافي] .

تَمَّ كِتَابُ الطَّعَامِ وَهُوَ الْكِتَابُ التَّاسِعُ مِنْ عَيُونِ الْأَخْبَارِ لِأَبْنِ قَتِيبَةَ ، وَيَتْلُوهُ فِي الْكِتَابِ الْعَاشِرِ كِتَابُ النِّسَاءِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَاتُهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

وَكُتِبَ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْخَزَرِيِّ
الْوَاعِظِ ، فِي شَهْرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ هَجْرِيَّةٍ .

نَجَزَ كِتَابُ الطَّعَامِ وَيَتْلُوهُ فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ كِتَابُ النِّسَاءِ .

(١) وَرَدَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي الْكَشَافِ لِلزُّنْجَشَرِيِّ (ج ٢ ص ٨٣ طبع مصر) وَالْجَامِعُ الصَّغِيرُ هَكَذَا :

«عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ زَيْتُ الزَّيْتُونِ فَتَدَاوُوا بِهِ فَإِنَّهُ مَصْحُوحَةٌ مِنَ الْبَاسُورِ» .

جاء بعد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي :

قال الأصمعيّ : دخلتُ على هارون الرشيد وبين يديه بَدْرَةٌ ، فقال : يا أصمعيّ ، إن حدثتني بحديث في العَجْزِ فأضحكتني وهبتك هذه البدرة ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا في صحارى الأعراب في يوم شديد البرد والريح وإذا بأعرابي قاعد على أجمَةٍ وهو عُرْيَانٌ ، قد احتملت الريح كساءه ، فالتفت على الأجمة ؛ فقلت له : يا أعرابي ؛ ما أجلسك هاهنا على هذه الحالة ؟ فقال : جاريةٌ وعدتها يقال لها سَلَمَى ، أنا منتظر لها ؛ فقلت : وما يَمْنَعُكَ من أخذ كسائك ؟ فقال : العَجْزُ يوقِفُنِي ^(١) عن أخذه ، فقلت له : فهل قلت في سَلَمَى شيئاً ؟ فقال : نعم ؛ فقلت : أسمعني لله أبوك ! فقال : لا أسمعك حتى تأخذ كسائي وتلقيه علي ؛ قال : فأخذته فلقيته عليه ، فأنشأ يقول :

لعل الله أن يأتي بسلمي * فيبسطحها ويلقيني عليها
ويأتي بعد ذاك سحابٌ مُزِنٌ * تطهرنا ولا تسعني إليها

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره ، وقال : أعطوه البَدْرَةَ ، فأخذها الأصمعيّ وانصرف . ١٥

(١) كذا بالأصل ، وأوقفه يوقفه لغة رديئة ، والفصحى : «وقفته» بغير الهمزة .

(٢) السحاب : الغيم ، وهو اسم جنس جمعيّ ولذلك يوصف بالمفرد مراعاة للفظه كقوله تعالى : «والسحاب المسخرين السماء والأرض» وبالجمع مراعاة لمعناه كقوله تعالى : «وينشئ السحاب الثقال» ويعامل الفعل معه معاملته مع أمثاله من أشباه المجموع فنقول : أفرغ السحاب ماءه ؛ وأفرغت السحاب ماءها . ولذلك قال : تطهرنا على الوصف بالجمع . ٢٠

(١) وَيُرْوَى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ لَمَّا وَلِيَ الْمَدِينَةَ قَالَ لِابْنِ هَرْمَةَ : إِنِّي لَسْتُ كَمَنْ
بَاعَكَ دِينَهُ رَجَاءَ مَذْحِكٍ أَوْ خَوْفَ ذَمِّكَ ، فَقَدْ رَزَقَنِي اللَّهُ بَوْلَادَةَ نَبِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
الْمَأْدِحِ وَجَنَّبَنِي الْمَقَابِيحَ ، وَإِنْ مِنْ حَقِّهِ عَلَيَّ إِلَّا أَغْضِي عَلَى تَقْصِيرٍ فِي حَقِّ رَبِّهِ ، وَأَنَا
أُتِيتُ لَنْ أُتِيتُ بِكَ سَكَرَانَ لِأَضِيرَ بِكَ سَحْدًا لِلْخَمْرِ وَحَدًّا لِلسَّكْرِ ، وَلَا أَزِيدُكَ لِمَوْضِعِ
حُرْمَتِكَ بِي ، فَلْيَكُنْ تَرْكُكَ لَهَا لِلَّهِ تُعَنُّ عَلَيْهِ ، وَلَا تَدْعُهَا لِلنَّاسِ فَتُؤَكَّلَ إِلَيْهِمْ ، فَتَهْضُ
ابْنَ هَرْمَةَ وَهُوَ يَقُولُ :

نَهَانِي آبَنُ الرَّسُولِ عَنِ الْمُدَامِ * وَأَذَبَنِي بِآدَابِ الْكِرَامِ
وَقَالَ لِي أَصْطَبِرُ عَنْهَا وَدَعُهَا * لَخَوِيفِ اللَّهِ لَا خَوْفَ الْأَنَامِ
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَنْهَا وَحَيَّ * لَهَا حُبُّ تَمَكُّنٍ فِي عِظَامِي
أَرَى طَيْبَ الْحَالِ عَلَى خُبْنَا * وَطَيْبَ النَّفْسِ فِي خُبْنِ الْحَرَامِ

ذَكَرَ هَذَا الْخَبْرَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ فِي كِتَابِ الْكَامِلِ .

(١) كَذَا فِي الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ (طَبْعُ لَيْبَزْجِ ص ١٣٨) وَفِي الْأَصْلِ «مَنْ»